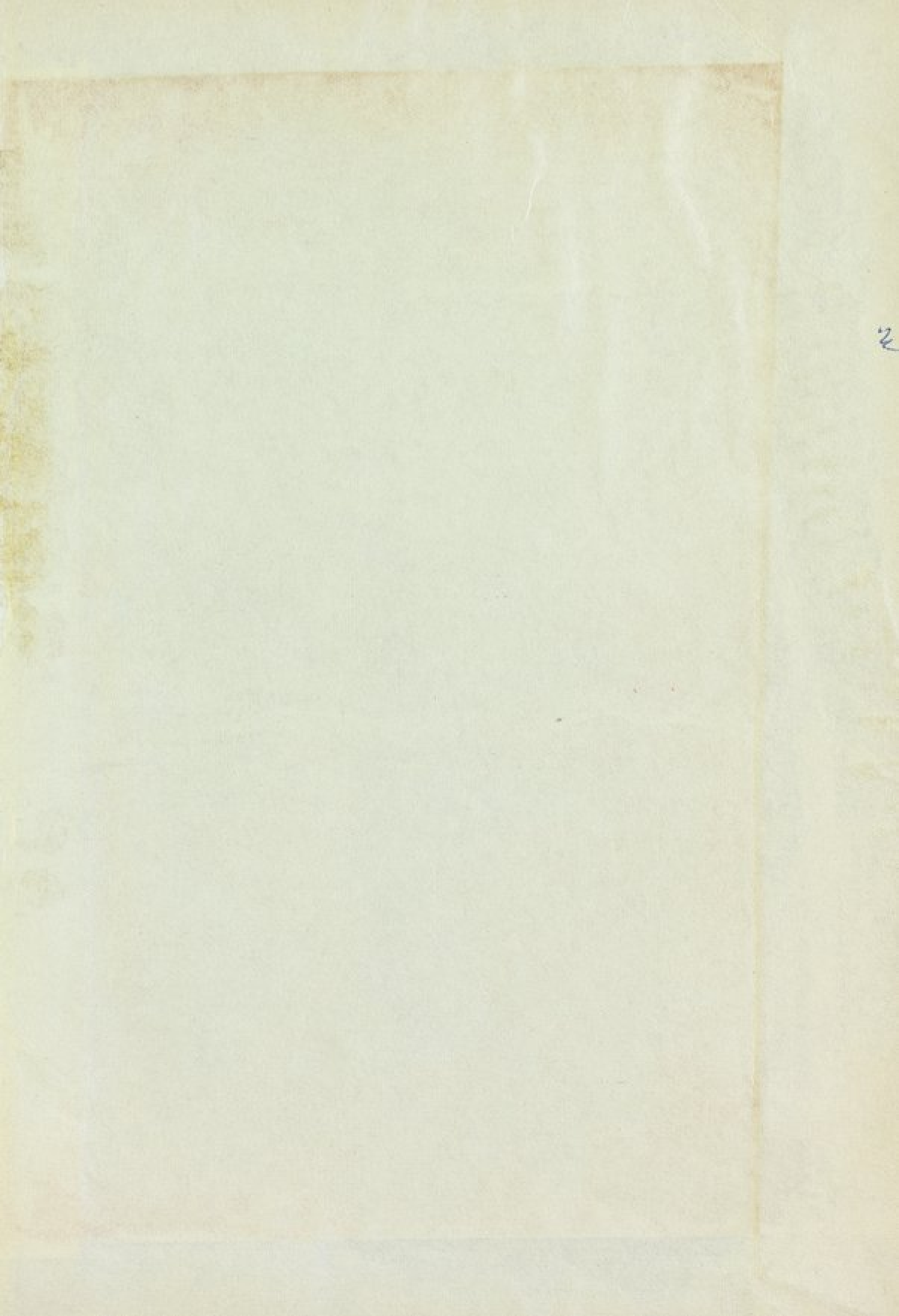

تفسير البصائر
تأليف
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الأول




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592072



Juybari

المجلد الأول

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

١٣٩٩ هـ ق = ١٣٥٧ هـ ش

ايران - قم - المطبعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، ودليلا على آلائه وعظمته ، وثمناً لنعمائه وسبباً للمزيد من فضله ، ومعاذاً من بلائه ووسيلة الى جنانه ، وأنزل على محمد رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم نوراً لا تطفأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضوئه ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وبنياناً لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزاً لا تهزم أنصاره ، وحقاً لا تخذل أعوانه .

فهو معدن الايمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، وأثافي الاسلام وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه .

وهو بحر لا ينزفه المنتزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لايضل نهجها المسافرون وأعلام لايعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون .

جعله الله ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقاً عروته ، ومعقلا منيعاً ذروته ، وعزاً لمن تولاه وسلماً لمن دخله ، وهدى لمن إئتم به ، وعذراً لمن انتحله وبرهاناً لمن تكلّم ، وشاهداً لمن خاصم ، وفلجاً لمن حاجّ به ، وحاملا لمن حمله .

وهو مطيّة لمن اعمله ، وآية لمن توسّم ، وجنّة لمن استلأم ، وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى .



وسهّل شرائعه لمن ورده ، وأعزّ أركانه على من غالبه ، وجعله أمناً لمن علقه ، وسلماً لمن دخله ، ونوراً لمن إستضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولبّاً لمن تدبّر وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتّعظ ، ونجاة لمن صدّق ، وثقة لمن توكّل ، وراحة لمن فوّض ، وفيه بيان الخير والشرّ فخذوا نهج الخير تهتدوا ، وأصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا ، وهو يقول : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها » .

فاستضيئوا بنور هدايته ، وما كلّفكم الشّيطان علمه مما ليس في الكتاب عليكم فرضه ، ولا في سنّة النبي ﷺ وائمة الهدى عليهم السلام أثره ، فكلوا علمه الى الله تعالى ، فان ذلك منتهى حقّ الله عليكم .

وأفضل الصّلوات على محمد رسول الله الاعظم ﷺ الّذى أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الامم ، وهفوة عن العمل ، واعتزام من الفتن ، وانتشار من الامور ، وتلظّ من الحروب ـ والدنيا كاسفة النّور ، ظاهرة الغرور على حين إصفرار من ورقها ، وإياس من ثمرها ، وإغورار من مائها ، قد درست منار الهدى ، وظهرت أعلام الرّدى ، فهي متجهّمة لاهلها ، عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ، ودثارها السّيف ـ لانفاذ أمره ، وإنهاء عذره ، وتقديم نذره ، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة ولا وحياً .

فقاتل محمد رسول الله الخاتم ﷺ بما أمره الله تعالى بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم ، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم ، يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه حتّى أراهم منجاتهم ، وبوّأهم محلّتهم ، فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم .

وأكمل التّحيّات على أهل بيته مصابيح الظلم ، وعصم الامم ، ومنار الدّين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة تحيّة تكون إزاء فضلهم ومكافأة لعملهم ، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار فجر ساطع ، وخوى نجم طالع .

وهم عترة النبى الكريم خير العتر، وهم أسرة الرسول خير الاسر، وهم من شجرة فخر البشر خير الشجر.

وهم إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، وهم سراج لمّع ضوؤهم ، وهم شهاب سطح نورهم ، سيرتهم القصد ، وسنتهم الرشد ، وكلامهم الفصل ، وحكمهم العدل ، أخرجهم الله تعالى من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الارومات مغرساً من الشجرة الّتى صدع منها أنبيائه ، واختارهم منها امنائه .

ولا سيّما على سلالة النّبوّة وبقيّة العترة والصفوة صاحب الزمان ، ومظهر الايمان ، ومعلن أحكام القرآن ، ومطهّر الارض وناشر العدل فى الطول والعرض الحجة القائم المهدىّ الامام المنتظر المرضى إبن الحسن العسكرى .

واللعنة الدآئمة على أعدآئهم الّذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جآءكم بصآئر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها
الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله المعصومين .

وبعد :

فان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لدين الاسلام الخالد والنظام السامى الرفيع للشريعة الاسلامية .

وهو الكتاب الذى يتضمن لإسعاد البشر ويخرجهم من الظلمات الى النور ومن الحيرة والضياع الى الهدى والرشاد .

وهو أساس علوم الدين ومعارف الاسلام وفيه تكتشف اسرار الكون ونواميس الطبيعة وهو مصدر علوم الاجتماع والسياسة المدنية .

وهو حجة الفقيه وضالّة الحكيم ومرشد الواعظ ومرجع اللغوى ودليل النحوى وهادى البيانى ومثال الأديب وبصائر للناس وفى أحراه ان يكون قبلة الاملين وموضع نظر المحققين . . . فى كل وقت وزمان .

ولقد كتب العلماء الكثير حول القرآن المجيد وكشفوا من غوامضه ونبّهوا على الجليل من دقائقه . .

فاحببت أن أتشرّف بالقيام بخدمة متواضعة فانظم من درره سلسلة جامعة ولمّا كنت متردداً بين الإقدام والإحجام استخرت الله جلّ وعلا وتوكلت عليه وسلّمت كلّ امرى اليه فتفألت بكتابه العزيز :

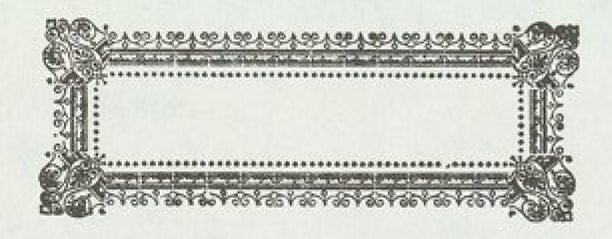
فجائت الاية : « وكذلك مكّنّا ليوسف فى الارض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث

والله غالب على أمره » يوسف : ٢١ .

فشمّرت عن ساعد الجدّ بحول الله القادر المتعال وبدأت العمل مستعينا به جلّ وعلا فكان هذا الكتاب الّذى بين يديك والّذى هو نتاج البحث الدّائب و العمل المستمرّ طيلة سنين عديدة الّذى حاولت ان يكون جامعاً يجد فيه الطالب بغيته والراغب منيته انشاءالله تعالى .

العبد الفقير الى الله جل وعلا :

يعسوب الدين رستگار الجويبارى



هذه هى :

نذكر ههنا اجمالا عناوين الأمور التى يدور عليها كل مقطع من مقاطع تفسيرنا هذا المسمّى[١] بتفسير **« البصآئر »**

ليسهل الاطّلاع عليها لمن أرادها وهى عشرون امراً على التّرتيب الاتى انشاء الله تعالى .

الاول : فضل كلّ سورة وخواصّها بعد إمعان النّظر فيما ورد فيهما من الرّوايات سنداً ومتناً ودلالةً وبذلالوسع فى إظهار توافقها مع أغراض السّور القرآنية ومساسها باهدافها .

الثانى : بيان غرض كلّ سورة وهدفها .

الثالث : النّزول وبيان ترتيب السّوروآيها نزولاً ومصحفاً على التّحقيق .

الرابع : القرائة ووجهها .

الخامس : وجه الوقف والوصل فى الجمل القرآنيّة وآيها .

السادس : بحث لغوىّ مستقصىً .

السابع : بحث نحوىّ على[١] طرزبديع كامل .

الثامن : بحث عميق بيانىّ فى الجمل القرآنية وآيها .

التاسع : وجه اعجاز كلّ سورة بل كلّ مقطع من مقاطع التّفسير .

العاشر : وجه تكرار القصص والايات والكلمات .

الحاديعشر : التّناسب بين السّور نزولاً ومصحفاً وبينآياتها .

الثانى عشر : بيان النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه .

الثالث عشر : تحقيق فى الاقوال وبيان المختار منها .

الرابع عشر : تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل .

الخامس عشر : ذكر جملة المعاني .

السادس عشر : بحث روائي مع إمعان النظر في جوانب الروايات .

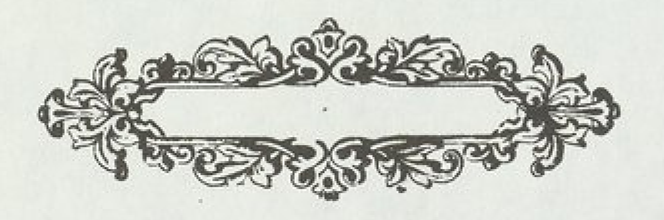
السابع عشر : بحث فقهي اجمالاً .

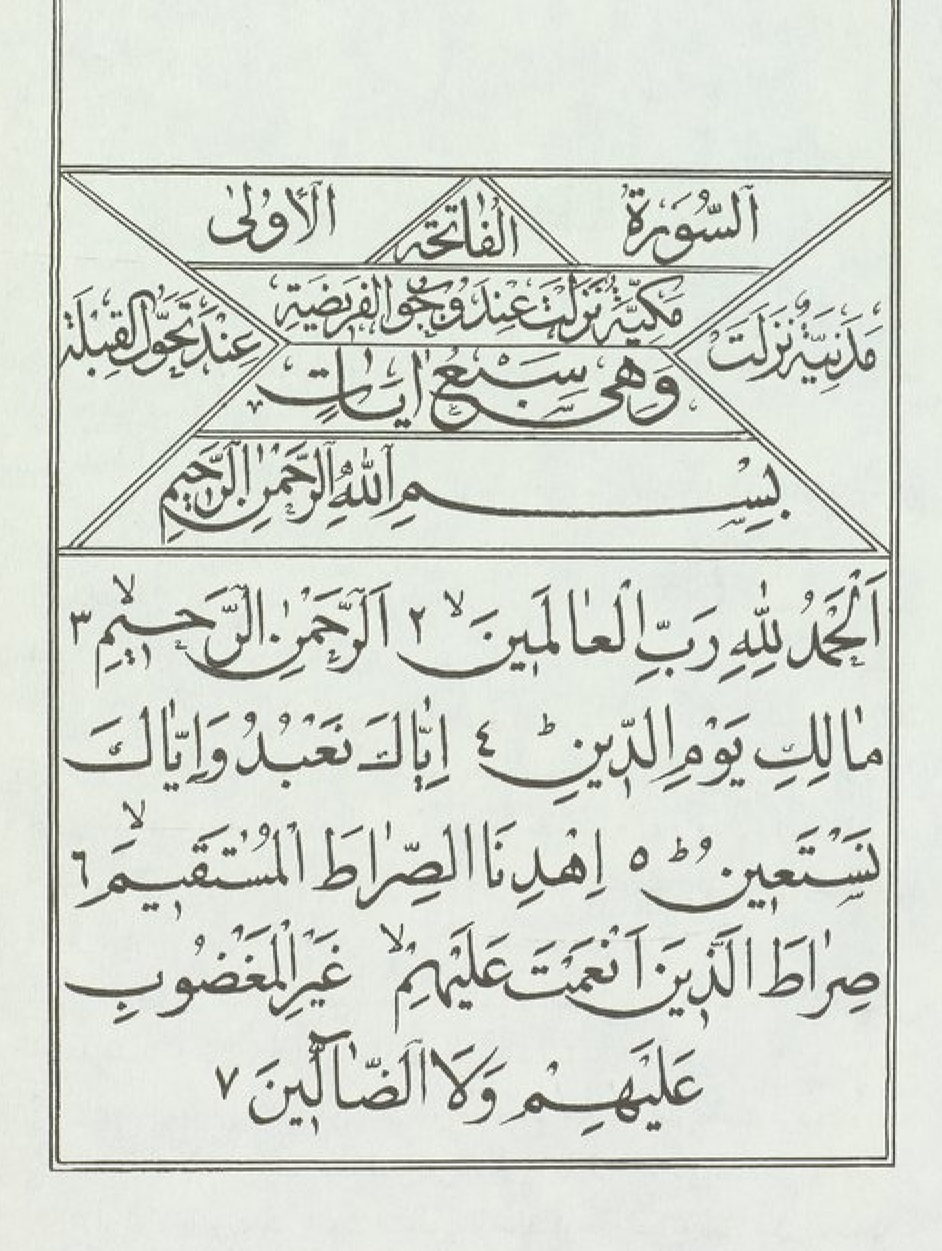
الثامن عشر : بحث مذهبي على إختلاف العقائد وتشتت الاراء .

التاسع عشر : بيان الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية تفصيلاً .

العشرون : استخراج النكات والدقائق مذيلة بتبصرة يذكر فيها خلاصة السورة إنشاء الله تعالى .

المؤلف




السورة الفاتحة الأولى
مكية نزلت عند وجوب الفريضة
مدنية نزلت عند تحول القبلة
وهي سبع ايات
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ٢ الرحمن الرحيم ٣
مالك يوم الدين ٤ اياك نعبد واياك
نستعين ٥ اهدنا الصراط المستقيم ٦
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ٧

« فضلها وخواصها »

انّ الرّوايات الواردة في فضل سورة الفاتحة وخواصّها اكثر منها في غيرها من السّور القرآنيّة لايسعها المقام فنشير الى نبذة منها :

١- روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في معاني الاخبار باسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : منّ عليّ ربّي وقال لي : يا محمّد ارسلتك الى كلّ احمر واسود ونصرتك بالرّعب واحللت لك الغنيمة واعطيتك لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة الحديث ..

٢- في تفسير العيّاشي مرفوعا عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : قال رسول الله لجابر بن عبدالله : يا جابر ألا اعلّمك افضل سورة انزلها الله في كتابه ؟ قال : فقال جابر : بلى بابي انت وأمّي يا رسول الله علّمنيها قال : فعلّمه الحمدلله امّ الكتاب قال : ثم قال له : يا جابر ألا أخبرك عنها ؟ قال : بلى بأبي انت وامّي فاخبرني قال : هي شفاء من كلّ داء الا السّام يعني الموت .

اقول : ان المراد من الموت هو الموت الحتمي الّذى لايؤخر اشار تعالى اليه بقوله عزّوجلّ : « انّ اجل الله اذا جاء لايؤخّر » نوح : ٤ .

وهذا لاينافي ماورد من انّ سورة الحمد لو قرأت على ميّت فردّت روحه ما كان عجبا . ولايخفى انّ هذا ليس على سبيل الاطلاق بل له شرائط اهمّها الايمان اذ اريد بالموت هنا الموت المعلّق الّذى قد توجد اسبابه من قبل الانسان . واشار جل وعزّ الى الأجلين بقوله تعالى : « هو الّذى خلقكم من طين

ثم قضى اجلا واجل مسمّى[١] عنده » الانعام : ٢ .

٣- روى الطّبرسى رحمة الله تعالى عليه فى مكارم الاخلاق عن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال : فى الحمد - سبع مرّات شفاءٌ من كلّ داءٍ فان عوّذ بها صاحبها مأة مرّة وكان الرّوح قد خرج من الجسد ردّالله عليه الرّوح .

٤- وفيه عن ابى عبدالله عليه السلام انّه قال : لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرّة ثم ردّت فيه الرّوح ما كان عجبا .

اقول : رواه الرّاوندى فى الدّعوات والقمىّ فى تفسيره .

٥- روى الشّيخ الطّوسى رحمة الله تعالى عليه فى الامالى باسناده عن أبى الحسن العسكرى عن آبائه عن الصّادق عليه السلام قال : من نالته علّة فليقرء فى جيبه الحمد سبع مرّات فان ذهبت العلّة والاّ فليقرأها سبعين مرّة وانا الضّامن له العافية .

اقول : رواه الرّاوندى فى الدّعوات والطّبرسى فى مكارم الاخلاق وفى فقه الرّضا عن العالم عليه السلام .

٦- فى طبّ الائمّة باسناده عن عبدالله بن الفضل النّوفلى عن احدهم عليه السلام قال : ما قرأت الحمد سبعين مرّة الاّ سكن وان شئتم فجرّبوا ولاتشكّوا .

٧- وفيه بالاسناد عن اسمعيل بن أبى زياد عن الصّادق عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كسل او اصابته عين او صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوّذتين ثم يمسح بها وجهه فيذهب عنه ما كان يجد .

٨- وفيه بالاسناد عن المفضّل بن عمر عن جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام انّه دخل عليه رجل من مواليه وقد وعك وقال له : مالى أراك متغيّر اللّون ؟ فقلت : جعلت فداك وعكت وعكا شديدا منذ شهر ثم لم تنقلع الحمّى[١] عنّى وقد عالجت نفسى بكلّ ما وصفه الىّ المترفّعون فلم انتفع بشىء من ذلك .

فقال له الصّادق عليه السلام حلّ أزرار قميصك وأدخل رأسك فى قميصك و أذّن وأقم واقرأ سورة الحمد سبع مرّات قال : ففعلت ذلك فكأنّما نشطت

من عقال .

٩- وفيه بالاسناد عن سلمة بن محرز قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من لم يبرئه سورة الحمد وقل هوالله احد لم يبرئه شيء وكل علّة تبرئها هاتين السّورتين . (هاتان السّورتان ظ)

١٠- روى الصّدوق رحمة الله تعالى عليه فى جامع الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال : من قرء فاتحة الكتاب اعطاه الله بعدد كل آية انزلت من السماء فيجزى بها ثوابها .

١١- روى الكلينى رضوان الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن الرضا عليه السلام قال : انما شفاء العين قرائة الحمد والمعوذتين وآية الكرسى والبخور بالقسط والمر واللبان .

١٢ - فى تفسير القمّى باسناده عن علّى بن عقبة عن ابى عبدالله عليه السلام قال : ان ابليس رنّ رنينا لمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل و حين انزلت امّ القرآن .

١٣ - فى ثواب الأعمال باسناده عن البطائنى قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : اسم الله الاعظم مقطّع فى امّ الكتاب .

اقول : رواه العيّاشى فى تفسيره ، والاربلى فى كشف الغمّة .

وفى تسمية هذه السّورة بامّ الكتاب وجوه أوجهها وجهان : احدهما لكونها جامعة لأصول مقاصد القرآن الكريم ومحتوية على رؤوس مطالبه وانّ العرب يسمّون ما يجمع أشياء متعدّدة «امّاً» كما يسمّون الجلدة الجامعة للدماغ وحواسّه «امّ الرّأس» .

ففى الفاتحة اجمال ما فصّل فى الكتاب المجيد لاشتمالها على الأصول - والاهداف القرآنيّة من التّوحيد والثّناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التّعبد بالامر والنهى والوعد والوعيد فكأنّ الكتاب نشأ من هذه السّورة بالتّفصيل بعد الاجمال كما سمّيت مكّة المكرّمة بامّ القرى لانّ الارض دحيت منها .

ثانيهما ـ لانّها اوّل السّور القرآنيّة الّتي يفتتح بها فهي اصل الكتاب و من ثمّ تضاف اليه فيقال : فاتحة الكتاب ولاتضاف سورة من سوره اليها فلا يقال : بقرة الكتاب مثلاً .

١٤ـ روى البخاري عن أبي سعيدبن المعلّى قال : كنت اصلّي فدعاني النّبيّ صلى الله عليه وآله فلم اجبه ثمّ قلت : يا رسول‌الله انّي كنت اصلّي قال : ألم يقل‌الله : «استجيبوا لله وللرّسول اذا دعاكم» الانفال : ٢٤ .

ثمّ قال : الا اعلّمك أعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي فلما أردنا ان نخرج قلت : يا رسول‌الله انّك قلت الا أعلّمك أعظم سورة من القرآن ؟ قال :

الحمدلله ربّ العالمين هي السّبع المثاني والقرآن العظيم الّذي اوتيته .

١٥ـ في نهج‌البلاغة قال اميرالمؤمنين علي عليه السلام :

من شرف هذه الكلمة وهي الحمد لله انّ‌الله تعالى جعلها فاتحة كتابه و جعلها خاتمة دعوى اهل جنّته فقال : وآخر دعواهم انّ الحمدلله ربّ‌العالمين .

١٦ـ روى الكليني رضوان‌الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن معاوية بن حكيم قال : خطب الرّضا عليه السلام هذه الخطبة :

الحمدلله الّذي حمد في الكتاب نفسه وافتتح بالحمد كتابه وجعل الحمد اوّل جزاء محلّ نعمته واخر دعوى أهل جنّته ، الخطبة .

١٧ـ في تفسير العيّاشي عن أبي‌بكر الحضرمي قال : قال ابوعبدالله (ع) : اذا كانت لك حاجة فاقرإ المثاني وسورة اخرى وصلّ ركعتين وادع‌الله قلت : أصلحك الله وما المثاني ؟ قال : فاتحة‌الكتاب «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين» .

١٨ـ في المناقب لابن شهرآشوب قدس‌سره :

ابين احدى يدي هشام‌بن عديّ الهمداني في حرب صفّين فاخذ علي عليه السلام يده وقرأ شيئاً وألصقها فقال : يا اميرالمؤمنين ما قرأت ؟ قال : فاتحة الكتاب

كأنّه استقلّها فانفصلت يده نصفين فتركه عليّ عليه السلام ومضى .

١٩- في الاحتجاج : وممّا سئل عنه ابو الحسن عليّ الهادى عليه السلام :

انّ قيصر ملك الروم كتب الى خليفة من خلفاء بني العبّاس كتابا يذكر فيه انّا وجدنا في الانجيل انّه من قرأ سورة خالية من سبعة احرف حرّم الله تعالى جسده على النّار وهى :«ث ، ج ، خ ، ز ، ش ، ظ ، ف» .

فانّا طلبنا هذه السّورة فى التّوراة فلم نجدها وطلبناها فى الزّبور فلم نجدها فهل تجدونها فى كتبكم فجمع العلماء وسئلهم عن ذلك فلم يجبهم عن ذلك احد الاّ التّقىّ عليّ بن محمّد بن الرّضا عليه السلام .

فقال عليه السلام : انّها سورة الحمد فانّها خالية من هذه السّبعة الأحرف فقيل له : ما الحكمة فى ذلك .

فقال :«انّ الثاء من الثّبور والجيم من الجحيم والخاء من الخيبة والزّاء من الزّقوم والشّين من الشّقاء والظّاء من الظّلمة والفاء من الفرقة اومن الآفة» .

فلمّا وصل الى قيصر وقرأ فرح بذلك فرحا شديدا وأسلم لوقته ومات على الاسلام .

٢٠- في رواية : انّ اوّل كلمة تكلّم بها آدم كانت «الحمدلله» وآخر كلمة بنيه في الجنّة يتكلّمون بها فيها تكون : «الحمدلله» اذ قال تعالى : «وآخر دعواهم انّ الحمد لله رب العالمين »فلا تغفلوا» وغيرها من الرّوايات تركناها للاختصار .

احتواء فاتحة الكتاب
على جميع مواضيع القرآن

ممّا لايخفى على المتأمل الخبير فى القرآن الكريم انّ سورة الفاتحة تحوى رموزاً لكل ما جاء فى الكتاب المجيد من المواضيع وانّها براعة إستهلال رائعة للقرآن .

وهى كالنّواة بالنّسبة الى النّخلة حيث انّها مشتملة على شجرتها حقيقة ومن هنا يعلم وجه تسميّة السّورة بامّ الكتاب فانّها اصل يبنى عليه غيره من السّور القرآنيّة .

حيث انّ امّ الشىء : جماعه ومن ذلك امّ الدّماغ : وهو ما يجمعه .

وفى السّورة تقرير الحمدلله جل وعلا وربوبّيته للعالمين : ربّ الاكوان وما فيها من كائنات ومخلوقات .

فالاله الّذى يؤمن به المسلمون هو ربّ جميع العالمين يجب عليهم حمده و الثّناء عليه وفى السّورة تقرير لسعة رحمته الشّاملة للمؤمن والكافر مما فيه خيرهم فى وجودهم وحياتهم فى الدنيا .

وتقرير لرحمته الخاصّة بالمؤمنين فى الاخرة اذ قال : «ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للّذين يتّقون» الاعراف : ١٥٦ .

وفيها اشارة الى اليوم الاخر الّذى يجزى فيه كلّ انسان مكلّف بما عمل فى الّدنيا .

وفيها تعليم للمسلمين كيفيّة عبادتهم لله تعالى وحده على سبيل الخطاب

الموجّه منهم اليه جل وعلا بانّهم يعبدونه وحده ويستعينون به وحده فعليهم ان يفرغوا انفسهم وقلوبهم ممّا سواه فلا يخضعوها لاحد غيره لانّه تعالى هوالنّافع و الرازق والشامل برحمته جميع الخلق فى هذه الحياة الدنيا وهم مدينون له فى حياتهم ومماتهم وهدايتهم ورزقهم وكيانهم .

وفى هـذا إنقاذ للمسلم ولروحه من تأثير غيره وبثّ القوّة والاعتماد و الكرامة فيه .

وفى السّورة تعليم لطلب الهداية من الله القادر المنّان على سبيل الدّعاء الموجّه منهم اليه تعالى بان يهديهم الطّريق القويم وهو الطّريق الحقّ طريق الّذين انعم الله تعالى عليهم من أنبيائه وأوليائه .

وفيها البيان بانالايمان بالله ورسوله والالتزام بما جاء به هوصراط مستقيم وفيها طلب الوقاية منالله عزوجل بان يقيهم عن طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين وهو الطّرين المغاير للطّريق القويم .

ففيها إشارة الى طريقين : طريق الهدى وطريق الضّلالة طريق الايمان و طريق الكفر،طريق الحق وطريق الباطل،طريق الخير وطريق الشر،طريق النور وطريق الظلمة وبالمآل طريق الجنة وطريق النار .

ومنغير البعيد انّ ذلك كله تنطوى عليه حكمة جعل هـذا السورة فاتحة للمصحف وايجابقرائتها فى كل ركعة صلاة تجبفيها القرائة ويؤيد ذلك ماروأه : **الصدوق رضوان الله تعالى عليه** فى عيون الأخبار وفى العلل باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام فانه قال : فلم امروا بالقرائة فى الصلاة ؟

قيل : لئلا يكون القرآن مهجورا مضيّعا وليكون محفوظا مدروسا فلا يضمحل ولايجهل .

فان قال : فلم بدىء بالحمد فى كل قرائة دون سائرالسور ؟ قيل : لانّه ليس شىءٌ من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع فى سورة الحمد .

وذلك انّ قوله : «الحمدلله» انما هو أداء لما اوجب‌الله تعالى على خلقه من الشكر وشكر لما وفّق عبده للخير .

«رب العالمين» تمجيد له وتحميد واقرار بانّه هو الخالق المالك لاغيره .

«الرحمن الرحيم» إستعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه .

«مالك يوم الدين» اقرار بالبعث والحساب والمجازاة وايجاب له ملك الاخرة كما اوجب له ملك الدنيا .

«اياك نعبد» رغبة وتقرب الى‌الله عزوجل وإخلاص بالعمل له دون غيره .

«واياك نستعين» إستزادة من توفيقه وعبادته وإستدامة لما أنعم عليه ونصره .

«اهدنا الصراط المستقيم» استرشاد به وإعتصام بحبله وإستزادة فى المعرفة بربّه وبعظمته وبكبريائه .

«صراط الذين انعمت عليهم» توكيد فى‌السؤال والرغبة وذكر لما قد تقدم من نعمه على اوليائه ورغبة فى مثل تلك النعم .

«غير المغضوب عليهم» إستعاذة من ان يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه .

«ولاالضالّين» إعتصام من ان يكون من الضالين الذين ضلّوا عن‌سبيله من غير معرفة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة فى امر الاخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الاشياء .

اقول : قوله عليه‌السلام : «لئلا يكون‌القرآن مهجورا» لاحتواء سورة‌الفاتحة على ما فى القرآن إجمالا فكأنّ قرائتها فى الصّلاة قرائة القرآن كلّه فيها فلو لم تجب قرائتها عليهم فى الصلاة لتركوها لتساهلهم فى المندوبات .

و قوله : عليه‌السلام : «وليكون محفوظا مدروسا» اى ليكون محفوظا لحفظ المعجز والمواعظ والأخبار والحقائق والاحكام التى يشتمل عليها القرآن الكريم .

و قوله : عليه‌السلام : «وذلك انّ قوله : «الحمدلله» انما هوأداء» ففيه تعليم

للعباد ان يشكروالله تعالى على ما علّمهم فانّهم ما كانوا يعرفون طريق الحمد و الشّكر والثّناء عليه جلّ وعلا من غير تعليم .

و قوله : عليه السلام : «وشكر لما وفّق عبده للخير» اى شكر له وحده على جميع ما أنعمهم عليه سيّما نعمة التّوفيق للعبادة والايمان وصالح العمل فهذا تخصيص بعد التعميم .

و قوله : عليه السلام : «تمجيد له وتحميد» التّمجيد ذكر ما يدل على المجد و العظمة والتحميد ذكر ما يدل على النّعمة ودلالته عليهما ظاهرة .

و قوله : عليه السلام : «وإقرار بانّه هو الخالق المالك لاغيره» .

وذلك لانّ العالَم هوما يعلم به الصّانع وهو كل ماسوى الله وجمعه بقوله : «العالمين» ليدل على جميع أنواعه فاذا كان الله تعالى هو خالق الجميع ومدبّرهم و مربّيهم فيكون هوالواجب لذاته وغيره يكون من خلقه وآثار وجوده .

و قوله : عليه السلام : «الرحمن الرحيم» إستعطاف الخ» الاستعطاف هو ذكره تعالى بالرّحمانية الشاملة التّكوينية وبالرحيمية الخاصة التشريعية .

وفى المقام كلام : للشهيدين ، رضوان الله تعالى عليهما فى النّفلية وشرحها لاينبغى ان يغفل عنه لما فيه من الفوائد الجمّة :

فقالا : ويلزمه استحضار التوفيق للشكر عند اول الفاتحة وعند كل شكر لان التوفيق لقوله : «الحمدلله» المشتمل على غرائب المعانى وجلائل الشكر نعمة من الله تعالى على القارىء وفّقه بتعليمه الشكر له بهذه الصيغة الشريفة .

وليستحضر انّ جملة الأفراد المحمود عليها والنعم الظاهرة والباطنة عليه كلّها من الله تعالى امّا بواسطة او بغير واسطة .

فانّ الواسطة فيها كلّها رشحة من رشحات جوده ونفحة من نفحات فضله ليناسب كون جملة «الحمدلله الجواد» ويطابق المعنى المدلول عليه للاعتقاد واستحضار التوحيد الحقيقى عند قوله : «رب العالمين» حيث وصفه بكونه ربّا و مالكا لجميع العالمين من الإنس والجن والملائكة وغيرهم .

وإستحضار التمجيد وهو النّسبة الى المجد والكرم وذكر الآلاء وهى هنا النعماء مطلقا على جميع الخلق عند «الرحمن الرحيم» الدّالين على افاضة النعم الدقيقة والجليلة على القوابل فى الدنيا والاخرة .

اذ كل من ينسب اليه الرحمة فهومستفيض من لطفه وانعامه ومرجع الكل الى ساحل جوده واكرامه وعند ذلك ينبعث الرّجاء وهو احد المقامين العليين .

وإستحضار الاختصاص للهتعالى بالخلق والملك عند «مالك يوم الدين» فانّه وان كان مالكا لغيره من الايام وغيرها الاّ انه ربما يظهر على الجاهل مشاركة غيره بواسطة تغلّب ظاهرىّ بخلاف ذلك اليوم فانه المنفرد فيه بنفوذالامر وحقيقة الملك بغير منازع لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار .

مع إحضار البعث والجزاء والحساب وملك الاخرة الواقعة فى ذلك اليوم فينبعث لذلك الخوف وهو المقام الثانى ويثبت فى القلب لطروّه وعدم المعارض له فيغلب على الرجاء وهى الحالة اللائقة بالسالكين عند المحققين وفى هذا الترتيب العجيب إشارة الى برهانه وليعلم انّ هذه الأوصاف الثلاثة جامعة لمراتب الوجود من إبتدائه الى إنتهائه متصلا باليوم الاخر الّذى هو الغاية الدائمة .

فالاوّل إشارة الىوصف الإبداع والإيجاد وهواول النعم المستحقة للحمد و الوصفان الوسطان إشارة الى حالة دوامه وما يشتمل عليه من النعم فى حالة بقائه والثالث إشارة الى آخر حالاته ونهاية امره الّتى لاآخر لها وحقيق لمن جرت عليه هذه الأوصاف ـ من كونه موجدا منعما بالنعم كلّها ظاهرها وباطنها و عاجلها وآجلها على جميع العالمين مالكا لامورهم يومالدين منثواب وعقاب ـ ان يكون مختصا بالحمد لا احد يشاركه فيه على الحقيقة .

واذا احطّت بذلك وفزت بفضيلتى الرجاء والخوف فترقّ منه الىإستحضار الإخلاص والرغبة الىالله وحده عند «اياك نعبد» حيث قد خصّصته تعالى بالعبادة الّتىهى اقصى غاية الخضوع والتّذلّل ومن ثم لم تستعمل الاّفى الخضوع للهتعالى و وارتقيت من مقام البعد عن مقاربة جنابه الى مقام الفوز بلذيذ خطابه والاستزادة

من توفيقه وعبادته وإستدامة ما انعم الله على العباد عند «اياك نستعين» حيث قدّمت الوسيلة على طلب الحاجة ليكون أدعى للاجابة واستعنت به فى جميع أمورك من غير إلتفات الى فرد منها ولا الى جميعها لقصور العبادة وحسور الوهم عن الاحاطة بتفاصيل ما تحتاج اليه وتفتقر الى عونه عليه.

وإستحضار الإسترشاد به والإعتصام بحبله والإستزادة فى المعرفة به سبحانه والاقرار بعظمته و كبريائه عند «اهدنا الصراط المستقيم».

واشار بكون طلب الهداية متناولاً للاسترشاد والاعتصام والاستزادة من المعرفة والاقرار بالنعمة الى مطلب شريف وهو انّ هداية الله تعالى متنوع انواعا كثيرة تجمعها اربعة اجناس مرتّبة :

اولها ـ افاضة القوى التى بها يتمكّن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوّة العقليّة والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

وثانيها ـ نصب الدّلائل الفارقة بين الحق والباطل والصّلاح والفساد واليه اشار تعالى بقوله : «وهديناه النجدين» وقال تعالى: «فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» فصلّت : ١٧ .

وثالثها ـ الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واليه اشار بقوله : «وجعلناهم ائمّة يهدون بامرنا» الانبياء : ٧٣ ، وقوله تعالى : «انّ هذا القران يهدى للتى هى اقوم» الاسراء : ٩ .

ورابعها ـ ان يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء بالوحى الالهى او بالالهام والمنامات الصّادقة وهذا القسم يختصّ بنيله الانبياء والاولياء واليه اشار تعالى بقوله : «اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده» الانعام : ٩٠ .

وقوله تعالى : «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» العنكبوت : ٦٩ .

فالاسترشاد به اشارة الى الجنس الاوّل وهو واضح والاعتصام الى الثانى فانّ اصله الامتناع بالشىء .

ولاشك انّ نصب الأدلة واقامة السّبل الفارقة بين الحق و الباطل والصلاح

والفساد عصمة لمن تمسّك بها من الهلكة وجنّة لهم من الضلالة والاستزادة فى المعرفة الى الثالث فانّ العالمَ وان كان دليلاً على الله تعالى بآثاره الظاهرة وآياته الباهرة المتظافرة الاّ انّ الانبياء والرسل (ع) والكتب المطهّرة تهدى للّتى هى اقوم للتقوى .

وتزيد فى المعرفة على الوجه الأتمّ ويرشد الى مالايفى العقل بدركه و الاقرار بعظمته و كبريائه الى المقام الرابع فانّ من ارتقى الى تلك الغاية ووصل الى شريف تلك المرتبة وانغمس فى انوار تلك الهيبة واغترف من بحار الأسرار الالهيّة إعترف بمزيد الكبرياء بل إضمحلّ وفنى فى تلك المرتبة وعرف ان كلّ شىء هالك الاّ وجهه .

فاذا طلب العارف الهداية الى الصّراط المستقيم فمطلبه هذه المنزلة لتمكّنه ممّا سبق والناس فيها على حسب مراتبهم والصّراط المستقيم المستوى مشترك بين الجميع واذا توجّه المصلّى الى ذلك الجناب العلىّ وسئل ذلك المطلب السّنىّ فليترقّ الى استحضار التأكيد فى السئوال والرغبة والتذكر لما تقدّم من نعمه على اوليائه وطلبه مثلها عند قوله : «صراط الذين انعمت عليهم» من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين .

وانّما طلب الهداية الى سلوك طريق المذكورين الّتى هى نعم اخروية او كان وسيلة اليها حذفا لما سواهما من النعم الدنيوية عن درجة الاعتبار وتحقيقاو تفخيما لها من بين ساير الاغيار فانّ اصل النعمة الحالة الّتى يستلذّها الانسانو نعم الله وان كانت لاتحصى .

كما قال تعالى : «وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها» ابراهيم : ٣٤ .

تنحصر فى جنسين : دنيوىّ واخروىّ والاول قسمان موهبىّ و كسبىّ و الموهبى قسمان : روحانىّ كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق .

وجسمانىّ كتخليق البدن والقوى الحالّة فيه والهيئات العارضة له من الصحة و كمال

الأعضاء والكسبى" تزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى" المستحسنة وحصول الجاه والمال .

والثاني ان يرضى عنه ويغفر ما سلف منه ويؤويه فى اعلا علّيّين مع الملائكة المقربين أبد الأبدين .

والمراد من النعمة المطلوبة هنا الّتى تؤ كّد الرغبة فيها وسؤال مثلها هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاول وما عدا ذلك يشترك فى نيله المؤمن والكافر واستحظار الاستدفاع لكونه من المعاندين والكافرين المستخفين بالأوامر والنواهى عند الباقى من السورة .

والمعنى طلب سبيل من أفاض عليهم نعمة الهداية دون الذين غضب عليهم من الكفار والزّائغين من اليهود والنّصارى وغيرهم من الضّالّين انتهى كلامهما .

وفى مدارك التنزيل : انّ الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مأة و اربعة : صحف شيث عليه السلام ستّون وصحف ابراهيم عليه السلام ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعانى كل الكتب مجموعة فى الفرقان ومعانى كل الفرقان مجموعة فى الفاتحة ومعانى الفاتحة مجموعة فى البسملة ومعانى البسملة مجموعة فى بائها ومعانى الباء فى نقطتها ، انتهى كلامه .

«(النزول)»

سورة الفاتحة مكيّة نزلت بعد نزول خمس آيات من اوائل سورة العلق عند وجوب الفريضة .

ومدنيّة نزلت عند تحول القبلة على ما حققناه فيما ورد من الروايات فى ذيل ترتيب السور القرآنية نزولا وماورد فى ذلك من اختلاف الكلمات وتشتّت الآراء فلا وجه له .

وهى اول سورة مصحفاً وثانيها نزولا ، وهى مشتملة على سبع آيات رواية واتفاقاً .

وتشتمل على ٢٧ كلمة و١٤٠ حرفا على مافى بعض التفاسير .

ولها خمسة وعشرون اسما اشهرها ثلاثة ، احدها ـ سورة الحمد ثانيها ـ فاتحة الكتاب ثالثها ـ السبع المثانى .

ولكل وجه اما وجه الاولين فظاهر وامّا وجه الثالث فلقوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم» الحجر : ٧٥ .

وقد ثبت فى الاخبار الصّحيحة انّ السبع المثانى هى سورة الحمد ومعنى كونها مثانى : انّها تثنى وتعاد فى كلّ صلاة تقرء فيها .

فى اسباب النزول للواحدى النّيسابورى باسناده عن ابن عباس انّه قال : اول ما نزل به جبرئيل على النبىّ صلى الله عليه وآله قال : يا محمد استعذ ثمّ قل : «بسم الله الرّحمن الرّحيم» .

وفيه باسناده عن عليّ بن ابيطالب عليه السلام قال : «نزلت فاتحة الكتاب بمكّة

من كنز تحت العرش» .

وفيه باسناده عن أبي ميسرة : «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا برز سمع مناديا يناديه : يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فقال له ورقة بن نوفل : اذا سمعت النّداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك قال : فلما برز سمع النّداء : يا محمد فقال : لبّيك قال : قل : اشهد ان لا اله الاّ الله واشهد انّ محمدا رسول الله ثمّ قال : قل الحمد لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم مالك يوم الدّين ـ حتى فرغ من فاتحة الكتاب»

ثم قال الواحدي : وهذا قول علي بن أبي طالب عليه السلام .

اقول : لو سلّمناه فقوله : «فاذا سمع الصوت انطلق هاربا» لعله لثقل الوحي ورؤيته واستماعه ما لم يره ولم يسمعه بعد .

لقوله تعالى : «يا ايّها المزّمّل ـ انّا سنقلي عليك قولا ثقيلا» المزّمّل :١-٥

وقوله : «يا ايها المدّثّر قم فانذر» المدّثّر : ١ـ٢

كما قال الله تعالى في ابراهيم ولوط عليهما السلام : «ولقد جائت رسلنا ابراهيم بالبشرىٰ واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف» هود : ٦٩ـ٧٠

وقال في داود عليه السلام : «وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوّروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف» ص : ٢١ـ٢٢

ومما يوجب القطع بانّ سورة الفاتحة مكّيّة قوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» الحجر : ٧٥

وقد وردت الروايات الكثيرة باسانيد صحيحة تدلّ على انّ المراد بالسبع المثاني في هذه الاية هي سورة الفاتحة .

ولامراء في انّ سورة الحجر مكّيّة واستدلّ بذلك اعاظم المفسرين على مكّيّتها ولم يكن الله سبحانه ليمتنّ على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بايتائه فاتحة الكتاب وهو بمكّة ثم ينزلها عليه بالمدينة .

ولا يسعنا القول بانّ رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله قد أقام بمكة بضع عشرة سنة

يصلّى بلا فاتحة الكتاب ولاالزعم بانّه صلى الله عليه وآله ما كان يصلّى قبل نزول الفاتحة.

وهذا مما لايقبله عاقل فضلا عن فاضل.

وانّ الله تعالى يقول في اول ما انزله على نبيّه صلى الله عليه وآله: «ارايت الذى ينهى عبداً اذا صلّى» العلق: ٩-١٠

وايضا فمن المتّفق عليه انّ عليّ بن ابيطالب عليه السلام قد اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّى ومعه خديجة عليها السلام يوم بعثته وقيل: كان ذلك في غد ذلك اليوم.

ولم ترد رواية تقول: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى ولو صلاة واحدة بدون فاتحة الكتاب.

ولايخفى انّ اضافة (سورة) الى (الفاتحة) من اضافة العام الى الخاص نحو بلدة قم ونحو ذلك.

واضافة (فاتحة) الى (الكتاب) من اضافة الجزء الى الكل نحو يد زيد.

وعن عطاء: انّه سئل عن اىّ وقت انزلت فاتحة الكتاب؟ قال: انزلت بمكّة يوم الجمعة كرامة اكرم الله تعالى بها محمّدا صلى الله عليه وآله وكان معها سبعة آلاف ملك حين نزول بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال بعض الاعلام: وفي ذلك - في نزول فاتحة الكتاب مرّتين -

تنبيه: على شرفها وفضلها على سائر السور القرآنية.

ودلالة على انّ تحول القبلة لادخل في نفس الصلاة ولافي اركانها واجزائها بل انّما هي باقية على ما كانت.

ودلالة على صدق قول رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله واستمرار الحكم اذ قال: «لا صلاة الاّ بفاتحة الكتاب».

اقول: وردت الروايات العديدة في انّ سورة الفاتحة سبع آيات مع البسملة

منها: مارواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الأمالي والعيون باسناده عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: انّ بسم الله الرّحمن الرّحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان الله عزوجل قال لى : يا محمد «ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم» .

فافرد الامتنان علىّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن العظيم وانّ فاتحة الكتاب اشرف ما فى كنوز العرش وانّ الله عزوجل خصّ محمدا وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها احداً من انبيائه ما خلا سليمان فانّه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم .

ألا تراه يحكى عن بلقيس حين قالت : انّى القى الىّ كتاب كريم انّه من سليمان وانّه بسم الله الرحمن الرحيم الآ فمن قرأها معتقداً لموالات محمد وآله الطّيبين منقاداً لامرهما مؤمنا بظاهرهما وباطنهما اعطاه الله عزوجل بكلّ حرف منها حسنة كلّ واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها و خيراتها ومن استمع الى قارئ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارئ فليستكثر احدكم من هذا الخير المعرض لكم فانّه غنيمة لايذهبن أوانه فتبقى فى قلوبكم الحسرة .

ومنها : مارواه القمى فى تفسيره عن ابن اذنية قال : قال ابوعبدالله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم أحقّ ما اجهر به وهى الآية الّتى قال الله عزوجل : «واذا ذكرت ربّك فى القرآن وحده ولّوا على ادبارهم نفورا» الاسراء : ٤٦

ومنها : مارواه العيّاشى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : «و لقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم» .

قال : هى سورة الحمد وهى سبع آيات منها بسم الله الرحمن الرحيم وانّما سمّيت لانّها يثنّى فى الركعتين .

و منها : مارواه الكلينى قدس سره فى الكافى باسناده عن معاوية بن عمّار قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : اذا قمت للصلاة اقرء بسم الله الرحمن الرحيم فى فاتحة القرآن ؟ قال : نعم .

قلت : فاذا قرأت فاتحة القرآن اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة ؟

قال : نعم .

و منها : ما فى دعائم الاسلام عن جعفربن محمد عن ابيه عليهما السلام عن جابر قال : قال لى رسول‌الله صلى الله عليه وآله : كيف تقرأ اذا قمت فى الصلاة ؟

قال : قلت : الحمدلله ربّ العالمين .

قال : قل : بسم‌الله الرحمن الرحيم الحمدلله ربّ العالمين .

وفى تفسير العياشى : عن زرارة عن احدهما عليه السلام قال : فى بسم‌الله الرحمن الرحيم قال : هوالحقّ فاجهر به وهى الآية التى‌قال‌الله : «واذا ذكرت ربّك فى القرآن وحده ـ بسم‌الله الرحمن الرحيم ـ ولّوا على ادبارهم نفورا» كان المشركون يتسمّعون الى قرائة النبى صلى الله عليه وآله فاذا قرء : «بسم‌الله الرحمن الرحيم» نفروا وذهبوا فاذا فرغ منه عادوا وتسمّعوا

و فيه : عن منصوربن حازم عن ابى عبدالله عليه السلام قال : كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله اذا صلّى بالناس جهر ببسم‌الله الرحمن‌الرحيم فتخلّف من خلفه من‌المنافقين عن الصّفوف فاذا جازها فى السّورة عادوا الى مواضعهم وقال بعضهم لبعض . انّه ليردّد اسم ربّه تردادا انّه ليحبّ ربّه فانزل‌الله : «واذا ذكرت ربّك فى القرآن وحده» الاية . . وغيرها من الرّوايات الدالّة على جزئية البسملة للفاتحة .

وعليها اتّفاق الأمّة المسلمة .

وامّا غيرها من السّور القرآنيّة الاّ سورة التّوبة فانّها عند الشيعه الاماميّة جزء من كلّ سورة ايضا .

قال الشيخ فى (التبيان) : «عندنا بسم‌الله آية من الحمد ومن كلّ سورة»

و قال الطبرسى فى (المجمع) : «اتّفق اصحابنا ـ الاماميّة ـ انّها آية من سورة الحمد ومن كلّ سورة وانّ من تركها فى الصلاة بطلت صلاته سواء كانت الصلاة فرضا اونفلا وانّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقرائة ويستحبّ الجهر بها فيما يخافت فيه بالقرائة»

ويؤيّد ذلك ماورد فيه من الرّوايات :

منها : فى اسباب النزول للواحدى باسناده عن عبدالله‌بن عمر قال : نزلت

بسم‌الله الرحمن الرحيم فی کلّ سورة .

و منها : ما فيه ايضا باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّى نزل «بسم‌الله الرحمن الرحيم» .

و منها : مارواه العيّاشى رحمةالله تعالى عليه فى تفسيره باسناده عن عيسى بن عبدالله عن ابيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام قال : بلغه انّ أناسا ينزعون بسم الله الرحمن الرحيم فقال : هى آية من كتاب‌الله أنساهم ايّاها الشيطان .

و منها : ما فيه باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال سرقوا اكرم آية فى كتاب الله : بسم‌الله الرحمن الرحيم .

وفى اسباب النزول باسناده عن ابن عبّاس قال : كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله لا يعرف ختم السورة حتّى ينزل عليه : «بسم‌الله الرحمن الرحيم» .

وفى تفسير العياشى باسناده عن‌صفوان الجمّال قال : قال ابوعبدالله عليه السلام ما انزل‌الله من‌السماء كتابا الاّ وفاتحته بسم‌الله الرحمن‌الرحيم وانّما كان يعرف انقضاء السورة بها .

و فى تفسير الفخر : انّ معاوية قدم المدينة فصلّى بهم ولم يقرأ : «بسم‌الله الرحمن الرحيم» ولم يكبّر عند الخفض الى الركوع والسجود فلمّا سلّم ناداه المهاجرون والانصار :

يا معاوية سرقت منّا الصلاة أين «بسم‌الله الرحمن الرحيم» ؟ وأين التكبير عند الركوع والسجود ؟

ثمّ انّه اعاد الصلاة مع التسميّة والتكبير .

اقول : هذا بناء على تركه التسميّة من الحمد والسورة و كون الاعتراض على تركها فيهما معاً .

وفى تفسير الفخر : قال الشافعى : انّ معاوية كان سلطاناً عظيم القوّة شديد الشوكة فلولا انّ الجهر بالتسميّة كان الامر المتقرر عند كلّ الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب ترك التسمية .

ثم قال الفخر : وأمّا انّ علي بن ابيطالب رضى الله عنه كان يجهر بالتسميّة فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى فى دينه بعلى بن ابيطالب فقد اهتدى .

والدليل عليه قوله ﷺ : اللهم أدر الحق مع علىّ حيث دار .

ثم قال : من اتّخذ عليّاً اماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه و نفسه .

«(القرائة)»

(مالك يوم الدين)

تجوز فى «مالك» قرائتان : بالألف وإسقاطها وبهما وردت الرواية والقرائة أمّا الرواية ـ بالألف ـ ففى تفسير العيّاشى عن محمّد بن عليّ الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام انّه كان يقرأ «مالك يوم الدين» .

وباسقاطها ففيه ايضا عن داود بن فرقد قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقرء ما لا احصى : «ملك يوم الدين» .

وأمّا القرائة فقرأ عاصم بالألف والباقون من القرّاء السبعة باسقاطها قيل : إنّ الفرق بينهما انّ «مالك» بمعنى ذوالملك بكسر الميم و«ملك» بمعنى ذوالملك بضمها اى هوالمتصرف فى امور العقلاء المختارين بالامروالنهى والجزاء ولذا يقال : «ملك الناس» ولا يقال : « ملك الأشياء» .

وهو تعالى مالك جميع العالمين وسيّدهم ومصلحهم والمدبّر لامورهم فمعنى الملك يزيد على معنى المالك اذ لاملك الاّ وهومالك ولكن كثيراً ما يوجد مالك

وليس بملك فضلا عن كونه ملك يوم الدين .

وقيل : ان الملك صفة لذاته تعالى والمالك صفة لفعله .

وقرء حمزة «الصراط» باشمام الراء والباقون من غير إشمام وقرء حمزة «عليهم» بضم الهاء وإسكان الميم وكذلك «لديهم» و«اليهم» .

والباقون بكسر الهاء فى الجميع .

«الضآلين على وجوب المدّ فيه اتفاق القرّاء وسيرة العلماء .

«الوقف والوصل»

«العالمين لا» لاتّصال الصفة الآتية بالموصوف المتقدم «الرحيم لا» لذلك «الدين ط» لتمام الكلام «نعبد لا» للعطف «نستعين ط» لتمام الكلام ولابتداء الدعاء «المستقيم لا» لاتصال النعت «عليهم لا» لذلك «عليهم لا» للعطف .

﴿ اللغة ﴾

٢٤- الرحمة والرحمن والرحيم -٥٥٢

رحمه يرحمه رَحماً ورُحماً ورحمة ومرحمة ـ من باب علم ـ : رقّ له قلبه وعطف عليه فهو راحم، تراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، إسترحمه: إستعطفه.

ويقال في المبالغة: رحيم، والتفضيل: ارحم، وجمع رحيم رحماء قال تعالى: «رحماء بينهم» الفتح: ٢٩ ـ وفى حديث: «انما يرحم الله من عباده الرحماء».

و الرحمة من الله تعالى: الاحسان.

وفي الحديث القدسي: «رحمتي تغلب على غضبي» اى تعلق ارادتي بايصال الرحمة والاحسان الى الخلق وخاصة الانسان اكثر من تعلقها بايصال العقوبة فان الاول من مقتضيات صفته تعالى والغضب باعتبار المعصية.

وتطلق الرحمة ايضا على ما يكون سببا فى رحمة الله تعالى من كتاب و رسول ومطر و ما اليها من رحمة الله تعالى.

وتطلق على النعمة التى تنشأ عن الرحمة.

الرحمن: اسم من الرحمة ولايطلق الا على الله وحده، وان الرحمن و الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة وفى الحديث: الرحمن اسم خاص لصفة عامة و الرحيم اسم عام لصفة خاصة.

«وتواصوا بالمرحمة» البلد: ١٧ ـ اى اوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف و

التعطّف عليه ، جمعها مراحم ، المرحوم : المتوفى مولّدة ، الرحموت : الرحمة العظيمـة .

الرَحِم : مكان الجنين ووعاء النطفة فى جوف الانثى ، وفى الحديث : لا يؤكل من الذبيحة الرحم» ويراد منه منبت الولد ، الرُحام : داءٌ فى الرحم ، و جمعه ارحام قال الله تعالى : «يصوّركم فى الارحام كيف يشاء» آل عمران : ٦٠ . والرحم : القرابة وجمعه ارحام قال الله تعالى : «واتقوا الله الذى تسائلون به والارحام» النساء :١ - اى القرابات .

واولوا الارحام : هم ذووا القرابات مطلقا او الذين تربط بينهم الرحم لا العصب قال تعالى : « اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض » الانفال : ٧٥ - اى ذووا القرابات .

وقـوله تعالى : «وتقطعوا ارحامكـم» محمد صلى الله عليه وآله : ٢٢ - تقطيع الارحـام كناية عن ترك المودة والتواصل وفساد العلاقات ، وفى الحديث : « صلوا ارحامكم » وقوله تعالى : «لن تنفعكم ارحامكم» الممتحنة : ٣ - اى قراباتكم .

والرحم : المحرمة التى لايجـوز نكاحها من الأمّ والبنت والاخت و العمّة والخالة وما اليهنّ من المحرمات .

فى المفردات : الرحم : رحم المرأة ، وامرأة رحوم : تشتكـى رحمها ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة .

يقال : رحم ورحم قال تعالى : «واقرب رحماً» .

والرحمة : رقة تقتضى الاحسان الى المرحـوم وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلانا .

واذا وصف به البارى فليس يراد به الاّ الاحسان المجرد دون الرقة .

وعلى هذا روى انّ الرحمة من الله انعام وافضال ومن الآدميين رقة وتعطّف وعلى هذا قول النبى صلى الله عليه وآله ذاكرا عن ربه : «انه لما خلق الرحيم قال له : انا الرحمن وانت الرحيم شققت اسمك من اسمى فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتتّه» .

فـذلك اشارة الى ما تقدم وهو ان الرحمة منطوية على معنيين : الرقّة و الاحسان فركز تعالى فى طبائع الناس الرقّة وتفرّد بالاحسان فصار كما أنّ لفظ الرحم من الرحمة فمعناه الموجود فى الناس من المعنى الموجـود لله تعالى فتناسب معناهما تناسب لفظيهما .

والرحمن والرحيم نحو : ندمان ونديم ولايطلق الرحمن الاّ على الله تعالى من حيث ان معنـاه لايصح الاّ له اذ هـو الـذى وسع كل شىء رحمة والرحيم يستعمل فى غيره .

وقيل : ان الله تعالى هو رحمن الـدنيا ورحيم الاخرة وذلك لأن احسانه فى الدنيا يعمّ المؤمنين والكافرين وفى الاخرة يختصّ بالمؤمنين وعلى هذا قال : «ورحمتي وسعت كل شىء فسا كتبها للذين يتقون» .

تنبيها انها فى الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفى الاخرة مختصّة بالمؤمنين انتهى كلامه .

وفى مجمع البحرين : الاسترحام : مناشدة الرحم ، ورحمت الرجل : اذا رققت له وحسنت عليه ، وفى الحديث : «انّ لله تعالى مأة رحمة» قصد به ضرب التفاوت بين الدنيا والاخرة لاالتحديد .

و فى النهاية : فـى اسمـاءِ الله تعالى : «الرحمن الرحيم» وهما اسمان مشتقان من الرحمة مثل ندمان ونديم وهما من ابنية المبالغة ورحمان ابلغ من الرحيم والرحمن خاصّ لله لايسمّى به غيره ولايوصف والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال : رجل رحيم ، ولايقال : رحمن .

الرحم بالضم : الرحمة ومنه حديث مكة «هى ام رحم» اى اصل الرحمة .

ذوالرحم : هم الاقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب .

وفى اللسان : الرحمة : الرقة والتعطّف والمغفرة .

وقوله تعالى فى وصف القرآن : «هـدى ورحمة لقوم يؤمنون» اى فصلّناه هاديا وذارحمة ، وقوله تعالى : «ورحمة للذين آمنوا منكم» اى هو رحمة لانه كان

سبب ايمانهم ، وترحّمت عليه اى قلت : رحمةالله عليه .

واسترحمه : سئله الرحمة .

والله الرحمن الرحيم بنيت الصفة الاولى على فعلان لان معناه الكثرة و ذلك لان رحمته وسعت كل شيء وهو ارحم الراحمين ، فأمّا الرحيم فانما ذكر بعد الرحمن لان الرحمن مقصور على الله عزوجل والرحيم قد يكون لغيره .

قال الفارسى : انما قيل : بسم‌الله الرحمن الرحيم فجيىء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به فى قوله تعالى : «وكان بالمؤمنين رحيما» .

ومعناه عند اهل اللغة ذوالرحمة الّتى لاغاية بعدها فى الرحمة لان فعلان بناء من ابنية المبالغة ورحيم فعيل بمعنى فاعل .

والرحمن من الاسماء الحسنى مختص بالله تعالى وهو يستعمل غالبا صفة له نحو : بسم‌الله الرحمن الرحيم ، وقد يستعمل اسما موصوفا كقوله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» .

وسمى الله الغيث رحمة لانه برحمته ينزل من السماء وقوله تعالى حكاية عن ذى القرنين : «هذا رحمة من ربى» اراد التمكين الذى قال به «ما مكّننى فيه ربى خير» ان هذا التمكين الذى آتانى‌الله حتى احكمت السد رحمة من ربى .

و فى القاموس وشرحه قال القاشانى : الرحمة على قسمين : امتنانيّة و ووجوبيّة فالامتنانية هى الرحمة المفيضة للنعم السابقة على العمل وهى التى وسعت كل شيء .

واما الوجوبية فهى الموعود للمتقين والمحسنين فى قوله تعالى : «فسا كتبها للذين يتّقون» وفى قوله تعالى : «انّ رحمةالله قريب من المحسنين» قال وهى داخلة فى‌الامتنانية ايضا لان الوعد بها على العمل محض المنّة .

و فى تفسير الثعلبى : الرحمة : ارادةالله الخير باهله وهى على هذا صفة ذات وقيل : ترك العقوبة لمن يستحق العقوبة وإسداء الخير الى من لايستحق وعلى

هذا صفة فعل .

وفيه : وقد فرّق بينهما قوم فقالوا : الرحمن العاطف على جميع خلقه كافرهم ومؤمنهم وفاجرهم بان خلقهم ورزقهم والرحيم بالمؤمنين خاصّة بالهداية و التوفيق فى الدنيا والثواب فى العقبى .

فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى .

فالرحمن خاص من حيث انه لايسمى به احد الاّ الله عام من حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع والرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين فى التسمّى به خاص من طريق المعنى لانه يرجع الى اللطف والتوفيق وهذا قول جعفر الصادق عليه السلام : الرحمن اسم خاص لصفة عامة و الرحيم اسم عام لصفة خاصة ، انتهى كلامه .

٧١- الحمد -٣٥٩

حمده يحمده حمداً - من باب علم - : اثنى عليه بالجميل فهو حامد وهو محمود ، الحمد : نقيض الذم وهو اعم من الشكر لانّك تحمد الانسان على صفاته الذاتيّة وعلى عطائه ولاتشكره على صفاته .

والحمدلله : ثناء على الله تعالى بتمجيده وتعظيمه قال الله تعالى حكاية عن الملائكة : «ونحن نسبّح بحمدك» البقرة : ٣٠ - اى نسبّح مثنين عليك بتمجيدك و تعظيمك والحميد فى صفات الله تعالى معناه المحمود قال تعالى : «وكان الله غنياً حميداً» النساء : ١٣١ .

وحمّدالله : اثنى عليه مرّة بعد مرّة .

الحمدة - كهمزة - : المكثر الحمد للاشياء ، الحمّاد : الكثير الحمد ، الحمود : الحامد والمحمود ، الحميد : الحامد والمحمود ، المحمدة : ما يحمد به جمعها محامد .

حمدل : القارى الذى يقول : الحمد لله .

واحمد : علم منقول من افعل التفضيل بمعنى الاكثر حمدا وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله فى التوراة والانجيل قال تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليه السلام : «و مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد» الصف : ٦

ومحمد : علم من معنى وهو من كثرت خصاله المحمودة وهم اسم نبينا صلى الله عليه وآله قال تعالى : «وما محمد الا رسول قد دخلت من قبله الرسل» آل عمران : ١٤٤

تحمّد به وعليه : امتنّ ، يقال فلان يتحمّد الناس بجوده اى يريهم انه

محمود حمدة النار : صوت التهابها .

محمود : ايضا اسم الفيل الذى جاء به ابرهة الأشرم حين رحف على مكة ليهدم البيت الحرام .

فى المفردات : الحمدلله تعالى : الثناء عليه بالفضيلة وهو اخص من المدح واعم من الشكر فان المدح يقال فيما يكون من الانسان باختياره ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يمدح الانسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه .

والحمد يكون فى الثانى دون الاول والشكر لايقال الافى مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكراً و كل حمد مدح وليس كل مدح حمداً ويقال : فلان محمود اذا حمد ومحمد اذا كثرت خصاله المحمودة ومحمد اذا وجد محمودا .

وقوله عز وجل : «انه حميد مجيد» يصح ان يكون فى معنى المحمود و ان يكون فى معنى الحامد وقوله عزوجل : «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد» فاحمد اشارة الى النبى صلى الله عليه وآله باسمه وفعله تنبيهاً انه كما وجد اسمه احمد يوجد وهو محمود فى أخلاقه وأحواله وخص لفظة احمد فيما بشر به عيسى عليه السلام تنبيها انه احمد منه ومن الذين قبله .

وقوله تعالى : « محمد رسول الله » فمحمد ههنا وان كان من وجه اسما له علما ففيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك فى قوله تعالى : « انا نبشرك بغلام اسمه يحيى » انه على معنى الحياة كما بين فى بابه ، انتهى كلامه .

وفى النهاية : فى أسماءالله تعالى : «الحميد» اى المحمود على كل حال فعيل بمعنى مفعول والحمد والشكر متقاربان والحمد اعمهما .

ومنه الحديث : « الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لايحمده » كما ان كلمة الاخلاص رأس الايمان وانما كان رأس الشكر لان فيه إظهار النعمة والاشادة بها ولانه اعم منه فهو شكر وزيادة .

وفى مجمع البحرين : الحمد : هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم و التبجيل للممدوح سواء النعمة وغيرها والشكر فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً سواء كان باللسان او بالجنان او بالأركان .

فالحمد اعم من جهة المتعلق واخص من جهة المورد والشكر بالعكس .

وفى نهج البلاغة : قال اميرالمؤمنين علي عليه السلام : «الحمدلله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر » .

قال بعض الشارحين : يعنى انه تعالى انعم على سبيل التفضل اولاً ثم امر المكلفين ان يحمدوه على نعمه كما هو مركوز فى بداية العقول ثم زادهم على حمدهم نعما اخرى كما قال : « لئن شكرتم لازيدنكم » .

ومن غير بعيد ان يكون المراد انه تعالى تفضل بالنعم اولاً ثم أوصل ذلك بنعمة الحمد بان ألهم عباده الحمد عليها ثم أوصل النعم بالشكر اذ قال : «لئن شكرتم لازيدنكم » كما فى خطبة التفسير .

وفى اللسان : الحمد : نقيض الذمّ ومنه المحمدة خلاف المذمّة يقال : اتينا فلانا فاحمدناه واذ ممناه اى وجدناه محمودا ومذموما .

وفى التهذيب : التحميد : كثرة حمدالله سبحانه بالمحامد الحسنة وهو ابلغ من الحمد .

وفى القاموس : وشرحه : الحمد قد يكون شكرا للصنيعة ويكون ابتداء للثناء على الرّجل فحمدالله : الثناء عليه ويكون شكر النعمة الّتى شملت الكل .

والحمد : الرضا والجزاء وقضاء الحق ، حمده شكره وجزاه وقضى حقه .

احمد فلانا : اذا رضى فعله ومذهبه ، احمد أمره : صار عنده محمودا .

٥٨- الملك -١٤٥٦

ملكه يملكه مِلكا ومُلكا وملكةً ومملكة بتثليث اللاّم - من باب ضرب- إستولى عليه وكان فى قدرته أن يتصرف فيه بما يريد يعطيه من يشاء ويمنعه من يشآء .

ويكون ذلك فى الأعيان والمعانى ومن ذلك ملك الله تعالى السّمع والبصر و الموت والحياة قال تعالى : « أمّن يملك السمع والأبصار » يونس : ٣١

اى يتصرف فيهما تصرف المالك بالإعطاء والمنع والإثبات والنفى او يملك خلق السمع والابصار فيكون الملك بمعنى الاستطاعة والقدرة .

يقال : ملك الشيء ملكا وملكا : قدر عليه واستطاعه .

وقال تعالى : « اولم يروا انّا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون » يس : ٧١ .

اى مالكون لها بحق التصرف فيها وحوز ايديهم لها وهم يستطيعون قودها لاتتأبى عليهم : وفى الحديث : « أملك عليك لسانك » اى لاتجره الاّ بما يكون لك لاعليك وتقول من هذا : لا املك هذه الدّابة الحرون اى لا استطيع ضبطها ولا تنقاد لي وتقول : فلان ملك نفسه عند شهوتها » اى قدر على حبسها وتقول : لا أملك لفلان نفعاً ولاضراً ولااملك الاّ نفسى .

ويقال : ملكت المرأة امرها : جعل امر طلاقها بيدها .

ويسند الملك الانسان الى يده اليمنى وذلك ان اليها مظهر التصرف والقدرة و تذكر اليمين فى المحاسن وما يحب فيقال : ملكت يمينى كذا والمراد : ملكت

كذا وغلب ملك اليمين فى ملك الرّقيق من عبد او أمة ملكه الشي : جعله ملكا له ومن ثبت له الملك فهو مالك .

و مالك من الملائكة الموكلين بجهنم .

و يقال ملّك مفاتيح البيت اوالخزانة لغيره : جعل له حق التصرف فى البيت او الخزانة كأن يأن له المالك او يكون وكيلة او يكون سيّد العبد الّذى تحت يده بعض المال .

قال تعالى : « او ملكتم مفاتحه » النور : ٦١ ـ اى ما كان لكم التصرف فيه من مال غيركم .

وقال : « قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربّى لامسكتم خشية الاملاق » الاسراء : ١٠٠ ـ اى كان لكم التصرف فيها بالمنح والمنع .

و يقال : ملك الناس مُلكا : كان له التصرف فيهم بالامر والنهى والسيادة عليهم وكان عليهم الطاعة له اذا كان هو الحق .

كما فى قوله تعالى : « وقال لهم نبيّهم انالله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّىٰ يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال انالله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء » البقرة : ٢٤٧

فالملك الحق يسود على الناس ويتصرف فيهم ويستولى عليهم فلابدّ لهم ان يطيعوه له فيحكم عليهم بما انزلالله تعالى من غير استبداد وطلاقة عنان .

الملك والمليك وصفان ، والملك من مصادر ملك ويقال : فعلت هذا الشيء بملكى اىبتصرفى وقدرتى الخاصة ، وما فعلته ، بملكى اىلم افعله بتصرفىالذّاتى وإنما غلبت عليه بما زيّن لى او قهرت عليه .

قال تعالى : « قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا » طه : ٨٧ .

المُلك من مصادر ملك واشتهر فى صفة الملك وسلطانه وقد يراد به العزّة وقد يراد به النّبوّة .

والمَلِك المطلق هـو الله تعالى يتصرّف ويحكم ولامعقّب لحكمـه جمعـه ملوك قال تعالى: « قل اعوذ بربّ النّاس ملك النّاس » النّاس ١ـ٢.

وقـال: « اذ كروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا » المائدة ٢٠.

المليك: الملك الواسع السلطان وورد مرادا به الله تعالى جمعه ملكاء، قال تعالى: « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » القمر: ٥٥.

مليك النّحل: يعسوبها.

الملكوت: الملك العظيم والسطـان القاهـر وما يقع تحت سيادة الملك و ملكوت السموات والارض: ما فيهما من آيات وعجآئب الملكوت: محل القديسين فـى السماء قـال تعالى: « وكـذلك نرى ابراهيم ملكـوت السموات والارض » الانعام: ٧٥.

ملاك الامر بفتح الميم: قوامه الذى يملك به يقال: القلب ملاك الجسد وبكسر الميم: الطين وقوام الامر الذى يملك به.

ملك الدابة: قوائمها وهاديها.

الملكة ـ محركه ـ: صفة راسخة للنفس.

المملك: اسم مفعول من ملّكه اذا جعله ملكا لنفسه.

فـى المفردات: الملك: هو المتصرف بالامر والنهى فى الجمهـور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال: ملك الناس ولايقال: ملك الأشياء، وقـوله « ملك يوم الدين » فتقديره الملك فى يوم الدين وذلك لقوله: « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ».

والملك: ضبط الشىء المتصرف فيـه بالحكم والملك كالجنس للملك فـكل ملك ملك وليس كل ملك ملكا.

والملكوت مختص بملك الله تعالى وهو مصدر ملك فيه التاء نحـو رحموت ورهبـوت.

والمملكة سلطان الملك وبقاعه التى يتملّكها والمملوك يختصّ فى التعارف بالرقيق من الأملاك قال تعالى : «عبدا مملوكا» وقد يقال : فلان جواد بمملوكه اى بما يتملّكه .

والملكة تختصّ بملك العبيد ويقال : فلان حسن الملكة اى الصنع الى مماليكه وخصّ ملك العبيد فى القرآن باليمين قال تعالى : «اوما ملكت ايمانكم»

وملاك الامر : ما يعتمد عليه منه والملاك : التزويج ، وأملكوه : زوّجوه شبّه الزوج بمالك عليها فى سياستها .

و فى النهاية : وفى الحديث : «ملاك الدين الورع» الملاك بالكسر و الفتح : قوام الشيء ونظامه وما يعتمد عليه وفيه .

وفى مجمع البحرين : يقال : الجبروت فوق الملكوت كما ان الملكوت فوق الملك والواو والتاء فيه زائدتان .

و فى اللسان : الملك هوالله تعالى وتقدّس ملك الملوك له الملك و هو مالك يوم الدين وهو مليك الخلق اى ربهم ومالكهم وملك الله وملكوته : سلطانه وعظمته ، والملك مقصور من مالك او مليك .

الملك مثلّث الميم مع سكون اللام : احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به

اقول : ولكنها تقيّد فى الشرع بما يجوز إعمالها فيه .

وفى القاموس : و شرحه : جمع الملك : الملوك وجمع الملك : الأملاك ، وجمع المليك : ملكاء ، وجمع المالك : المُلّاك والمُلّك ، و جمع المملوك : مماليك ملك الطريق مثلث الميم : وسطه ومعظمه وحدّه .

٢٢- اليوم -١٧٣٤

اليوم يجمع على الأيّام ، وهو يجيىء لما يأتى .

١- اليوم : الزمن الممتدّ من الفجر الصادق الى ذهاب الحمرة المشرقيّة كما فى ايّام الصوم وهو اليوم الشرعىّ .

قال الله تعالى : « يا ايّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات ـ وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتمّوا الصيام الى الليل » البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٧ .

٢- اليوم : الزمن الممتدّ من طلوع الشمس الى غروبها وهذا هو اليوم العادى

قال الله تعالى : « قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم » البقرة : ٢٥٩

اريد باليوم هنا : اليوم العادى .

٣- اليوم الزمن المطلق اى مطلق الوقت تقول : جئنى يوما اى زمنا فى ليل او نهار .

قال الله تعالى : «كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية » الحاقة : ٢٤ . اريد بالايام : مطلق الاوقات التى كانوا يعبدون الله تعالى ويسابقون الخيرات فيها ليلا ونهارا وقال تعالى : « اليوم احل لكم الطيبات » المائدة : ٥ .

وفى الحديث : «تلك ايام الهرج » اى وقته من غير اختصاص بالنهار دون الليل ، وفى حديث آخر « لاتعادوا الايام فتعاديكم » .

٤- اليوم : زمن مقدّر بمقدار لايعلمه الا الله تعالى كما فى ايام خلق

السموات والارض .

قال الله تعالى : « الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستّة ايام » الفرقان : ٥٩ . اليوم هنا مقدّر عند الله تعالى بلا ريبة وان لايعلمه الاّ هو جل وعلا .

٥- اليوم : الزمن الحاضر اى وقت التكلم تقول : اليوم أراك مسرورا او حزينا اى الآن .

وقول العرب : انا اليوم افعل كذا ، لايريدون يوما بعينه بل يريدون الوقت الحاضر .

٦- اليوم : الكون يقال : نعم الأخ فلان فى اليوم اذا نزل بنا اى فى الكائنة من الكون اذا حدثت .

٧- اليوم : زمن مقرون به حدث من الاحداث قلّ ذلك الزمان او كثر ، يقال : وهو عالم بايام العرب اى بوقائعها .

ويأتى فيه ما يأتى :

الف- يأتى ليوم القيامة ويعبّر عنه بعبارات مختلفة كيوم الدّين ويوم البعث ويوم الفصل ويوم التناد واليوم الاخر ويوم لابيع فيه ولاخلّة ويوم لاريب فيه ويوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ويوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه وعذاب يوم عظيم ويوم يجمع الله الرسل ويوم ينفع الصادقين صدقهم ويوم نحشرهم جميعا يوم ينفخ فى الصور يوم يأتى تأويله وغيرها من التعابير .

ب- يأتى لزمن الحرب كيوم بدر ويوم حنين ويوم الجمل ويوم صفين .

ج- يأتى للنقمة الّتى تقع على العصاة كايام الله تعالى مع عاد وثمود قال الله تعالى : « فهل ينتظرون الاّ مثل ايام الذين خلوا من قبلهم » يونس : ١٠٢ اريد بالايام : النقم والعقوبات الّتى وقعت عليهم .

د- يأتى للنعم الّتى يسبغها الله تعالى على عباده .

قال الله تعالى : « وذكّرهم بايام الله » ابراهيم : ٥

فان اضافة الايام الى الله تعالى تدل على تشريف لأمرها لما أفاض عليهم من

نعمة فيها .

هـ - يأتي للدولة والنصرة ومن ذلك قولهم : « الايام دول بين الناس ، قال الله تعالى : « تلك الايام نداولها بين الناس » آل‌عمران : ١٤٠ الايام : الدول و الولايات والظفر .

٨- يضاف (يوم) الى (اذ) المضاف الى جملة تقول : أزورك يوم تزورني وقد تحذف الجملة وينوّن اذ تقول : أزورك يومئذ .

في المفردات : اليوم : يعبّر به عن وقت طلوع الشمس الى غروبها وقد يعبّر به عن مدّة من الزمان ایّ مدة كانت قال تعالى : « ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » .

و في اللسان : يوماه : يوم بؤس ويوم نعم فاليوم ههنا بمعنى الدّهر اى هو دهره كذلك .

و في تاج العروس : اليوم : الدهر وبه فسّر قولهم : يوماه : يوم‌ندى ويوم طعان .

و في اللسان : وقالوا : انا اليوم افعل كذا ، لايريدون يوما بعينه و لكنّهم يريدون الوقت الحاضر .

ومنه قوله عزوجل : « اليوم اكملت لكم دينكم » المائدة : ٣.

قال الزبيدي : وذلك حسن جائز .

وقالوا : اليوم يومك يريدون التشنيع وتعظيم الأمر .

ويقال : عند الشدة والامر العظيم : اليوم اليوم .

جمع اليوم : ايام واصله ايوام ولكن العرب اذا وجدوا في كلمة ياءً وواواً في موضع والاولى منهما ساكنة ادغموا احداهما في الاخرى وجعلوا الياء هي الغالبة كانت قبل الواو او بعدها .

ومثله السيّد والميّت .

٣ـ العبد والعبادة ـ٩٦٨

عبده يعبده عبدا وعبادة ومعبداً ـ من باب نصر ـ : خضع وتذلل وأطاعه و التزم شرائع دينه ووحدّه في العبادة .

العبادة : الطاعة وغاية التذلل والتعظيم والخضوع لديه تعالى .

وعبدعليهعبداً وعبدة ـ من باب علم ـ : غضب وجحدوأنف وعبد ـ ككرم ـ : استرقّ . تعبّد الرجل : تنسّك وانفرد للعبادة وعبّده بالتشديد واعتبده و استعبده : اتخذه عبدا .

ويطلق العبد على المذكر والمؤنث العبد اطلاقا هو الانسان الذى يعبد الله تعالى وحده الاّ اذا اضيف كعبدة الدرهم والدينار وعبدة الطاغوت وعبيد الدنيا و هكذا وهكذا في الرقاق .

وجمع العبد العابد : عباد ، وجمع العبد الرقيق : عبيد وقد تجمع على العباد وللعبد خمسة وعشرون جمعا على ما في التاج .

والعبد ابلغ من العابد .

العبد : المملوك ضده الحرّ واذا اضيف العبيد الى الله تعالى اعم من العبد .

من الحسّى : العبد ـ بالسكون ـ : نبات طيّب الرائحة تكلّف به الابل لانه ملبنة مسمنة .

والعبدة ـ بالتحريك ـ : القوّة والحرص والسّمن والانكار والمنع و الاسراع والبقاء من المعانى المتصلة الاصل الّتى ينتهى بعضها الى بعض ، ومنها الأنفة والغضب والجرب الشديد والندامة وملامة النفس وكلها بسبب من الاصل

الحسّى لنبات العبد .

وقالوا : طريق معبّد وبعير معبّد وسفينة معبّدة اى عولجت كلها بما يصلحها ويأخذونها من معنى التذليل ليجعلوا العبادة التذلّل والخضوع .

المعبد : موضع يعبد فيه جمعه معابد .

فى المفردات : العبوديّة : اظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لانّها غاية التذلل ولايستحقها الاّ من له غاية الإفضال وهوالله تعالى ولهذا قال : « الا تعبدوا الاّ اياه » .

والعبادة ضربان : عبادة بالتسخير ـ وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق و هى المأمور بها فى نحو قوله : « اعبدوا ربكم » و « واعبدوالله » .

والعبد يقال على أربعة أضرب : الاول : عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذى يصحّ بيعه وابتياعه نحو « العبد بالعبد ـ وعبدا مملوكا لايقدر على شيء » .

الثانى : عبد بالايجاد وذلك ليس الاّلله وإياه قصد بقوله : « ان كل من فى السموات والارض الاّ آتى الرّحمن عبداً » .

والثالث : عبد بالعبادة والخدمة ، والثانى فى هذا ضربان : عبدلله مخلصا و هو المقصود بقوله : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

وعبد للدنيا وأعراضها وهوالمعتكف على خدمتها ومراعاتها واياه قصد النبى صلى الله عليه وآله : بقوله : « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار » .

وعلى هذا النحو يصح ان يقال : ليس كل انسان عبداً لله فانّ العبد على هذا بمعنى العابد لكن العبد أبلغ من العابد والناس كلهم عبادالله بل الاُشياء كلها كذلك لكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار .

وفى النهاية : فى حديث الإستقساء : « هؤلاءِ عبدّاك بفناءِ حرمك » العبدّاء بالقصر والمدّ جمع العبد كالعباد والعبيد .

ومنه حديث عامر بن الطفيل انه قال للنبى صلى الله عليه وآله : « ما هذه العبدّا حولك يا محمد ؟ » اراد فقراء اهل الصّفة وكانوا يقولون : اتبعه الارذلون .

اعتبد : اتخذه عبدا ومنه الحديث « ثلاثة أنا خصمهم : رجل اعتبد محررا »

وفي حديث على عليه السلام : « وقيل له : انت امرت بقتل عثمان واعنت على قتله فعبد وضمد » اى غضب غضب أنفة .

ومنه حديثه الاخر « عبدت فصمت » اى أنفت فسكت .

وفي مجمع البحرين : العبادة : بحسب الاصطلاح هى المواظبة على فعل المأمور به ، والتعبّد : التنسك ومنه « سجدت لك يا رب تعبداً ورقاً » .

العبد المتعبد : الدائم على العبادة اى الخضوع والتذلل لله .

والعبادة : هى غاية الخضوع والتذلل ولذلك لاتحسن الا لله تعالى الذى هو مولى أعظم النعم فهو حقيق بغاية الشكر .

قوله تعالى : « ان كان للرحمن ولد فانا أوّل العابدين » الزخرف : ٨١ . يعنى ان كنتم تزعمون للرحمن ولدا فانا اول الجاحدين لما قلتم والآنفين من قولهم : (عبد) اذا جحد وأنف .

وقوله تعالى : « ونحن له عابدون » البقرة : ١٣٨ اى خاضعون اذلّاء من قولهم (طريق معبّد) اى مذلّل قد عثر فيه الناس .

قوله : « اياك نعبد » اى نخصّك بالعبادة وهى ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفيّة وهى أقصى غاية الخضوع والتذلل .

وفي اللسان : عبدالله يعبده عبادة ومعبدا ومعبدة - من باب نصر - : تألّه له العبادة : الطّاعة « اياك نعبد » اى نطيع الطاعة التى يخضع معها .

ومعنى العبادة فى اللّغة : الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبّد اذا كان مذللاً بكثرة الوطء .

واصل العبودية : الخضوع والتذلل ، ويقال : فلان عبد بيّن العبودة والعبودية والعبديّة .

فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لامره وقوله تعالى : « اعبدوا ربكم » اى اطيعوا ربكم ، يقال للمسلمين : عبادالله والعابد : الموحد . وللمشركين :

عبدة الطاغوت اى اطاعوه فيما سوّل لهم وأغواهم .

العبد : المملوك خلاف الحرّ والجمع أعبد وعبيد وعبد ومن الجمع عبدان بكسر العين وسكون الباء وفى حديث عليّ عليه السلام : « هؤلآء قد ثارت معهم عبدانكم » والعبدان بالضمّ ثم السكون وعبدّان بتشديد الدال وأعابد جمع أعبد .

المتعبّد : المنفرد بالعبادة والمعبّد : المكرم المعظّم كأنه يعبد ، التعبد : التنسّك والتذلل ، والتعبيد : التذليل والاستعباد : اتخاذ العبد والمعبّدة : السفينة المقيّرة .

وعبد عليه عبداً وعبدة ـ من باب علم ـ فهو عابد وعبدٌ : غضب وأنف ، و العبد : طول الغضب .

وقال بعضهم فى قوله تعالى : « ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين » اى الآنفين ، وقال بعضهم : فانا اول الجاحدين ، وقال بعضهم : فانا اول من تعبّده على الوحدانية مخالفةً لكم .

و **فى القاموس** وشرحه : اصل العبودية : الذّلّ والخضوع .

فلان عابد : خاضع لربه مستسلم منقاد لامره .

وعبد به : لزمه فلم يفارقه ، وما عبدك عنّى : ما حبسك ، وقوله تعالى : « فادخلى فى عبادى » اى حزبى .

وقال بعض اللغويين : العبودة : الرضا بما يفعل الرب والعبادة فعل ما يرضى به الرب .

العبد : النّصل القصير العريض والعبد جبل لبنى أسد يكتنفه جبلان اصغر منه يسمّيان الثدين والعبد بالتحريك : الغضب ، العبد : الجرب الشديد لاينفعه دواء ، والعبد : الندامة على فائت والملامة على النفس لتقصير وقع منها .

والعبد : الحرص والانكار ، والعبدة : القوّة والسمن والبقاء .

٩٧- العون والاعانة والاستعانة -١٠٦٢

عان يعون عونا ومعانةً ومعونةً - من باب قال - : ساعد .

الحسّى فى المادّة للقوّة والفائدة ، العوانة : الباسقة من النخل ، والعوانة : الدابة وبها سمّوا الرجل ، والعانة : الحظّ من الماء بلغة عبد القيس وكأنّه من ذلك قيل : العون : الظهير على الأمر المقوّى عليه ، واعانه : ظاهره وقوّاه ، و تعاونا : تبادلا المعونة .

واستعان به : طلب منه الإعانة ، والمفعول من ذلك مستعان .

وفى الدعاء : « رب أعنّى ولاتعن علىّ » وفى الحديث : « اذا قلّت المعونة كثرت المؤونة ولابدّ للناس من معاون » .

ولعلّ من القوّة فى اصل المادة قولهم : العوان من البقر والخيل : التى تنجب بعد بطنها البكر فهى نصف بين المسنّة والصغيرة وذلك اقوى لها .

ومنه قالوا : الحرب العوان اى التى جائت بعد حرب قبلها وقد وردت وصفا للبقرة فى قوله تعالى : « عوان بين ذلك » البقرة : ٦٨

يقال : عانت المرأة تعون عونا : صارت عوانا .

العانة : منبت الشعر فوق قبل المرأة وفوق ذكر الرجل .

والشعر النابت عليهما يقال له : الشعرة ، وهى علامة البلوغ .

وفى الخبر فى قصة بنى قريظة « من كان له عانة فاقتلوه » .

فى المفردات : العون : المعاونة والمظاهرة ، يقال : فلان عونى اى معينى وقد اعنته ، والتعاون : التظاهر قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى و

لاتعاونوا على الاثم والعدوان » .

والاستعانة: طلب العون قال: « واستعينوا بالصبر والصلاة » .

والعوان: المتوسط بين السنين وجعل كناية عن المسنّة من النساء اعتباراً بنحو قول الشاعر: فان اتوك فقالوا انها نصف ـ فان امثل نصفيها الذى ذهبا قال: « عوان بين ذلك » .

واستعير للحرب التى قد تكرّرت وقدّمت ، وقيل: العوانة للنخلة القديمة ، والعانة قطيع من حمر الوحش وجمع على عانات وعون .

وفى مجمع البحرين: العوان بالفتح: النصف من النساء والبهائم بين الصغير والكبير والجمع عون .

وفى الحديث: « انّ احب عباداللّه عبدا اعانه‌اللّه على نفسه » يعنى كسر شهواته فى القبائح بان فعل به لطفا اختار عنده الطاعة واجتناب المعصية .

وان شئت قلت: اعانه‌اللّه تعالى على نفسه: افادته تعالى لعقله قوة قهر نفسه الامّارة بالسّوء .

والعون: الظهير على الامر ، والعون: اسم سيف كان لرسول‌اللّه صلى الله عليه وآله و المعونة: الاعانة ، وفى الحديث: « تنزل المعونة على قدر المؤونة » وذلك لتكفل اللّه تعالى بالارزاق .

و فى النهاية: فى حديث على عليه السلام: « كانت ضرباته مبتكرات لاعونا » العوان جمع العوان وهى‌التى‌وقعت مختلسة فاحوجت الى المراجعة ومنه الحرب العوان اى المتردّدة يعنى ان ضرباته كانت قاطعة ماضية لا تحتاج الى المعاودة والتثنية .

و فى اللسان: العون: الظهير على الامر ، الواحد والاثنان والجمع و المؤنث‌فيه‌سواء . ورجل‌معوان: حسن‌المعونة ، ورجل‌معوان: كثيرالمعونة‌للناس .

و فى القاموس وشرحه: قال الليث: كلّ شىء اعانك فهو عون لك كالصّوم عون على العبادة . والعوان: الارض الممطورة بين ارضين لم تمطر .

والعوانة : النّخلة الطويلة .

و **في اساس اللغة** : امرأة متعاونة : سمينة في اعتدال ساقها ليست بخدلة و لا حمشة .

وفي التاج : النّحويون يسمّون الباء حرف الاستعانة وذلك انك اذاقلت ضربت بالسيف و كتبت بالقلم - فكأنك قلت : استعنت بهذه الأدوات على هذه الافعال .

وضربة عوان : اذا وقعت مختلسة فأحوجت الى المراجعة .

١٤- الهدى والهداية -١٥٩٨

هداه الشيء واليه وله يهدى هدياً وهدىً وهداية - من باب ضرب - : أرشده ، الهدى : الدّلالة والارشاد ضدّ الضّلال والإضلال، فهو هاد وذاك مهدى يجيىء لما يأتي :

١- يقال : هداه الطّريق ونحوه واليه وله : عرّفه له وأزال حيرته فيما يسلك .

تقول : هديت الحاجّ طريق مكّة ، وقد يحذف احد المفعولين او كلاهما للعلم به قال الله تعالى : « أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح » النمل : ٦٣ الهداية هنا : الارشاد الى الطريق الحسّى .

وقال تعالى : « قال كلاّ انّ معى ربى سيهدين » الشعراء : ٦٢ اى يدلّنى على طريق النجاة .

٢- يقال : هداه الحقّ ونحوه واليه وله : أرشده اليه ودلّه عليه بلطف و

دلالة من شأنها ان توصّل الى البغية ويكون ذلك فى الخير .

وهذا مجاز عن المعنى السّابق اذ هذا فى المعانى وذاك فى الحسّيّات ، تقول : هديته الى الرشاد فاهتدى وهديته الى الرشاد فما ارعوى عن غيّه .

ومن هذا الهدى المنسوب الى الأنبياء والكتب السّماوية و كذا الى الوعّاظ ومن جرى مجراهم .

قال الله تعالى : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » فصلت : ١٧. الهدى : الدّلالة التى من شأنها ان توصل وان لم توصل بالفعل .

وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعـون : « وقال الذى آمن يا قـوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد » غافر : ٣٨ .

٣- يقال : هداه الى الايمان دلّه عليه وأدخله فيه ووصّله اليه .

وهذا للهدى المضاف الى الله تعالى واكثرما يكون ذلك فى مقابلة الإضلال وهذا فى غالب الامر .

وقد وردت نصوص فيها الهدى من المعنى الثانى ، ويصح ان يفسّر به الهدى المنسوب الى الانبياء والكتب السّماوية على المجاز فانها أسباب لهذا الهـدى اذا شاءالله ذلك واذا نفى الهدى عن الانبياء اوالكتب السّماويّة فالمراد هذا المعنى اذا لم تصاحبه المشيئة ، تقول : هدى الله المؤمنين الى الخير والايمان والدّعاة لا يهدون والهادى هوالله تعالى وتقول : هدىالله كل شىء خلقه الى ما فيه صلاحه وخيره والى ما يصدر عنه .

قال الله تعالى : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما » الانعام : ١٦١. الهدى هنا الدّلالة الموصلة .

وقال : « وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا » الانبياء : ٧٣ .

المراد من الهدى هنا الدلالة الّتى من شأنها ان توصل اوالموصلة اذا إقترنت بمشيئة الله تعالى .

وقال : « وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم » النمل : ٨١ .

الهدى هنا الدلالة الموصلة .

وقال : « انك لاتهدى من اجبت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين » القصص : ٥٦ . الهدى : الدلالة الموصلة .

وقال : « قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠ . اى عرّفه مصالحه وما يقوم به وألهمه الى وجه الانتفاع به مع وصوله الى ذلك وان يتخلف العبد فى الانتفاع .

٤- يقال : هدى الله المؤمن : ثبّته على هداه اوزاده هداه ، قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » العنكبوت : ٦٩ . اى لنثبتنّهم على الهدى او لنزيدنهم هدى .

وقال : « اهدنا الصراط المستقيم » الفاتحة : ٦ . الهداية الموصلة والمراد الدعاء بالتثبيت على الهدى اوالزيادة فيه .

٥- يقال : سوء عمل فلان يهديه الى ما فيه حتفه اى يقوده اليه ، وهذا على سبيل التهكم ، فان الهداية فى اصل وضعها تكون للخير كما سبق قال تعالى : « كتب عليه انه من تولاّه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير » الحج : ٤ . اى يقوده اليه ، وهذا على سبيل التهكم .

وقال : « فاهدوهم الى صراط الجحيم » الصافات : ٢٣ .

اطلاق الهداية على الدلالة على الشر جاء على سبيل التهكم .

٦- يقال : هدى الله سعى فلان : انجحه ويقال فى الدعاء عليه : لا هدى الله تدبير فلان ولاهدى كيد الخائن اوقع الهداية على الحدث مجازا ومن المفسرين من يجعل المراد : هدى الله فلانا فى سعيه ولاهدى الخائن فى كيده وهو ايضا من المجاز .

قال الله تعالى : « وان الله لايهدى كيد الخائنين » يوسف : ٥٢ .

اوقع الهداية على الكيد والمراد بنفى الهداية عنه : انه غير مستقيم وغير صواب فهو ضالّ منحرف عن السداد ، وهذا كناية عن خيبة صاحبه .

وقيل : المراد لايهدى الخائنين بكيدهم على سبيل القلب .

٧- يقال : هدى له الامر : بيّنه له واوضحه .

قال الله تعالى : « اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم » الاعراف : ١٠٠ . اى اولم يبيّن .

واما الاهتداء : اهتدى يهتدى اهتداءً لما يأتى :

١- يقال : اهتدى السبيل ونحوه واليه وله : عرفه واستبانه يكون ذلك فى الحسيات والمعانى تقول : اهتديت المسئلة المشكلة .

وقد يحذف المفعول للعلم به من السياق اوالمقام .

قال الله تعالى : « والقى فيالارض رواسي ان تميدبكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون » النحل : ١٥ . الاهتداء : تعرّف الطرق الحسية .

وقال : « قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى ام تكون من الذين لايهتدون » النمل : ٤١ . اى تتعرّفه وتستبينه .

٢- يقال : اهتدى الرجل : أذعن للحق وسلك طريق السداد والرشاد فى الدين والاصل فى هذا : اهتدى الى طريق الحق مثلا فحذف المفعول لكثرة الاستعمال واكثر موارد المادّة فى القرآن الكريم من هذا المعنى .

قال الله تعالى : قد جائكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه » يونس : ١٠٨. هو من الاهتداء الى الحق فى الدين والاذعان له .

وقال : « واذا لم يهتدوا به فيسقولون هذا افك قديم » الاحقاف : ١١ اى واذ لم يذعنوا للحق ولم يؤمنوا به .

٣- يقال : اهتدى المؤمن : اقام على شعائر الايمان وثبت عليها .

قال الله تعالى : ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون - اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » البقرة : ١٥٤ - ١٥٧ .

واما الهدى فيجيىء لما يأتى :

١- الهدى يأتى مصدرا تقول : انّ هدىالله : عصمة من الضلال .

قالالله تعالى : « فمن اتبع هداى فلا يضلّ ولايشقى » طه : ١٢٣ الهدى : العصمة من الضلال والشقاء .

وقالالله تعالى : « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » البقرة : ٣٨

٢- الهدى : الرشاد وهو فى معنى الاهتداء تقول : المؤمن اهل هدىً و الفاسق اهل ضلالة .

قال تعالى : « اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » البقرة : ٥ الهدى : الاهتداء للحق .

٣- الهدى : الهادى وهو من وضع المصدر موضع اسم الفاعل ويأتى فى الطريق الحسّى المستقيم وفى الدين القويم وفى الداعى الى الحق المرشد اليه وهذا يجيىء فى شأن الكتب السماوية كالقرآن المجيد والتوراة والانجيل السماويّين وفى شأن الانبياء والصالحين وفى شأن الحجة والنظر العقلى الصحيح والاخلاق الفاضلة .

قالالله تعالى : «لعلى آتيكم منها بقبس اوأجد على النار هدى » طه : ١٠ المراد : الهادى الى الطريق الحسى .

وقال : « قل ان هدى الله هو الهدى » البقرة : ١٢٠ الهدى : الدين القيم .

وقال : « شهر رمضان الذى انزلت فيه القرآن هدىً للناس » البقرة : ١٨٥ .

الهدى : الهادى وهو القرآن الكريم الذى يهدى الناس الى الحق ويدخل فى هذا المعنى الكتب السماوية والانبياء ودعاة الدين .

وقال تعالى : «اولئك الذين هدىالله فبهداهم اقتده » الانعام : ٩٠ .

الهدى : اصول الدّين لااختلاف فيها بين الانبياء اوالاخلاق الفاضلة ، واما الهَدى فعلى وجهين :

احدهما - ما يهدى ويساق الى البيت الحرام من الابل والبقر والغنم لينحر

ويذبح هناك ويتصدّق بلحومه .

قال الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » المائدة ٩٧ الهَدى ما يهدى الى الحرم .

ثانيهما ـ ما يلزم الناسك ذبحه في الحرم من الابل والبقر والغنم لامر وقع في بعض شئون النسك او لقتل الصيد .

قال الله تعالى : « ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله » البقرة : ١٩٦ هذا الهدى لما وقع في الحج .

واما الهديّة فما يقدمه المرء من مال ونحوه الى غيره بقصد الاكرام والالطاف والجمع الهدايا والهداوى .

قال الله تعالى : «واني مرسلة اليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون » النمل : ٣٥)

في المفردات : الهداية : دلالة بلطف ومنه الهديّة وهوادى الوحش اى متقدّماتها الهادية لغيرها .

وخصّ ما كان دلالةً بهديت وما كان اعطاء باهديت نحو اهديت الهدية وهديت الى البيت ان قيل : كيف جعلت الهداية دلالة بلطف .

وقد قال الله تعالى : «فاهدوهم الى صراط الجحيم » .

قيل : ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى كقوله : «فبشّرهم بعذاب أليم » .

وهداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه : الاول ـ : الهداية التى عمّ بجنسها كل مكلّف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى اعمّ منها كل شئ بقدر فيه حسب احتماله كما قال : « ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى »

الثاني ـ : الهداية التى جعل للناس بدعائه اياهم على ألسنة الانبياء وانزال القرآن ونحوذلك وهو المقصود بقوله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا»

الثالث ـ : التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهوالمعنى بقوله تعالى :

« والذين اهتدوا زادهم هدى » وقوله : «ومن يؤمن بالله يهد قلبه » .

وقوله : «انه الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم» .

الرابع - : الهداية في الاخرة الى الجنة المعنى بقوله : « سيهديهم ويصلح بالهم » وهذه الهدايات الاربع مترتبة فان من لم تحصل له الاولى لاتحصل له الثانية بل لايصح تكليفه ومن لم تحصل له الثالثة لاتحصل له الثانية والرابعة ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التى قبلها .

ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله ثم ينعكس فقد تحصل الأولى ولايحصل له الثاني ولايحصل الثالث والانسان لايقدر ان يهدى احداً الا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر انواع الهدايات .

والى الاول اشار بقوله : وانك لتهدى الى صراط مستقيم » والى سائر الهدايات اشار بقوله تعالى : « انك لاتهدى من احببت » وكل هداية ذكر الله عزوجل انه منع الظالمين والكافرين فهى الهداية الثالثة وهى التوفيق الذى يختص به المهتدون .

والرابعة التى هى الثواب فى الاخرة وادخال الجنة نحو قوله عزوجل : « كيف يهدى قوما - الى قوله والله لايهدى القوم الظالمين » وكل هداية نفاها الله عن النبى صلى الله عليه وآله وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهى ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة كقوله عزوجل : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » .

وقوله : « من يهد الله فهو المهتد » اى طالب الهدى ومتحريه هو الذى يوفقه ويهديه الى طريق الجنة لامن ضاده فيتحرى طريق الضلال والكفر كقوله : « والله لايهدى القوم الكافرين » وفى اخرى « الظالمين » .

وقوله : « ان الله لايهدى من هو كاذب كفار » .

الكاذب الكفار هو الذى لايقبل هدايته فان ذلك راجع الى هذا وان لم يكن لفظه موضوعاً لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهده كقولك من لم يقبل هديتى

لم اهدله ومن لم يقبل عطيّتى لم اعطه ومن رغب عنّى لم أرغب فيه وعلى هذا النحو « والله لايهدى القوم الظالمين »

ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين : تعريفاً من المعرّف وتعرّفاً من المعرّف وبهماتمت الهداية والتعليم فانّه متى حصل البذل من الهادى والمعلم ولم يحصل القبول صحّ ان يقال : لم يهد ولم يعلّم اعتباراً بعدم القبول وصحّ ان يقال : هدى وعلّم اعتباراً ببذله فاذا كان كذالك صحّ ان يقال : ان الله تعالى لم يهد الكافرين والفاسقين من حيث انّه لم يحصل القبول الّذى هو تمام الهداية والتعليم .

وصحّ ان يقال : هداهم وعلّمهم من حيث انّه حصل البذل الّذى هو مبدأ الهداية فعلى الاعتبار بالأوّل يصحّ ان يحمل قوله تعالى : « والله لايهدى القوم الظالمين ـ والكافرين » .

وعلى الثانى قول عزوجل : « وامّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » والأولى حيث لم يحصل القبول المفيد فيقال : هداه الله فلم يهتد كقوله : « وأمّا ثمود » الاية .

وفى النهاية : فى أسماء الله تعالى : « الهادى » هو الّذى بصّر عباده وعرّفهم طريق معرفته حتّى اقرّوا بربوبيّته وهدى كل مخلوق الى ما لابدّله منه فى بقائه ودوام وجوده .

الهدى : الرشاد والدلالة . المهدى : الّذى قد هداه الله الى الحقّ وقد استعمل فى الاسماء حتى صار كالأسماء الغالبة وبه سمى المهدى الّذى بشّر به رسول الله ﷺ انه يجيئ فى آخر الزمان .

والهادى والهادية : العنق لانّها تتقدم على البدن ولانّها تهدى الجسد ، و هدى بمعنى بيّن لغة أهل الغور يقولون : هديت لك بمعنى بيّنت لك .

و فى اللسان : وقوله تعالى : « انّ علينا للهدى » اى انّ علينا ان نبيّن طريق الهدى من طريق الضلال ، ويقال : هديت له الطريق على معنى بيّنت له

الطريق وعليه قوله سبحانه وتعالى : اولم يهد لهم ، وهديناه النجدين .

وفيه : « إهدنا الصراط المستقيم » معنى طلب الهدى منه تعالى وقد هداهم انهم قد رغبوا منه تعالى التثبيت على الهدى .

والهدى : النهار ، والهدى : اخراج شيء الى شيء ، والهدى ايضا : الطاعة والورع ، ويقال : هديت : اى قصدت .

الهادية : من كل شيء اوّله وما تقدّم منه ، ولهذا قيل : اقبلت هوادى الخيل اذا بدت اعناقها ، وفى الحديث : طلعت هوادى الخيل يعنى اوائلها ، وهوادى الليل : اوائله لتقدّمها كتقدّم الأعناق وقد يكون انما سمىّ العصا هادياً لأنّه يمسكها فهى تهديه تتقدّمه وقد يكون من الهداية لانّها تدلّه على الطريق و الهادية : المتقدمة من الابل ، والهادى : الدليل لانّه يقدم القوم .

وفى القاموس وشرحه : الهدى : الرشاد والدلالة بلطف الى ما يوصل الى المطلوب ، وقد هداه الله للدين يهديه اى أرشده .

الهدى : الطريقة والسّيرة وفى الحديث : واهدوا بهدى عمار ، اى سيروا بسيرته وتهيّئوا بهيئته .

وفى التاج المهدى : الذى قد هداهالله الى الحقّ وقد استعمل فى الأسماء حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمىّ المهدى الذى بشّر به انه يجيىء فى آخر الزمان جعلنا الله من انصاره .

واستهداه : طلب منه الهداية .

٢٢- الصراط -٨٥٢

سرط الطّعام والشيء يسرطه سرطاً وسرطاناً - من باب فرح - : بلعه وفى المثل : لاتكن حلواً فتسترط ، اى تبتلع .

الصّراط : لغة فى السراط والصاد أعلى وقد قرء لفظ الصراط بالصاد والسين .

والصّراط من السبيل : مالا إلتواء فيه ولاإعوجاج ، وقد يقال : انه لايكاد يراد به الخير الا" مقترنا بوصف او إضافة تخلصه لذلك كما فى القرآن الكريم : « الى صراط مستقيم » البقرة : ٢١٣ .

وقد يرجح هذا ما فى القرآن : « فاهدوهم الى صراط الجحيم » الصافات : ٢٣ . فهو للخير والشر جميعاً وتخصصه الصفة اوالاضافة على ما فى القرآن حيث ورد بضعا واربعين مرّة كان موصوفا او مضافا فى جمهرتها ولم يرد بغير وصف او اضافة الا مرّة واحدة وهي قوله تعالى : « وان الذين يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون » المؤمنون : ٧٤ .

الصراط : جسر ممدود على متن جهنم ، الصراط بالضم : السيف الطويل القطّاع ، والسين مكان الصاد لغة فى الكل السرطم بالكسر : المتكلم البليغ .

فى المفردات : الصراط : الطريق المستقيم قال : « وان هذا صراطى مستقيما » ويقال له : سراط ، السراط : الطريق المستسهل اصله من سرطت الطعام وزردته : ابتلعته .

فقيل : سراط تصوّرا انه يبتلعه سالكه او يبتلع سالكه .

وكذا سمى الطريق : اللقم والملتلقم اعتبارا بان سالكه يلتقمه .

وفي مجمع البحرين: الصراط المستقيم: هو الدين الحق الذى لايقبل الله من العباد غيره وانما سمى الدين صراطا لانه يؤدى من يسلكه الى الجنة كما ان الصراط يؤدى من يسلكه الى مقصده.

وفي اللسان: الصراط اصل صاده سين قلبت مع الطاء صادا لقرب مخارجها الصراط والسراط والزراط: الطريق الواضح.

انسرط الشيء في حلقه: سار فيه سيرا سهلا، رجل سِرطَم وسَرطِم: يبتلع كل شيء.

وسيف سرط وسراطي: قاطع يمرّ في الضريبة كأنه يسترط كل شيء يلتهمه.

وفي القاموس وشرحه: صراط الاخرة: جسر ممدود على متن جهنم منعوت في الحديث الصحيح وهو احدّ من السيف وادقّ من الشعر يمرّ عليه الخلائق.

فيجوزه اهل الجنة باعمالهم يمرّ بعضهم كالبرق الخاطف وبعضهم كالريح المرسلة وبعضهم كجياد الخيل وبعضهم يشتد وبعضهم يمشي وبعضهم يزحف وينادى مناد من بطنان العرش: غضّوا ابصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ورضي عنها.

وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وتزل وتدحض عند ذلك اقدام اهل النار أجازنا الله تعالى على الصراط اجازته من اصطفاه من اوليائه ورزقنا شفاعة رسله وانبيائه انتهى كلامه.

٤٨- غير -١١١٧

غار يغير غيرا ـ من باب باع ـ مار ومان ونفع ، اغتار : انتفع والاسم : الغيرة والغيرة : الميرة .

غارهم الله بمطر : سقاهم وبخير : اعطاهم ، والغيرة : دية القتيل فسميت غيرا وغيارا لانها تغير الحال من القصاص الى غيره ومن هذا قالوا : غيّر تغييرا والاسم منه الغير جمعه اغيار .

ومع ما فى الدية ـ وهى الغير والغيار ـ من اصلاح الحال قولهم : غيّرعلى بعيره أداته ليخفف عنه ويريحه ويسمون صاحب البعير الذى فعل ذلك : المغير .

ومن هذا وذاك يجيىء المعنوى فى تغير الاحوال وتغاير الاشياء وفى الحديث : « الشكر أمان من الغير » .

وفى حديث الاستسقاء : « من يكفر بالله يلق الغير » اى تغير الحال وانتقالها عن الصلاح الى الفساد ، والتغيّر : التبدل والانتقال يقال : غيرت الشىء فتغيّر .

وغير الدهر اى احواله المتبدلة ، ومن المعنوى : الغيرة من الرجل وزوجه ، غار الرجل على زوجه والمرأة على بعلها غيرة ، لتبدل فى حالهما يكون عنه ذلك .

الغيرة بالكسر : نفرة طبيعية تكون عن بخل مشاركة الغير فى امر محبوب وغار الرجل : انف من الحميّة و كره شركة الغير فى حقه بها .

وغيور وصف للمبالغة يشترك فيه المذكر والمؤنث .

وغير : اسم من التغير يلازم الاضافة معنى وان جاز ان يقطع عنها لفظا عند فهم المعنى وتقدم النفى عليها ولشدة ابهام غيرلاتتعرف بالاضافة التى تلازمها فتوصف

بها النكرة كما فى قوله تعالى : « عملا صالحا غير الذى كنا نعمل » .

كما يوصف بها شبه النكرة من المعرفة المراد بها الجنسى كالموصوف فى « صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم » .

فانه مبهم باعتبار عينه ... وذلك لو قوعها بين ضدين بذلك ابهامها وترد غير بمعنى (لا) فتكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى كقوله تعالى : «بغير هدى من الله » .

كما ترد بمعنى (الا) فيستثنى بها وتوصف بها النكرة كقوله تعالى : « ما علمت لكم من اله غيرى » وكقوله تعالى : « هل من خالق غيرالله » .

وترد بمعنى (سوى) فتفيد نفى صورة من غير معناها مثل : « تقولون على الله غير الحق » .

ووردت فى القرآن الكريم مضافة لفظا ومعنى تتوزعها تلك المعانى .

وورد منه لمعنى التبدل كما فى المعنوى مضارع المضعف واسم الفاعل كما فى قوله تعالى : « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الرعد : ١١ .

وقوله تعالى : « ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الأنفال : ٥٣ .

فى المفردات : غير : يقال على اوجه : الاول ـ : ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى به نحو : مررت برجل غير قائم اى لاقائم .

قال تعالى : « ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

الثانى ـ : بمعنى (الا) فيستثنى به وتوصف به النكرة نحو مررت بقوم غير زيد اى الا زيداً .

وقال تعالى : « ماعلمت لكم من اله غيرى » .

الثالث ـ : لنفى صورة من غير مادتها نحو : الماء اذا كان حاراً غيره اذا كان باردا » .

قال تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلنا جلودا غيرها » .

الرابع - : ان يكون ذلك متناولاً لذات نحو: « تقولون على الله غير الحق » اى الباطل ، وقوله تعالى : « أغير الله ابغي ربا » وقوله تعالى : « ائت بقرآن غير هذا » .

والتغيير يقال على وجهين : احدهما - لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال : غيّرت دارى اذا بنيتها بناءً غير الذى كان .

والثانى - : لتبديله بغيره نحو غيّرت غلامى ودابّتى اذا ابدلتهما بغيرهما نحو قوله تعالى : « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » والفرق بين غيرين ومختلفين : ان الغيرين اعم فان الغيرين قد يكونان متفقين فى الجواهر بخلاف المختلفين فالجواهران المتحيزان هما غيران وليسا مختلفين .

فكل خلافين غيران وليس كل غيرين خلافين .

وفى اللسان : غير من حروف المعانى تكون نعتا وتكون بمعنى (لا) فتنصب على الحال كقوله تعالى : « فمن اضطرّ غير باغ ولاعاد » اى فمن اضطر جائعا ولاباغيا .

وكقوله : « غير ناظرين » وقوله تعالى : « غير محلى الصيد » .

وكلما احللت غيرا محلّ (الاّ) نصبتها وهى كلمة يوصف بها ويستثنى فان وصفت بها اتبعتها اعراب ما قبلها وان استثنيت بها اعربتها بالاعراب الذى يجب للاسم الواقع بعد الاّ وذلك ان اصل غير صفة والاستثناء عارض .

وفى الحديث : ان النبى صلى الله عليه وآله قال لرجل طلب القود بولىّ له قتل : الاّ تقبل الغير ؟ الغير : الدية سميت الدية غيرا لانه كان يجب القود فغيّر دية فسميت الدية المتبدلة من القود غيرا .

غيّر الشيء : جعله غير ما كان وحوّله وبدّله بغيره ، غايره مغايرة و غياراً : عارضه بالبيع وبادله وخالفه وكان غيره ، وغير الدهر : احواله المتغيرة تغيّر الشيء : صار غير ما كان عليه وتحوّل وتبدّل ، تغايرت الاشياء : اختلفت .

بنات غير : الكذب والباطل وحقيقته ما يغاير الحق والصدق اغار الرجل

اهله اغارة : تزوّج عليها فغارت عليه ، تغاير الزوجان : اغار احدهما الاخر ، و اغار فلانا : حمله على الغيرة .

وفى القاموس وشرحه : غير هو اسم ملازم للاضافة فى المعنى وتقطع عنها لفظاً إن فهم معناه وتقدمت عليها ليس ، ويقال : قبضت عشرة ليس غيرها بالرفع و النصب (وليس غير) بالفتح على حذف المضاف واضمار الاسم (وليس غير) بالضم و يحتمل كونه ضمة بناء واعراب و(ليس غيرٌ) بالرفع و(ليس غيرا) بالنصب ، ولا تتعرف غير بالاضافة لشدة ابهامها وتدخلها اللام لالتعريف بل لام المعاقبة للاضافة .

واذا وقعت بين ضدين كغير المغضوب عليهم ضعف ابهامها اوزال وخفضت غير هنا لانها نعت للذين جازان تكون نعتا للمعرفة لان الذين غير مصمود صمده وان كان فيه الألف واللام .

٢٠ـ الغضب ـ١٠٨٩

غضب يغضب غضبا ومغضبة ـ من باب علم ـ اشتدّ السخط فى الحسى معان من الشدة والصلابة فى اشياء مختلفة . فى الغضب والغضبة : الصخرة رقيقة او صلبة مركبة فى الجبل مخالفة له او الأكمة او جلد يطوى بعضه على بعض كالدرقة يلبس للقتال ، ورجل غضاب : غليظ الجلد ومما هو فى الجلد قد تلحظ الحمرة مع الغلظ او بدونه .

فيقولون : احمر غضب اى شديد الحمرة فقالوا للجدرى : الغضاب ومن معانى الغلظ والشدة : قالوا للقذى فى العين : الغضاب كما قالوا : غضبت عينه

اى ورم ما حولها .

والغضب : نقيض الرضا وبهذا المعنى واثره ـ دون نظر الى اعراضه البدنية من ثوران ونحوه ـ يطلق على الله كما يطلق على الانسان فيراد به ارادة عقاب المغضوب عليه ، الغضوب : الكثير الغضب .

الغضوب : الأسد والحيّة الخبيثة والعبوس من النوق .

فى المفردات : الغضب : ثوران دم القلب ارادة الانتقام ولذلك قال عليه السلام : « اتقوا الغضب فانه جمرة توقد فى قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ او داجه و حمرة عينيه » .

واذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره قال : « فباؤا بغضب على غضب » .

وقيل : فلان غضبة : سريع الغضب ، وحكى انه يقال : غضبت لفلان اذا كان حيا ـ اى غضبت لاجله على غيره ـ وغضبت به اذا كان ميتا .

وفى النهاية : قد تكرر ذكر (الغضب) فى الحديث من الله تعالى ومن الناس .

فاما غضب الله فهو انكاره على من عصاه وسخطه عليه واعراضه عنه ومعاقبته له واما من المخلوقين فمنه محمود ومذموم فالمحمود : ما كان من جانب الدين والحق والمذموم ما كان فى خلافه .

وفى اللسان : الغضب : نقيض الرضا ، وغضب بصر فلان : اذا انتفخ من داءٍ يصيبه .

١٤- الضلال -٩٠٦

ضلّ يضلّ ضلالا وضلالة - من باب ضرب - : خفي[1] وغاب وضاع ونسي و صرف وحار ، الضّلال : ضد الهدى[1] والرشاد .

ضلّ الطريق : خفي عليه والضّلّة بالفتح : الحيرة ، وبالضم : الحذق بالدلالة في السفر ، قال الله تعالى : « وضلّ عنهم ما كانوا يفترون » الانعام : ٢٤ . اى غاب وقال : « وقالوا أإذا ضللنا في الارض » السجدة : ١٠ . اى غبنا .

وقال : « الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا » الكهف : ١٠٤ اى ضاع ، و اذا ذكر في الايات الكريمة إضلال الاعمال فيفسّر بأنه إبطالها وتضييعها وهو ما ينتج عن عدم هداية اصحابها للسبيل السوى .

وفي الحديث : « لولا ان الله لايحب ضلالة العمل مارزأنا كم عقالا » اى بطلان العمل وضياعه .

وقال تعالى : « قال فعلتها اذاً وأنا من الضالين » الشعراء : ٢٠ . اى من الناسين وقال تعالى : « انه عدو مضل مبين » القصص : ١٥ . اى صارف عن الهداية والرشاد الضلال : ضد الهدى والرشاد .

من المادى الضلل : الماء الّذى يجرى تحت الصّخرة او تحت الشجرة لا تصيبه الشّمس ، وضلّ المآء في اللبن : اذا غاب ، وأضلّ الميت : دفنه ، وضللت الشيء : انسيته ، ومنه يمكن أن يقال : أضلّ الضلال : الغيبوبة ، وضل الكافر : اذا غاب عن الحجة بعدوله عن الطريق المستقيم وبانحرافه عن المنهج والاعتدال .
وأضلّه : جعله ضالاً ، وأضلّه : وجده ضالاً كما يقال : أحمدته وأبخلته

اى وجدته محموداً وبخيلاً .

وبهذين المعنيين يمكن تفسير ماورد من إسناد إضلال الضالين الى الله تعالى في قوله تعالى : « فيضل الله من يشآء » وقوله : « ومن يضلل الله فماله من هاد » وإضلال الله سبحانه للانسان على أحد وجهين : **أحدهما** - : ان يكون هو سبب الضلال وهو أن يضل الانسان بسوء اختياره فيحكم الله عزوجل عليه بذلك في الدنيا ويعدل به عن طريق الجنة الى النار في الاخرة .

وذلك اضلال هو حق وعدل فالحكم على الضال بضلالته والعدول عن طريق الجنة الى النار عدل وحق .

ثانيهما - : من إضلال الله تعالى هو إن الله وضع جبلّة الانسان على هيئة اذا راعى طريقاً محموداً كان ام مذموماً ألفه واستطابه ولزمه وتعذّر صرفه و إنصرافه عنه ويصير ذلك كالطبع الذى يأبى على الناقل .

ولذلك قيل : العادة طبع ثان وهذه القوة في الانسان فعل إلهي ولكن باختياره طريقاً جعلها الله تعالى فيه في هذا الطريق الذى نهاه الله عن تطرقه واذا كان كذلك وقد ذكر في غير هذا الموضع : ان كل شيء يكون سبباً في وقوع فعل صحّ نسبة ذلك الفعل اليه كما صح أن ينسب ضلال العبد الى الله سبحانه من هذا الوجه .

فيقال : أضله الله تعالى لاعلى الوجه الذى يتصوره الجهلة .

ولما قلناه جعل الله عزوجل الاضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق والظالم دون المؤمن بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال :

« وما كان ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » التوبة : ١١٥ . وقال : « سيهديهم ويصلح بالهم » محمد صلى الله عليه وآله : ٥ .

وقال في الكافر والظالم والفاسق ومن اليهم : « والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم » محمد صلى الله عليه وآله : ٨ . وقال : « كذلك يضل الله الكافرين » غافر : ٧٤ .

وقال : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

الاخرة ويضلّ الله الظالمين » ابراهيم : ٢٧ .

وقال : « وما يضل به الاّ الفاسقين » البقرة : ٢٦ .

وقال : « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » غافر : ٣٤ .

وعلى هذا الوجه : تقليب الله جل وعلا الأفئدة وحكمه على القلوب وزيادته مرض القلوب المريضة .

وهكذا ننتهى الأمر إلى أن الإضلال سببه ضلال الانسان فيحكم الله تعالى عليه بذلك فى الدنيا ويعدل به الى نتيجة ذلك فى الاخرة .

الضليل : الكثير الضلال ، وأرض مضلّة : يضل فيها الطريق ، ويقال : ضللت المسجد والدار : اذا لم تعرف موضعهما .

فى المفردات : الضلال : العدول عن الطريق المستقيم وتضادّه الهداية .

قال الله تعالى : « فمن إهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها » ويقال : لكل عدول عن المنهج عمداً كان او سهواً يسيراً كان او كثيراً والاضلال ضربان : أحدهما ـ : أن يكون سببه الضلال وذلك على وجهين : إما بأن يضل عنك الشيء كقولك : أضللت البعير اى ضل عنى .

وإما ان تحكم بضلاله والضلال فى هذين سبب الاضلال .

وثانيهما ـ أن يكون الاضلال سبباً للضلال وهو أن يزين للانسان الباطل ليضل كقوله تعالى : « لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك ـ وما يضلّون الاّ انفسهم » .

اى يتحرّون أفعالاً يقصدون بها أن تضل فلا يحصل من فعلهم ذلك الاّ ما فيه ضلال أنفسهم .

وقال تعالى حكاية عن الشيطان : « لاضلّنّهم ولامنينّهم » .

وفى اللسان : الاضلال : ضد الهداية والارشاد يقال : أضللت فلانا اذاوجهته للضلال عن الطريق ، يقال : أضللت الشيء : اذا غيّبته ، واضللت الميت : دفنته ، وفى التنزيل العزيز : « ان المجرمين فى ضلال وسعر » اى فى هلاك وقد تطلق الضالّة على المعانى ومنه : الكلمة الحكميّة ضالّة المؤمن » وفى رواية : ضالّة كل

حكـيم اى لايزال يتطلّبها كما يتطلّب الرجل ضالّته وقوله فى التنزيل العزيز : « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس » اى ضلّوا بسببها لان الاصنام لاتفعل شيئاً و لاتعقل وهذا كما تقول : قد افتنتنى هذه الدارای افتتنت بسببها واحببتها .

وضل الناسي : اذا غاب عنه حفظه .

وضل فلان عن القصد : اذا جار ووقـع فى وادى تضلل اى فى باطل ، وفتنة مضلّة : تضل الناس ، وضل الرجل : مات وصارترابا فضل" فلم يتبين شيء من خلقه .

وفـى التنزيل العزيز : « أإذا أضللنا فى الارض » معناه أإذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً فضللنا فى الارض فلم يتبين شيء من خلقنا .

وفى القاموس وشرحه : الضلال فقد ما يوصل الى المطلوب وقيل : سكرن طريق لايوصل الى المطلوب ، وضل الرجل : مات وصار تراباً وعظاماً وفى الحديث إن رجلاً" أوصى بنيه : اذا مت" فاحرقونى فاذا صرت حمما فاسهكونى ثم ذرونى لعلّى اضل الله » اى أغيب عن عـذاب الله ، وقيـل : اى لعلّى افـوت الله و يخفـى عليه مكانى .

وفى النهاية : وفيه ـ الحديث ـ : سيكون عليكم أئمة ان عصيتموهم ضللتم »

«(النحو)»

(فاتحة الكتاب)

فاتحة كلّ شيء : اوّله كما أن خاتمته آخره ومنه سمّيت سورة الحمد بفاتحة الكتاب لأنّها اول القرآن الكريم مصحفاً ونزولاً باعتبار .

وتاء الفاتحة للنقل من الوصفية الى الاسمية كالذبيحة والقول بكونها مصدراً بمعنى الفتح غير وجيه .

وإن اعتبرت الفاتحة من أجزاء الكتاب سوراً فالاولية حقيقية وإن اعتبرت من آياته او كلماته فمجازية من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فاضافتها الى الكتاب كاضافة الجزءِ الى الكل كرأس زيد .

(سورة الحمد)

إضافة السورة الى الحمد والفاتحة من إضافة العام الى الخاص كبلدة قم المشرفة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حرّكت الباء لتعذّر الابتداء بالساكن وكانت الحركة كسرة وان كان حق كل كلمة على حرف واحد الفتح ـ لثقل الضمة والكسرة على الكلمة التى فى غاية الخفّة بكونها على حرف واحد ـ لموافقة معمولها وأمّا فتح كاف الجر و اللام الداخلتين على الضمائر فالبحث فى محله .

وللباء أربعة عشر معنى على ما ذكر :

وأمّا معناها فى المقام فالصواب انها للاستعانة لأن الفعل لايتأتّى على الوجه

الاكمل الا بالتسمية .

اذ قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله : « كل امر ذى بال لم يبدأ ببسملة فهو ابتر » وهذا هو أنسب بالادب من معنى المصاحبة فتدبر .

وفى متعلق الباء أقوال ثمانية : انّه خاص اوعام فعل ام اسم مؤخّر اومقدّم .

والصواب انه خاص فعليّ مؤخر ليفيد الشمول ولئلا تلزم كثرة التقدير باضمار خبر لمقدر المقدم اذ تعلق الباء به يمنع جعلها مع مجرورها خبراً له .

وجعلناه مؤخراً لأ نه لو قدم لفات إبتداء الكلام باسم الله جلّ وعلا ، و لقصر الابتداء باسمه جلّ وعز على تقدير المؤخر وهو المطلوب .

(الاسم)

مجرور بالباء وفى اشتقاقه قولان : احدهما ـ من السموّ بمعنى العلوّ والرفعة عند البصريّين . ثانيهما ـ من الوسم بمعنى العلامة والدلالة عند الكوفيين ولكل منهما وجه ولكن الا نسب بساحة الأ لوهية هو الاوّل .

وأمّا حذف الأ لف لفظاً عند دخول الباء فلكونها همزة وصل وهى لاتثبت فى الدّرج وحذفت خطّاً لكثرة الإستعمال وأبدلت منها بطول البسملة على ما قيل :

ولايخفى انّ الأ لف تسقط خطاً لالفظاً من البسملة بشرطين : احدهما ـ اذا اضيف الى لفظ «الله» ولهذا ثبتت فى « باسم ربك » .

ثانيهما ـ أن تكون قبلها الباء وللشرطين حذفت فى « بسم الله » .

ولكن الحقّ هو ان كون النزول و كتابة الرسول صلى الله عليه وآله وائمة اهل البيت عليهم السلام بذلك يغنينا عما قيل .

(الله) اسم للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ومجرور باضافة الاسم اليه من قبيل إضافة العام الى الخاص كخاتم فضّة .

ان قلت : إنّ الاسم ليس الاّ هو الله سبحانه فكيف اضيف اليه ؟

قلت : إنّ الاسم هنا بمعنى التسميّة لان الاسم لازم المسمّى[١] وعلمه والتسمية هى التلفظ بالاسم .

مع إمكان الحذف هنا فتقديره : باسم مسمّى الله اوعلى زيادة الاسم .

(الرحمن الرحيم)

هما مجروران على الوصفيّة من باب تعدد الأوصاف والعامل فيهما هو العامل فى الموصوف .

وقيل : هما مجروران على البدلية وقيل : على البيانية .

وتقديم الرحمن على الرحيم من قبيل تقديم العام على الخاص لان الرحمن فعلان للمبالغة تدل على الكثرة ، والرحيم صفة مشبهة تدل على الثبات والدوام لتعلّقها بالاخرة وهى الثابتة ودار الحيوان ، ولذلك ناسب ان يدلّ الرحمن على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر وهى الرحمة العامة ولكنها لاتدوم لانها جارية فى الحياة الدنيا وهى زائلة وناسب ايضاً ان يدلّ الرحيم على النّعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية الّتى تفاض على المؤمن فقط ، ولذلك قيل : ان الرحمن عام للمؤمن والكافر ، والرحيم خاص بالمؤمن .

(الحمدلله رب العالمين)

«الحمد» مبتداء واللام للاستغراق وقيل : للجنس .

« لله » مجرور بلام الملك والإختصاص الّتى تسمى بلام التحقيق متعلق بمحذوف اى واجب وثابت .

كقوله تعالى : «والامر يومئذ لله » الانفطار : ١٩) .

وقوله : « لله الامر من قبل ومن بعد » الروم : ٤)

وقدّم الحمد لاقتضاء المقام مزيد إهتمام به وإن كان ذكر لفظ الجلالة «الله» أهمّ فى نفسه .

«رب » مجرور على الوصفية وقيل : البدلية أضيف الى «العالمين» اضافة معنوية فاكتسب التعريف من المضاف اليه .

وفيه من الإشعار بالعلية ما لايخفى اى انّى احمد الله لانه ربّ العالمين « العالمين » من ملحقات جمع المذكر السّالم مجرور بالاضافة وعلامة الجر

هى الياء.

(الرحمن الرحيم)

هما مجروران على الوصفيّة وقيل : على البدلية كما تقدّم وذكرهما بعد ذكرهما في البسملة لاقتضاء كلمة «العالمين» الّتى تطلق على جميع الموجودات وعلى كل نوع مؤلف الافراد والاجزاء منها كعالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الانسان وعالم الملائكة . . .

وعلى كلّ صنف مجتمع الافراد ايضاً كعالم العرب وعالم العجم.

وهذا المعنى هو الانسب لمايؤول اليه عدّ هذه الصفات العليا حتى تنتهى الى قوله تعالى : «مالك يوم الدين»

ومن المحتمل ان يكون الأوّل توكيداً للاستعانة والثانى توكيداً للشكر لله عزّ وجلّ.

(مالك يوم الدين)

«مالك» مجرور على الوصفيّة لإكتسابه التعريف بالاضافة على قرائة «ملك» وعلى البدلية بناءً على قرائة «مالك» لعدم إكتساب إسم الفاعل التعريف بالاضافة إذا كان للحال والاستقبال.

واضيف «مالك» الى «يوم» وهو اضيف الى «الدين».

(اياك نعبد واياك نستعين)

«اياك» ضمير منفصل للخطاب مفعول مقدّم على فعله «نعبد» وقدّم لإفادة التخصيص والخطاب لله تعالى و«نعبد» فعل مضارع للتكلم مع الغير يطلق على المذكر والمؤنث.

«واياك نستعين» عطف على ما تقدّم والكلام فيها هو الكلام فى الجملة المتقدمة بإضافة أنّ اصل «نستعين» نستعون على وزن نستفعل من العون فنقلت كسرة الواو الى ما قبلها فسكنت الواو وانكسر ماقبلها فقلبت ياءً كالميزان فانّ أصله موزان.

(اهدنا الصراط المستقيم)

«إهد» فعل امر فاعله الضمير المستتر فيه وجوباً والخطاب لله تعالى وهو لطلب الهداية على سبيل الدّعاء والتضرّع لاعلى سبيل الاستعلاء، وهمزته للوصل تحذف درجاً وتثبت خطاً والفعل يتعدّى الى المفعولين بنفسه تارة وباللام تارة اخرى وبالى ثالثة ، فيقال : هديت زيداً الصّراط . وللصّراط والى الصّراط ، وقال الله تعالى : انا هديناه السبيل » الانسان : ٣)

وقال : « الحمدلله الّذى هدانا لهذا » الاعراف ٤٣)

وقال : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » الشورى : ٥٢) .

« نـا » ضمير تكلّم مع الغير محلّه النصب على المفعولية الأولى لفعل الهداية « الصراط » مفعول ثان و « المستقيم » صفـة للصراط وأصله : مستقوم على وزن مستفعل فنقلت كسرة الـواو الى ما قبلها فسكنت الـواو وانكسر ما قبلها فقلبت ياءً كما تقدم فى « نستعين » .

(صراط الذين انعمت عليهم)

« صراط » بدل من صراط المتقدم ـ إنّ البدل هو لفظ يتبع لفظاً اخر غير مقصود لذاته وانما يؤتى به تمهيداً لذكر التابع الّذى هو مقصود بذاته فان «صراط الذين الخ » هو التابع المقصود بذاته و « الصراط المستقيم » هو المتبوع الّذى ذكر تمهيداً للتابع ويسمىّ هـذا بـدل المطابق ـ اضيف الـى «الذين » وهـو اسم مـوصول للجمع محلّه الجرّ بالإضافـة وهو مبنىّ على الفتح فى محلّ الجرّ مفرده « الذى » .

و « انعمت » فعل ماضى للخطاب فاعله تاء الخطاب لله تعالى والفعل صلة الموصول ليس له محل من الاعراب .

« عليهم » متعلق بفعل الانعام وضمير الجمع عائد الصّلة .

(غير المغضوب عليهم ولاالضالين) .

« غير » مجرور على احد وجوه ثلاثة : على البدليّة من ضمير «عليهم» وعلى

البدليّة من « الذين » وعلى الوصفيّة للذين لأنّ المغضوب عليهم لايقصد بهم اشخاص مخصوصون فجرى مجرى النكرة فوقع وصفاً وانكان مضافاً الى المعرفة .

ان قلت : إنّ «الّذين» معرفة و « غير» لايتعرّف بالاضافة فكيف يصح ان يقع صفة له ؟

قلت: إنّ « غير» اذا وقع بين المتضادين المعرفتين يعرف بالاضافة وكذلك الأمر فيالمقام فان المنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان معرفتان معان « الّذين » قريب منالنكرة لانه لم يقصد بهم قصد أشخاص بأعيانهم و « غير » قريب من المعرفة بالتخصيص الحاصل له بالاضافة الى كلمة « المغضوب » .

فلكل واحد منهما إبهام من وجه واختصاص من وجه آخر .

واضيف « غير » الى «المغضوب» وهم اسم مفعول من فعل الغضب ولم يجمع فلم يقل : غير المغضوبين عليهم وإن كان المراد بهم أشخاص كثيرون لان المشتق اذا لم يكن متحمل للضمير فلا يثنى ولا يجمع فتقول: رجل ممروربه ورجلان ممرور بهما ورجال ممرور بهم وامرأة ممرور بها وامرأتان ممرور بهما ونساء ممرور بهنّ .

فتثنّى الضمير وتجمع وتذكّر وتؤنّث فيما يتعدّى بحرف الجر لا اسم المفعول لقيام الجار والمجرور مقام الفاعل .

« عليهم» متعلّق بقوله : «المغضوب» فيمحل الرفع على النّيابة من الفاعل .

« و » حرف عطف على «غير» ودخول الواو على «لا» لسبق النفى وعدم قصد المعيّة نحو : ما قام زيد ولاعمرو .

فتفيد ان الفعل منفيّ عنهما فى حالتى الاجتماع والافتراق كقولهتعالى: « لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً » آل عمران : ١١٦ .

وقوله تعالى : « ولايغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله

اولياء » الجاثية : ١ .

فاذا فقد أحد الشرطين ـ سبق النفي وعدم قصد المعية ـ إمتنع دخول الواو على « لا » فلا يقال : قام زيد ولاعمرو فجاز « ولا » لمعنى النفي في « غير » المتقدم .

وفي « لا » وجهان : أحدهما ـ أنها زائدة جيئي بها للتأكيد عند البصريين ثانيهما ـ انها بمعنى « غير » عند الكوفيين .

« الضآلين » مجرور بالعطف عند الاولين وبالاضافة عند الآخرين وإلتقاء الساكنين فيه مغتفر لأنه على حدّه فانه يغتفر في الوقف مطلقا سواء كان احدهما حرف مدّ ولين ام لا لان الوقف محل تخفيف وقطع .

وفي غير الوقف يغتفر في المدغم اذا كان قبله حرف لين سواء كان مدّاً ام لا وهو في المدغم في كلمة نحو : خويصّة في تصغير خاصّة فانّ ياء التصغير والصاد الاولى ساكنتان .

وامّا الضآلين فالألف واللام ساكنتان فاغتفر في المقام للين الساكن الاول وكون المدغم مع المدغم فيه بمنزلة حرف واحد مع كونهما في كلمة واحدة ، فيمتزج اللين بالمدغم فكأنه لم يجتمع ساكنان بخلافهما في كلمتين نحو : واذ قالوا اللهم ، ويا أيها النبيّ ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، فهناك يجب حذف اللين .

ولا يخفى إن في « الضآلين » إلتقاء السّاكنين مرّتين : مرّة في الألف واللام الأولى وهذا دائميّ ومرّة اخرىٰ في الياء والنون وهو حال الوقف .

﴿ البيان ﴾

(بسم‌الله الرحمن الرحيم)

والتحقيق إنّ أصل الإسم من السموّ لما قدّمناه والمراد به التسمية ومعناها وضع الإسم لمسمّاه .

ففيها تنويه برفعة المسمّى من حضيض الخفاء الى مرتبة الظهور ليتجلّى باعين البصائر .

ومن المتعارف بين الناس فى طوال الأعصار انهم اذا عملوا عملاً او بنوا داراً او أنشوا مؤسسة قرنوها باسم كبيرمن كبرائهم او عزيز من أعزتهم ليكون عملهم هذا مباركاً مشرّفاً اويكون بمثابة ذكرى يذكّرهم بذلك الّذى يحبّون او يجلّون .

ومثل ذلك يجرى بينهم ايضاً فى باب التسمية فيسمّون مولودهم الجديد باسم من يحبّونه او يعظّمونه ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد ويبقى المسمى الأول نوع بقاء ببقاء الإسم .

كمن يسمى ولده باسم والده او باسم قائد دينه ليحيى بذلك ذكره فلا يزول ولاينسى[١] .

وعلى‌ذلك جرى كلام‌الله جلّ وعلا فابتدأ كتابه المجيد باسمه تعالى تعليماً للعباد فى الأفعال والأقوال أن يبتدؤوها باسمه جلّ وعلا مرتبطين‌فيها بالله‌تعالى فلا تكون مبتورة .

(الرحمن الرحيم)

فـي توصيف « الله » جلّ جـلاله بهاتين الصفتين فى البسملة تأسيس لمبانى الجـود والكرم وتشييد لمعالم العفو والرأفة والرحمة وايماء الى مضمون : رحمتى سبقت غضبى وتنبيه الى ان الجدير ان يستعان بذكره تعالى فى مجامع الامور . . .

لانه الجامع لصفات الكمال البالغ فى الـرحمة غايتهـا المولى للنعم بأسرها عاجلها وآجلها .

وقدّم الرحمن على الرحيم لإختصاص الأولى به تعالى فى التّسمية بها دون الثانية ولتناولهـا جلائل النعم وعظائمها وهى الرّحمة الكثيرة المفاضة على الناس كلهم : من المؤمن والكافر فى هذه الحياة الدنيا وهو المستفاد من صيغة « فعـلان » للمبالغة الدّالة على الكثرة : كثرة الإفاضة وكثرة الإستفاضة وهى الرحمة العامة .

ولإختصاص متعلق الثانية بالمؤمنين فى الاخرة وهى الرحمة الخاصة وهذا هو المستفاد من الثانية « الرّحيم » .

لانها فعيل يدل على الثبات والبقاء .

كما يظهر من قوله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ١٥٦ .

(الحمدلله)

لم يقل : « احمد لله » لان الجملة الاسميّة تدل على الوقوع والثبوت فتفيد على انه تعالى كان محمودا قبل ذلك سواء حمده الناس ام لم يحمدوه .

ولاينافى كـون الحمـد من الأفعال كونه تعالى حميداً بذاته كما توهّم البعض وقد قال الله تعالى : « وكان الله غنيّا حميدا » النساء : ١٣١ .

وقال : « وله الحمد فى السموات والارض » الروم : ١٨ .

وقال حـكاية عن الملائكة : « اتجعل فيها من يفسد فيهـا ويفسك الدّماء و نحن نسبّح بحمدك » البقرة : ٣٠ .

وقال : « الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم » غافر : ٧٠ . وتدلّ على أنّ الله عزّوجل يليق للحمد بذاته ولاتحتمل ايضاً الصّدق والكذب

على حدٌ الجملة الفعلية فانّها لاتدلُ على سبق الحمد ولاعلى إستحقاقه للحمد بذاته وانّها إخبار على ان الحمد سيتحقق والخبر يحتمل الصدق الكذب .

كما ان قولك : « لااله الاّالله » لايحتملهما بخلاف قولك : « اشهد ان لا اله الاّ الله » .

مع أنّ الملك والحمد في ذاته وحقّه تعالى متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده .

فهو جلّ وعلا حميد في ملكه « له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » التغابن : ١ .

فله الملك والقدرة مع حمده فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته .

ولهذا يحمد تعالى نفسه عند خلقه وأمره لينبّه عباده على أنّ مصدر خلقه وأمره هو حمده فهو محمود على كل ما خلقه وأمر به حمد وشكر وعبودية حمد وثناء ومدح يجمعها التبارك « فتبارك الله » الّذى يشمل ذلك كله .

ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله تعالى : « ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » الاعراف : ٥٤ .

فالحمد أوسع الصّفات وأعم المدائح وأشمل الطرق الى العلم به في غاية الكثرة والسّبل الى فهمه واسعة جداً لمن لاحظ ذرات الكون وجزئيّات العالم و تفاصيل الأمر والنهى .

واسعة لأنّ جميع أسمائه تعالى حمد وصفاته حمد وأفعاله حمد وأحكامه حمد وعدله حمد وانتقامه من أعدائه حمد وفضله وإحسانه الى اوليائه حمد .

حمد لأنّ الخلق والامر قاما بحمده ووجدا بحمده وظهرا بحمده وكانت الغاية هى حمده فحمده سبب ذلك كلّه وغايته ومظهره وحامله وحمده روح كل شيء وقيام كل شيء بحمده وسريان حمده فى ذرّات الكون وظهور آثاره فيها أمر لايخفى على من له بصيرة وهو تعالى يقول : « وإن من شيء الا يسبّح بحمده »

الاسراء : ٤٤ .

فكلّ صفة عليا واسم حسن وثناء جميل و كل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام فهو لله تعالى على أكمل الوجوه وأتمّها وأدومها .

وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر به فهو محامد له وثناء وتسبيح و تقديس له جلّ وعلا .

وهو تعالى يقول : « وهوالله لااله الاّ هو له الحمد فى الاولى والاخرة و له الحكم » القصص : ٧٠ .

ولم يقل ايضاً : التسبيح لله مع ان التسبيح مقدّم على التحميد اذ يقال : « سبحان الله والحمد لله » .

لأنّ التحميد يدلّ على التسبيح بدلالة التضمن فان التسبيح يدل على كونه تعالى منزهاً فى ذاته ومبرّأً فى صفاته عن النقائص .

وان التحميد يدلّ على ذلك و كونه محسناً الى الخلق منعماً عليهم فالتسبيح يشير الى كونه جلّ وعلا تاماً وان التحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام فكان الابتداء بالحمد أكمل .

وانّ الحمد بالفعل ولسان الحال هوعبارة عن ظهور الكمال وحصول الغايات من الاشياء وذرّات الكون ، فالموجودات كلها بخصوصيّاتها وخواصّها وتوجّهها الى غاياتها ووصولها الى كمالاتها من حيّز القوّة الى الفعل مسبّحة حامدة ، اذ قال تعالى : « وان من شىء الاّ يسبّح بحمده » الاسراء : ٤٤) .

فتسبيحها لله جل وعلا تنزيهه عن الشريك وصفات النقص والعجز باستنادها اليه وحده ودلالتها على وحدانيته وقدرته وتحميدها إظهار كمالاتها المترتبة ومظهريّتها لتلك الصّفات الجلاليّة والجماليّة .

وخصّ بذاته بحسب مبدأيّته للكل وحافظيّته ومدبّريّته له التى هى معنى الربوبية للعالمين .

فالحمد لله يدلّ على وجود الاله وعلى كونه منزّهاً عن الحيّز والمكان

اذالحيّز والمكان من العالمين ويدلّ على كونه جلّ وعلا منزّهاً عن الحلول في المحل وعلى كونه في نهاية القدرة وفي غاية العلم وفي كمال الحكمة.

(رب العالمين)

في كلمة « ربّ » وإضافتها الى العالمين انباءٌ الى التربية المطلقة للعالمين والعالم اسم لماسوى الله تعالى من الأجسام والأعراض.

وعلّة الجمع في العالم بعالمين: انّ كل ما يجمع من أسماء الاجناس ثم يعرف بتعريف الجنس يفيد امرين: احدهما - انّ ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة. ثانيهما - انّه مستغرق لجميع ما تحته.

أمّا المفيد لاختلاف الأنواع فهوالجمع. وأمّا ما هو المفيد لاستغراق جميعها فهوالتعريف.

ألاترى انّه اذا جمع مجرداً من التعريف دلّ على إختلاف أنواع تحته ثم اذا عرف أفاد الاستغراق غير موقوف على الجمعيّة.

فالعالم جمع ليفيد اختلاف الانواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة والحيوان وعرف ليفيد عموم الربوبيّة لله تعالى في كل أنواعه.

فأراد الله جلّ وعلا ان يفهمنا أن لاتجمد فكرك بما سوى الله بل انظر الى شقوق كل نوع من أنواع ماسوى الله.

وأمّا جمع العالم بعالمين بوا و ونون دون العوالم فلتغليب العاقل في الجمع على غير العاقل او ان الخطاب للعقلاء المكلفين.

وإن اريد به جميع الكائنات الممكنة اى انه تعالى ربّ كلّ ما يدخل في مفهوم لفظ العالم.

وإنّ العرب لاتجمع لفظ العالم الاّ لنكتة تلاحظها فيه وهي انّ لفظ العالم لايطلق عندهم على كل كائن وموجود كالحجر والتراب والنبات وانما يطلقونه على كل جملة متمايزة لأفرادها فيقال: عالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد وعالم الملائكة . . .

ونرى ان هذه الأشياء يظهر فيها معنى التربية الّذى يعطيه لفظ « ربّ » لأنّ فيه مبدأ التربية وهوالحياة والتغذّى والتولد وهذا فى الحيوان والانسان والنبات ظاهر والباقى تتصور التربية فى حدّه وربوبيته تعالى للناس تظهر بتربيته ايّاهم وهى على ضربين : أحدهما ـ تربيّة خلقيّة بما يكون به نموّهم وكمال أبدانهم وقواهم النفسيّة والعقليّة .

ثانيهما ـ تربيّة شرعيّة تعليميّة وهى ما يوحيه إلى من إختار من بينهم أفراداً كاملين ليكمل به فطرتهم ويهديهم الى ما تقتضيه بالعلم والعمل اذا اهتدوابه .

فكلمة (العالمين) هنا كناية عمّا فى الكون من الكائنات والموجودات على إختلاف الأنواع فهوتعالى ربّ الكون وما فيه وبيده تربيّتهم كلّ بحسبه .

(الرحمن الرحيم)

فى إعادة كلمتى الرحمن والرحيم بعد ذكرهما فى البسملة فوائد جمّة وذلك لأنّ الله تعالى لمّا ذكر تربيته للعالمين وانّه تعالى ربهم المهيمن عليهم وتربيته هذه العالمين ليست بحاجة اليهم اوجلب نفع له اودفع ضرعنه وانّما هى لعموم رحمته وشمول إحسانه وللاشعار فى مفتتح الكتاب المجيد بان إعتنائه تعالى بالرحمة اكثر من اعتنائه بسائر الصفات وإنّ الرحمة صفة لازمة لذاته جلّ وعلا فاذا فهم أحد من عباده معنى الرب فليرجع إلى صوابه وليعلم بأن ربوبيته تعالى ان تذكرهم برحمته وفضله وإحسانه ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال والقوّة والكمال .

فكأنّه تعالى أراد أن يتحبّب الى عباده فعرفهم بحقيقة ربوبيّته وانها برد وسلام وتربيّة وإحسان وانه تعالى مع هذه القدرة الكاملة والقوة الخارقة فهو (رحمن ورحيم) فلا ترهبوا بعد ذلك بل اقبلوا على إكتساب رضائه منشرحة صدوركم مطمئنة قلوبكم فهو الرّب الرحمن الرحيم .

فجائت هاتان الصّفتان لتجذبا قلوب عباده اليه جل وعلا طمعاً فى رحمته و

تملأ فيما عنده من عظيم الرحمة التي وسعت كل شيء وسبقت غضبه ثم ذكر ما يحصل به الخوف فقال: «مالك يوم الدين» ليكون العبد بين الخوف والرجاء و بهما إقترب منه سبحانه العبد وحضر بين يدى ربّه فعلّمنا الله عزوجل انه رحمن ورحيم ليجذب قلوبنا اليه سبحانه ولكن الناس لاينجذبون كلهم اليه الانجذاب المطلوب اذ فينا من يسلك كل سبيل بلا رعاية عن المستقيم والمعوج.

فلذلك أعقب سبحانه وتعالى ذكر رحمته بذكر الدين فعرفنا انه يدين العباد ويجازيهم على أعمالهم فكان من رحمته بعباده انّ ربّاهم بنوعى التربيّة كليهما: الترغيب والترهيب كما تشهد بذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم اذ يقول: «نبيء عبادى انّى انا الغفور الرحيم» الحجر: ٤٩. ويقول: «ان عذابى هو العذاب الأليم» الحجر: ٥٠.

(مالك يوم الدين)

انّ إضافة المالك الى اليوم من إضافة الفاعل الى المفعول باضافة ظرفيّة حقيقيّة فمعناه انّ الله تعالى هو مالك الأمر كله فى يوم الدين او باضافة لاميّة حقيقيّة اى مالكاً ليوم الدين.

ويشترط فى الإضافة الحقيقيّة الثبوت والاستمرار وهو فى (مالك يوم الدين) واضح فانّ مالكيّة الله تعالى تعمّ الأزمنة الثلاثة.

فكان الله وهو كائن ويكون مالكاً.

اذ قال تعالى: «قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع و الأبصار ومن يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحىّ ومن يدبّر الأمر» يونس: ٣١.

وقال: «تبارك الّذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير» الملك: ١.

وقال: «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء» آل عمران: ٢٦.

وقال: «وله الملك يوم ينفخ فى الصّور» الأنعام: ٧٣.

وقال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » الحج : ٥٦ .

وقال : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » غافر : ١٦ .

ولم يقل : ملك يوم الدّين كما قال : « ملك الناس » الناس : ٢ .

فان المالك اعم من الوصف بملك لانّه يقال : فلان مالك الدراهم ولايقال : ملك الدّراهم .

والله جلّ وعلا مالك كل شيء فقد وصف نفسه بانّه مالك يوم الدين فانه اعمّ وأوقع وأبلغ فى المدح والثناء من وصفه بملك .

ولم يقل : مالك يوم القيامة لإفادة العموم بالدين فان الدين يطلق فى الاصل على الحساب والجزاء وعلى المكافاة كما ورد « كما تدين تدان » وعلى الطاعة والاخضاع والسّياسة ، يقال : دنته وديّنته بالتشديد اى ولّيته سياسته وهو قريب من معنى الإخضاع وعلى الشريعة وما يأخذ به العباد من التكاليف .

والمناسب هنا من هذه المعانى الجزاء والحساب والخضوع .

ويوم الجزاء يتناول جميع الاخرة الى السرمد ويوم الحساب يوم تظهر فيه نتائج إعمال القدرة الفطرية الّتى أودعها الله تعالى فى الانسان فمنهم الذين إهتدوا بهداها ومنهم الذين أبطلوها وعطلوها وسلكوا خلاف مقتضاها فمالوا الى الظلم والاستبداد .

ولم يقل : مالك الدين لتعريفنا بانّ للدين يوماً ممتازاً عن سائر الأيّام وهويوم يلقىٰ فيه كلعامل عمله بغيرظلم إذ قال : « انّ الله لايظلم مثقالذرّة » النساء : ٤٠ .وقال : « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم » الزلزال : ٦ .

وقال : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره » الزلزال : ٧-٨ .

فكأنّه جلّ وعلا قال : إن ظُلِمت فى الدنيا نأخذ حقك ممن ظَلَمك فى الاخرة وان عملت عملاً صالحاً تر عملك يوم الجزاء فنجزيك به ، وان ظَلَمت نحاسبك بما ظَلَمت .

(اياك نعبد واياك نستعين)

فى الكـلام من إلتفات الغيبة والانتقال منها الى الخطاب مما لايخفى ، و فائدة الالتفات فى المقام أمور :

١- انّ القارى كان اجنبياً عند الشروع فأثنى على الله تعالى بألفاظ المغايبة الى قوله : « مالك يوم الدين » فاذا وصل الى ذلك فكأنه تعالى يقول لعبده : انك حمدتنى واعترفت بأنّى اله ورب ورحمن ورحيم ومالك يوم الدين فنعم العبدانت .

فقد رفعت الحجاب وأبدلت البعد بالقرب فتكلّم بالخطاب لى وقل : اياك نعبد واياك نستعين .

٢- انّ الكلام من اوّل السورة الى « مالك يوم الدين » كان ثناء على الله جلّ وعلا وانّ الثناء فى الغيبة أولى منه فى الحضور لعدم الشائبة فيه فيها وانّ الكلام من « اياك نعبد » الى آخر السورة تضرّع ودعاء وطلب وهى عند الحضور أولى .

٣- أنّ الصّلاة قربان كل تقى وان العبد اذا شرع فى الصّلاة يقصد حصول التقرب إلى الله سبحانه فلما ذكر بعد النية أنواعاً من الثناء على الله تعالى فاقتضى كرم الله جلّ وعلا إجابته فى تحصيل تلك القربة فنقله من مقام الغيبة الى مقام الحضور فقال : قل : « ايّاك نعبد وايّاك نستعين » .

وفى تقديم المفعول على الفعل تعظيم للمعبود وإهتمام بشأن المستعان به ودلالة على الحصر .

وانّ الحصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص وإثبات حكم للمذكور ونفيه عمّا سواه وقد خفى على الاكثر الفرق بين الحصر والتخصيص فقالوا فى المقام وقبيله تارة بالحصر وتارة اخرى بالتخصيص .

وانّ التخصيص هو قصد الخاص من جهة خصوصه من غير تعرّض ولا قصد لغيره نفياً واثباتاً .

وفي الحصر معنى زائد على[١] ذلك وهو قصد النفي عمّا سواه فقوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » للحصر لأنّ قائليه لايعبدون غيره تعالى .

فاذا قلت . زيدا اكرمت ، يعلم أنّ لكل مركب من عام وخاصّ جهتين : فقد يقصد من جهة عمومه وقد يقصد من جهة خصوصه والأوّل هو الحصر والثاني هو الإختصاص فانّ الضرب من الضارب اذا قصد خصوص زيد مع قطع النظر عما سواه نفيا واثباتا فهو اختصاص وان قصد عموم نفي الضرب عما سواه فهو حصر .

فقوله تعالى : «الحمدلله » يمكن الإختصاص فيه فان الحمد من الحامد كثيرا ما يقع لغيرالله تعالى وقصد الحامد خصوص الله جل جلاله مع قطع النظر عما سواه ولكن في قوله تعالى : «اياك نعبد» لايمكن الإختصاص بل الحصر ثابت لانّ قائليه لايقصد الخصوص مع قطع النّظر عمّا سواه بل يقصد النفي ايضاً عمّا سواه . وان كان يمكن الاختصاص في قوله : «واياك نستعين» لوقوع الاستعانات في المجتمع البشرى بغيرالله تعالى ولكن المقام مقام الحصر لانّه بصدد الاستعانة في العبادة والاهتداء لاتجوز فيهما الاستعانة بغيره تعالى وان معنى العبادة هو الشعور بان السلطة الغيبيّة التي هي وراء الاسباب العامة الموهوبة من الله تعالى لعباده كافّة هي لله وحده .

فكأنك تقول : يامن هذه صفاتك فلانعبد غيرك ولانستعين في العبادة خاصة وفي جميع الامور عامة الاّ بك بناءً على حصر الثاني اونخصّ استعانتي بك في العبادة بناءً على اختصاصه .

ولم يقل : ايّاك اعبد وايّاك استعين بصيغة التكلّم وحده لشمول الحمد المتقدم حمد جميع الحامدين فلابدّ من صيغة الجمع لتطابقها الشمول ولعموم الناس بذلك لاللتعظيم .

ولم يقل: اياكم نعبد واياكم نستعين تعظيماً لله تعالى فانّ خطاب العبد ربّه بضمير الافراد فللاخلاص في التوحيد والعبادة والتنزيه عن الشريك .

ولم يقل: إيّاه نعبد وايّاه نستعين فانّه لمّا ذكر الحقيق بالحمد وأجرى

عليه تلك الصّفات العليا تعلق العلم بمعلوم عظيم شأنه حقيق بالثناء وغاية الخضوع لديه والاستعانة به جلّ وعلا .

فخوطب ذلك المتميّز بتلك الصفات ليكون الخطاب أدلّ على انّ العبادة له وحده والاستعانة به لذلك التميز الّذى لاتحق العبادة الاّ له وحده ولاالاستعانة الاّ بـه وليكون ادلّ على الحصر والترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأنّ المعلوم صارعياناً والمعقول مشاهداً . ولايخفى انّ تكرار (ايّاك) يفيد ان كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات فلايستلزم احدهما الاخر وللفرق ايضا بينهما .

ولم يقل: نعبدك ونستعين بك مع كونهما أوجز وليتخلص من التّقديم والتأخير تنبيها على انّ العبد لابدّ وأن يتوجّه من الله جلّ وعلا إلى نفسه لامن نفسه الى الله تعالى وأن يتوجّه من الله الى عبادته لامن عبادته الى الله سبحانه وللحصر ايضاً .

وفى تقديم العبادة على الاستعانة وجوه :

احدها : انّ العبادة مقصودة بالذات ويدور عليها خلق الجن والانس اذ قال الله تعالى «وماخلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون» الذاريات : ٥٦ .

وان الاستعانة وسيلة لاداء العبادة فالاوّل تصوّر ما هـو بالذات مقصود ثم تحرّك الى الوسيلة التى بها يصل العبد الى مقصوده . مثلا انالانسان اذا أراد اتيان فعل فيتصور الفعل اولاً ثم يرى نفسه بعدم تمكّن الفعل وحده فيذهب الى ما يوصله الى فعله .

ثانيهما : فى التقديم تعليم لنا بتقديم حقّ الله تعالى على حقّنا فكأنّه تعالى يقول : اذا سئلتمونى فقدّموا حقى حتى تستحقّوا إجابتى فان مالله تعالى مقدّم على ما للعبد .

ثالثها ـ : انّ من لم يعبدالله تعالى فلا يستعين به جلّ وعلا ولاتحصل له الاستعانة به وان إستعان .

رابعها : انّ القدرة التكوينيّة على العبادة حاصلة قبل الاشتغال بها فاذاً نحتاج الى القدرة الاكتسابيّة وهي التوفيق لها وهي لاتحصل الا بالعبادة فهي مقدمة على الاستعانة ، ولان العبادة لما نسبت الى ذاته تعالى أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يصدرعنه فعقّبه بقوله : «وإيّاك نستعين» ليدل على ان العبادة ايضاً مما لاتتمّ ولاتستتبّ له تعالى الا بمعونة وتوفيق منه جلّ وعلا .

خامسها - : إنّ الإستعانة ثمرة للعبادة ولاينافي هذا ان العبادة نفسها ممّا يستعان عليه بالله تعالى اذ قال : «واستعينوا بالصّبر والصّلاة» البقرة : ٤٥ .

ليوفّق العبد بإتيانها على وجه مرضيّ لله تعالى لأن الثمرة التي تخرج من شجرة تكون حاوية للنّواة التي تخرج منها شجرة اخرى فالعبادة تكون سبباً للمعونة من وجه والمعونة تكون سبباً للعبادة من وجه آخر .

سادسها : - إنّ قوله : «إيّاك نعبد» يقتضي حصول رتبة عظيمة لنفس العبد بعبادته لله تعالى وذلك يورث العجب فأردف بقوله : «وإيّاك نستعين» ليدلّ ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قوّة العبد ، بل انّما حصلت بإعانة الله تعالى فالمقصود من ذكر قوله : «وإيّاك نستعين» إزالة العجب والنخوة والكبر من نفس العابد .

سابعها - : إنّ الاستعانة هي طلب الحاجة والعبادة وسيلة اليها فقدمّت الوسيلة إلى طلب الحاجة على مجرى العادة ليستحقوا الإجابة .

ثامنها - : إنّ سورة الفاتحة سرّ القرآن الكريم وسرّها هاتان الجملتان : فالأولى تبرّؤ من الشرك والثانية تبرّؤ من الحول والقوّة وتفويض الأمر الى الله تعالى .

قال الله تعالى : «فاعبده وتوكّل عليه» هود : ١٢٣ .

وقال : قل هو الرّحمن آمنا به وعليه توكّلنا» الملك : ٢٩ .

وقال : «ربّ المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكيلا» المزّمّل : ٩ .

تاسعها - : إنّ السورة من أوّلها الى قوله تعالى : «إيّاك نعبد» لله جلّ

و عـلا .

ومن قوله : «واياك نستعين» الى آخرها للعبد .

عاشرها ـ : لرعاية الفواصل .

(اهدنا الصراط المستقيم)

بيان للمطلوب من المعونة فى قوله تعالى : واياك نستعين» .

فكأنّه قيل : كيف أعينكم فقال : قل : «اهدنا الصراط المستقيم» وذلك لما كان الانسان عرضة للخطاء والضّلال فى فهم الدين وفى إستعمال الحواس والعقل كان محتاجاً شديداً إلى المعونة الخاصة فامرنا اليه تعالى بطلبها منه جلّ وعلا .

فالمعنى : دلّنا دلالة تصحبها معونة غيبيّة من لدنك تحفظنا بها من الضّلال والخطاء ووفّقنا الى معرفة الطّريق المستقيم الواصل ووفّقنا للا ستقامة عليه بعد المعرفة .

فالمعرفة والا ستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله تعالى ورعايته ورحمته والتوجه الى الله جلّ وعلا فى هذا الامر هو ثمرة الاعتقاد بأنّه وحده هو المعين .

وهذا اول دعاء علّمنا الله تعالى ايّاه إذ حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كلّ شيء سواها .

وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن من ربّه العون فيه فالهداية إلى الطريق المستقيم هى ضمان السّعادة فى الدّنيا والاخرة عن يقين وهى فى حقيقتها هداية فطرة الانسان إلى ناموس الله تعالى الّذى ينسق بين حركة الانسان وحركة الوجود كلّه فى الا تجاه إلى الله ربّ العالمين ويكشف عن طبيعة هذا الصّراط المستقيم قوله تعالى : « صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين » .

فهو طريق الذين قسم لهم نعمته لا طريق الذين غضب عليهم لمعرفتهم الحقّ ثمّ حيدتهم عنه او ضلّوا عن الحقّ فلم يهتدوا أصلاً اليه ، فالصراط المستقيم هو صراط السعداء المهتدين الواصلين .

فقوله : « إهدنا » إشارة إلى حفظه تعالى الانسان من الضّلال وانّ

الضّلالة إمّا من طريق وهو الكفر وإمّا في طريق وهو الفسق فيمكن ان يكون قوله : « المغضوب عليهم » إشارة الى الكفر وقوله : « الضّالّين » إشارة الى الفسق وليس المراد بالهداية مجرّد المعرفة والعلم بل المعرفة مع التوفيق الى العمل و الاستقامة عليها .

فمن دعا لك بالهداية فقد دعا لك بالخير كلّ الخير ومن دعا لك بالعلم فقد دعا لك ببعض الخير .

ان قلت : إنّ من يطلب الهداية من الله تعالى في قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » لابدّ وأن يكون فاقداً لها فكيف يطلبها المسلم الموحّد في صلاته أجابوا عن ذلك باجوبة لاتشبع . .

والصحيح ان يقال : إنّ الهداية الّتي يطلبها المسلم في صلاته هي هداية غير حاصلة له فيطلب حصولها من ربّه فضلاً منه ورحمةً .

وذلك انّ الهداية من الله تعالى على قسمين : احدهما ـ : هداية عامّة ثانيهما ـ : هداية خاصّة .

اما الاولى : فقد تكون تكوينيّة وقد تكون تشريعيّة وأمّا الهداية التكوينيّة العامّة فهي الّتي أودعها الله تعالى في طبيعة كلّ موجود جماديّاً كان أم نباتيّاً وحيواناً كان أم انساناً .

فهي تسري بطبعها نحو كمالها والله تعالى هو الّذي أودع فيها قوّة الاستكمال كهداية النبات الى نموّه وهداية الحيوان الى تميزما يؤذيه ومالايؤذيه فالفأرة تفرّ من الهرّة ولاتفرّ من الشاة والدجاجة ترهب من الثعلب ولاترهب من الكلب وكاهتداء النمل والنحل الى تشكيل الاجتماع والحكومة الى البناء والسكنى . .

وكاهتداء الطفل بدء ولادته إلى ثدي امّه وإرتضاعه منها وهي معنى قوله تعالى : « قال ربّنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠ .

وأمّا الهداية التشريعيّة العامّة فهي الهداية الّتي هدى الله تعالى بها جميع البشر بارسال الرسّل اليهم وإنزال الكتب عليهم وإفاضة العقل وهي معنى قوله

تعالى : « وهديناه النّجدين » البلد : ١٠ .

وقوله تعالى : « إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان : ٣ .

و أما الهداية الخاصة فهى هداية تكوينيّة وعناية ربّانيّة خصّ الله تعالى بها من اهتدى حسب ما تقتضيه الحكمة الالهيّة فيهيّىء له ما به يهتدى إلى كما له الانسانى ويصل الى مقصوده وينال بها بالزّلفى عند الله سبحانه وبالفوز و العزّة والجنة فلولا تسديده لوقع فى الغيّ والضّلالة وهذا معنى قوله تعالى : « والله يهدى من يشآء إلى صراط مستقيم » البقرة : ٢١٣ . وقوله : « والذين اهتدوا زادهم هدى » محمد ﷺ : ١٧ .

وقوله تعالى : « فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضّلالة » الاعراف : ٣٠ .

فالمسلم بعد ما اعترف بأنّ الله تعالى قد منّ عليه بهداية عامّة تكوينيّة و هداية عامة تشريعيّة يطلب من الله تعالى ان يهديه بهداية خاصّة تكوينيّة وهذا معنى قوله تعالى : « والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » العنكبوت : ٦٩ .

ومعنى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » : وقوله : « ويزيد الله الذين اهتدوا » مريم : ٧٦ .

فيدعو الله تعالى بهذه الهداية ليسلك بها الجادّة الوسطى فلا يكون من المغضوب عليهم ولا الضّالّين » .

(صراط الذين انعمت عليهم)

بدل من قوله : « الصراط المستقيم » وهو فى تكرير العامل كأنه قيل : إهدنا الصراط الذين انعمت عليهم ، وفائدة البدل هى التاكيد والاشعار بان الصراط المستقيم هو كذلك ، وهم الذين اهتدوا بهدى الله جلّ وعلا وهم الذين جاهدوا فى الله فهداهم سبله وهم الذين خاضوا فى نور فطرتهم ولم ينحرفوا عنها فأيّدهم الله تعالى بما أيدّهم .

ان قلت : كيف يأمرنا الله تعالى باتّباع صراط من تقدمنا وعندنا احكام و ارشادات ومعارف لم تكن عندهم وبذلك شريعتنا أكمل من شرايعهم وأصلح لكل

زمان إلى يوم القيامة .

أجاب عنه القرآن الكريم : بانّ دين الله تعالى والأصول واحد في جميع الأمم إذ قال : « قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » آل عمران : ٦٤ .

وقال : « إنّا اوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده » النساء : ١٦٣ .

ويأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله الاقتداء بهداهم في قوله : « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » الانعام : ٩٠ .

فالايمان بالله جلّ وعلا وبرسله وبملائكته وباليوم الاخر وترك الشرك و الشر وعمل البرّ والتخلّق بأخلاق فاضلة مستو في الجميع .

وإنّما الاختلاف في الفروع بحسب إختلاف الازمان .

وانّ كمال الاسلام في تشريعاته وأحكامه وإرشاداته ومعارفه وبيان ما يحتاج اليه البشر في طوال الأعصار إلى يوم القيامة وفيه تبيان كل شيء .

(غير المغضوب عليهم ولاالضالين)

إنّ الكلام في حكم الاستثناء المنقطع من وجه حيث إنّهم غير داخلين في المهتدين بهدى الله وهو هداية تكوينيّة خاصّة لعدم إهتداءهم بهدى الله جلّ و علا وفي حكم الاستثناء المتصل من وجه آخر لدخولهم فيهم بهداية تكوينيّة عامّة وبهداية تشريعيّة عامّة وان لم يهتدوا اخيراً فتدبر واغتنم جدّاً .

ان قلت : ما الحكمة في أنه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين انعم الله عليهم ، وجعل المردودين فريقين : المغضوب عليهم والضالين ؟

والجواب : ان الذين كملت نعم الله تعالى عليهم هم الّذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته وبين الاستقامة عليها والعمل على مقتضاها فهم المرادون بقوله : « انعمت عليهم » وقال : « والعصر ان الانسان لفي خسر الاّ الذين آمنوا وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر » العصر : ١-٣ .

فبإختلال القيود الثلاثة وجدت طائفتان : المغضوب عليهم والضالون مع التداخل قال الله تعالىٰ : « فماذا بعد الحق الا الضلال » يونس : ٣٢ .

« الاعجاز »

وقد زعم كثير من الناس ان القرآن الكريم معجزة من حيث المجموع فغفلوا عن تحدّيه بسورة واحدة وبحديث من أحاديثه . .

إذ قال : « وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » البقرة : ٢٣_٢٤ .

ومن الإتّفاق إنّ الايتين مدنيّتان تواجهان البشريّة وتحديانها وقد نزلت قبلهما سورتان قصيرتان هما أقصر السّور القرآنية وهما سورتا والعصر والكوثر فانهما تحتويان ثلاث آيات . . .

فلو لم يكن كل سورة من السور القرآنيّة معجزة لما تحدّى بسورة واحدة أقصرها هاتان السّورتان . .

فاذا ثبت إعجازه من ثلاث آيات فهل لعاقل فضلاً عن فاضل خبير متدبّر في كلمات الله جلّ وعلا أن يزعم انه ليس كل آية بل كل جملة منها معجزة وهو يقول : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » الطور: ٣٤ تحداهم باتيان حديث بمثل القرآن ولو لم يكن كل سورة منها معجزة لاتى مثل اقصرها الذين سعوا فرادىٰ وجماعة ليلاً ونهاراً باتيان مثلها نحو أربعة عشر قرناً لينقضوا تحدّيه و يبطلوه ثم يفعلوا ما أرادوه ولكنّهم علموا أنّ إمتناع الاتيان بمثل القرآن ذاتي

لاالعادّى لانّه كلام الخالق فهوفوق قدرة المخلوق وزعموا ايضا أنّ القرآن الكريم معجزة من حيث البلاغة والاسلوب لمن له معرفة بذلك .

ولعمرى انّ كل هذه الزعوم ناش عن عدم التدبر فى الايات الكريمة القرآنية والغفلة عن حقائقها .

غفلة ان القرآن معجزة للبليغ فى بلاغته وللفصيح فى فصاحته وللحكيم فى حكمته والعالم فى علمه وللاجتماعى فى اجتماعه وللمقنّن فى تقنينه وللسّياسىّ فى سياسته وللحكّام فى حكومتهم ولجميع العالمين فيما لاينالونه جميعا كالغيب و الاختلاف فى الحكم والعلم والبيان .

فانّ القرآن الكريم يدعى عموم اعجازه من جميع الجهات من حيث كونه اعجاز الكل من الانس والجن العامّة والخاصّة من العالم والجاهل ومن الرجل و المرأة ومن الفاضل البارع فى فضله او مفضول و و و

فان البليغ والفصيح عاجز فى مقابل بلاغة القرآن وفصاحته والحكيم متحيّر فى مقابل حكمته والعالم مستأصل فى مقابل علومه و و و

واكثر ما يعجب به فى القرآن الكريم انه لم يتخصّص بفنّ واحد من الفنون لافى ألفاظه ونظمه واسلوبه ولا فى معانيه وحقائقه ومعارفه وحكمه .

فبيناتراه يتحدّر ببلاغة عجبى وامثال عليا إذ يجرى فى ميدان العلم ومضمار الحكمة فيبدى من أسرار الطّبّ والطبيعة وكائنات الارض وكامنات السماء ونواميس الكون .

وانكشف واحد من أسرار آلافه اليوم بفضل الأدوات المخترعة والفنون الاليّة المتنوّعة والحالة انه لم يملك شيئا منها يوم اخبرعنها .

وانّه الجذّاب الوحيد للألباب وانه مدرسة الحكمة وفصل الخطاب وانه المثل الأعلى فى العبقرية والاعجاز وانه خير دستور لانتظام المجتمع البشرى .

هذا هو قول أحد العلماء الطبيعيين : يجب أن نعترف بأنّ العلوم الطبيعيّة والفلك والحكمة والرياضيّات التى انتعشت فى أروبا فى قرن العاشر

مقتبسة من القرآن الكريم بل إنّ أروبا مدينة للاسلام » .

ويقول الاخر : أمّا مسئلة الوحي بالقرآن فهي اكثر اشكالاً واكبر تعقيداً لأنّ الباحثين لم يهتدوا الى حلّها حلّاً مرضيّاً والعقل حارّ كيف يتأتّى ان تصدر تلك الايات من رجل امّيّ وقد اعترف الشرق قاطبة انها آيات يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى » .

ان القرآن الكريم معجزة فى إنقلاب السامع عند إستماع آياته اذ فى قرائته واستماعه تأثير عجيب فيالنفوس البشريّة وان لم يتعقّل معانيه ويستمرّ إعجازه لإستمرار رسالة من جاء به الى يوم القيامة .

وانما هو معجزة فى ألفاظه ومعانيه وأسلوبه واخباره ونظمه ومعارفه و حقائقه وفى قرائته وإستماعه .

وهو يقول : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله » التوبة : ٦ وهو معجزة فى عجز الأعداء عن معارضته الذين هم كانوا أحرص الناس على اطفاء نوره وإخفاء امره .

فلو كان فى مقدرتهم معارضته لعدلوا اليها قطعاً فاين هذا ؟ وقد تحدّاهم على أن يأتوا بحديث مثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا وهم أفصح الفصحاء و مصاقع الخطباء واشدّ الأعداء .

ومن غير مراء انّ القرآن الكريم خلق شريف كخلق الانسان له اجزاء وأعضاء كل جزء وعضو منه معجزة لن يقدر أحد ان يخلق مثله .

فالعين عضو واللسان عضو والأنف عضو والأنامل عضو . .

لو اجتمع الجن والانس ان يخلقوا عيناً ولساناً وانفاً وأناملمثلعين الانسان وأنفه ولسانه وأنامله لن يقدوا .

ان القرآن الكريم معجزة حارت العقول وتاهت البصائر عندها ، عاجز كل مقنن عن طرح قانون بمثل القرآن وعاجز كل سياسيّ عند سياسة القرآن وعاجز كل خطيب فى خطابته عن خطابات القرآن و كل عالم اخلاقيّ عن

بحث اخلاق القرآن و كل عالم اجتماعي عن مباحث اجتماعية القرآن و كل كتاب عاجز عن كيفية كتابة القرآن و كل عالم جندى عاجز عن بحث جندى القرآن و كل اقتصادى عاجز عن بحث اقتصاد القرآن و كل طبيعي عاجز عن بحث طبيعة القرآن و كل فلكي عاجز عن بحث فلكي القرآن و كل طبيب عاجز عن بيان نواة طب القرآن « كلوا واشربوا ولاتسرفوا » .

ولعمرى ان القرآن الكريم معجزة في صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس غفل عن ذلك أكثر المسلمين خاصة وعامة فتركوا تلاوته بصوت حسن جهراً في الخانات والبيوت واكتفوا بقرائة القرّاء في مجالس الترحيم وعابوا قرائته جهراً وقد كان رسول الله الاعظم والائمة اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين يتلونه جهراً ويؤمن باستماعه الكافرون .

وان القرآن الكريم معجزة اذ لايوجد كلام لامنظوماً ولامنثوراً اذاقرع السّمع خلص له الى القلب من اللّذة والحلاوة والخشوع لديه مثل القرآن .

قال الله تعالى : « ولو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله » الحشر : ٢١ .

وقال : « الله نزّل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » الزمر : ٢٣ .

ومن اعجازه انه كلما يقرء لايكل قارئه ولاسامعه ، ومن البديهي ان الكلام ـ وان ارتفع مقامه من حيث البلاغة ـ الا انّ المعهود من الطباع البشريّة انه اذا كرّر على الأسماع هبط عن مقامه الاوّل ولذلك نرى ان القصيدة البليغة إذا أعيدت على الأسماع مراراً ملّها واشمأزّت منها النفس .

فاذا سمع الانسان قصيدة اخرى فقد يتراءى له في أوّل نظره انها أبلغ من القصيدة الأولى فاذا كررت الثانية ايضا ظهر الفرق الحقيقي بين القصيدتين و هذا جار في جميع ما يلتذ به الانسان ويدرك حسنه من مأكول وملبوس ومسموع وما اليها من الملتذّات .

وأمّا القرآن الكريم فلو لم يكن معجزاً لكان اللازم أن يجرى على هذا المقياس وينحطّ فى نفوس القارئين والسامعين عن مقامه الاوّل مهما طال بدالزّمان وطرأ عليه التكرار وبذلك تسهل معارضته .

ولكنّا نرى القرآن الكريم على كثرة تكراره وترديده لايزداد الاّ حسناً وبهجةً ولا يثمر الاّ علماً ومعرفةً ويقيناً ولاينتج الاّ ايماناً وتصديقاً وهو يقول : « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » الانفال : ٢ . فهو فى هذه المزيّة على عكس الكلام المألوف وإذن فهذا الوجه يؤكّد إعجازه .

وهذه هى سورة الفاتحة تجب قرائتها على كلّ مكلّف عشرمرات ليلاً ونهاراً فلا تزيد عليه الاّ حسناً وبهجةً ولاتثمره الاّ علماً ومعرفةً ويقيناً ولا تنتجه الاّ ايماناً وتصديقاً متدبراً فيها .

وهذه السورة معجزة كبرى ترجع اليها معانى القرآن الكريم ومشتملة على أهمّ أغراض هـذا الكتاب العزيز ومحتوية ما لاتحتوى المجلدات الضخام من اسمى المعانى وأنبل المقاصد وأعلى الغايات ومتضمّنة أمّهات المطالب القرآنية أكمل تضمن ومن هنا سميّت بامّ الكتاب وسبع المثانى .

ويكفيك ماورد كثيراً لاريب فيه من قول أميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه‌السلام : لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى (الباء) .

سياتيك قريباً فى فصل (على امير المؤمنين عليه‌السلام وفاتحة الكتاب) تفصيلاً انشاءالله تعالى .

وتتضمّن هذه السورة على التعريف بواجب الوجود والرب المعبود بخمسة أسماء من أسمائه الحسنى وهى مرجع سائر الأسماء الحسنى وعليها مدار صفاته العليا و (الله والرحمن والرحيم والرب والمالك) .

فتثبت الوحدانيّة المطلقة لله رب العالمين والرحمة العامة والخاصة والربوبية المطلقة والمالكية له جلّ وعلا .

وتتضمن إثبات يوم الحساب وجزاء العباد بأعمالهم إن كان خيراً فخير وان

كان شراً فشر وتفرد الخالق المعبود والرب المقصود بالحكم فيما بينهم وسيكون حكمه بالعدل والقسطاس المستقيم .

وتثبت النبوّات من طرق عديدة منها : قوله تعالى : « رب العالمين » فلا يليق بالله تعالى ان يترك عباده سدىً وهملاً لايعرفهم بما ينفعهم فى معاشهم و معادهم وما يضرّهم فيهما : ومنها : قوله تعالى : « الرحمن » فان رحمته الواسعة تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم وهدايتهم الى ما به ينالون غاية كمالهم ومنتهى سعادتهم في الدنيا والاخرة ومن إقتضاء الرحمة الربانيّة لحفظ الأبدان تضمّنت إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب وتفجير الارض بالعيون وإسالة الانهار و اثمار الاشجار وتعمير الأمصار فكيف لاتضمن إقتضاء الرحمة الربانية إنزال ما به حياة القلوب والأرواح وتعميرها .

وهذا لايكون الاّ بالدين الذى جاء به رسل الله جلّ وعلا عن ربّهم ليقودوا العباد الى الرشاد ويصدّوهم عن الغى والظلم والفساد ويطهروا قلوبهم ويزكّوا انفسهم من أدران المادية والفوضوية والإنحلال ويغسلوا أرواحهم من الحقد و الغلّ والكبر والحسد .

ثم اثبتت هذه السورة القصيرة لفظاً والعظيمة معنىً عبادة العباد لرب العباد وقصرت العبادة عليه وحده فلامعبود يليق ان يعبد سواه ولا مستعان الاّ به فى قوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » .

ثم وجّهت القارى الىٰ انّه جل وعلا هو الهادى وخصّ طلب الهداية منه تعالى بقوله : « اهدنا الصراط المستقيم » .

واستشهدت علىٰ ذلك بذكر قصة السّابقين وأنباء السالفين من الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً بقوله تعالىٰ : « صراط الذين انعمت عليهم » .

ثم ذكر مقابل هؤلاء السعداء الفرق الاشقياء الذين لم يهتدوا بهدى الله جل وعلاٰ فضلّوا وأضلّوا ولعنوا وطردوا من رحمة الله تعالى من المشركين والكافرين و

المنافقين والظالمين فبئسما صنعوا وبئسما اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

وهذه هي الاغراض العامة التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة وهي نفس الاغراض الكبرى التي إحتواها كتاب الله المجيد وفصّل فيه الكلام تفصيلاً ، وأشارت اليها فاتحة الكتاب بهذه الإشارات الموجزة .

فسبحان الذى انزل كتابه العظيم على نبيه الكريم ﷺ الذى عجز الانس والجن على ان يأتوا بسورة قصيرة من مثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

«(التكرار)»

سورتان مشتملتان على سبع آيات : وهما ـ سورة الفاتحة وسورة الماعون وإنّ السّور التي إفتتحت بجملة (الحمدلله) جلّ جلاله خمس سور :

١ـ سورة الفاتحة ٢ـ سورة الأنعام ٣ـ سورة الكهف ٤ـ سورة سباء ٥ ـ سورة فاطر .

وإنّ الكلمات التي إستقصيت معانيها اللغويّة ـ وموارد إستعمالاتها في القرآن الكريم والرّوايات الواردة ـ التي أوردتها في بحث السابق اللغوى وبذلت وسعى بحول الله تعالى في عدّ الكلمات على صيغها ومشتقّاتها في القرآن مرئى عينيك :

١ـ جائت كلمة (الرّحمة) على مشتقّاتها وصيغها في القرآن نحو : ٣٤٠ مرّة .
٢ـ » » (الحمد) » » » » : ٦٨ » .

٣-	«	«	(الملك)	«	«	«	«	١١٨ :	«	.
٤-	«	«	(اليوم)	«	«	«	«	٤٧٥ :	«	.
٥-	«	«	(العبد)	«	«	«	«	٢٧٥ :	«	.
٦-	«	«	(العون)	«	«	«	«	١١ :	«	.
٧-	«	«	(الهدى)	«	«	«	«	٣١٦ :	«	.
٨-	«	«	(الصّراط)	«	«	«	«	٤٥ :	«	.
٩-	«	«	(غير)	«	«	«	«	١٥٣ :	«	.
١٠-	«	«	(الغضب)	«	«	«	«	٢٤ :	«	.
١١-	«	«	(الضّلال)	«	«	«	«	١٩٠ :	«	.

كلّ بحسب اقتضاء الحال ومقتضى المقام وبحسب الأغراض والأهداف وإن التدبّر فى القرآن الكريم يلهمنا أنّ لتكرار الكلمات والايات والقصص والحجج والبراهين والأحكام والأمثال وجوهاً نشير إليها إجمالا :

أحدها - ليس فى القرآن الكريم تكراراً أصلاً إذحدّ التكرار أن لاينطوى على مزيد فائدة غير التأكيد ، وانّك إذا رأيت كلمةً أوجملة وآية اوقصّة وحجّة أو برهاناً وحكماً اومثلا مكرّرة وتنظر الى سابقها ولاحقها ينكشف لك مزيد الفائدة فى إعادتها وتجد متعلّقها غير ماتعلّقت به الأولى ويسمّى هذا بالترديد كقوله تعالى : « الله نور السّموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب درّىّ » النور : ٣٥ .

وقع الترديد فيها اربع مرات :

وكقوله تعالى : « فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان » تكرّر أحدو ثلاثون مرّة فكل مرّة منها تتعلّق بما قبلها ولو كان الجميع عائداً إلى شىء واحد لمازاد على ثلاث مرّات لأنّ التأكيد لايزيد عليها .

ان قلت : إنّ جميع ماتقدّم على « فباى آلاء ربكما تكذبان » ليس نعمة حتّى يصحّ إتيانها تذكيراً للنعمة .

قلت : إنّ تذكير النّعمة تحذيراً نعمة لاتخفى على عاقل فضلاً عن فاضل .

ان قلت : أىّ نعمة فى قوله تعالى : « كلّ من عليها فان » :

قلت : إنّ النّقل من دار الهموم إلى دار السرور وإراحة المؤمن والبارّ من الفاجر أعظم نعمة .

و كقوله تعالى : «ويل يومئذ للمكذبين » فانّه عقيب قصص عديدة مختلفة .

و كقوله تعالى : « إنّ فى ذلك لاية وماكان اكثرهم مؤمنين وإنّ ربك لهو العزيز الرحيم » تكررّ فى سورة الشعراء ثمان مرّات كلّ منها عقيب قصّة غير قصّة اخرى وما اشتملت عليه من المواعظ والعبر مالايخفى .

و كقوله تعالى : « و لقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » فى سورة القمر .

وغيرها من الايات الّتى جائت متكرّرة بعينها و كذلك حال البسملة فى السّور لإختلاف اغراضها كما انك تتكرر البسملة فى افعالك المختلفة من القرائة والكتابة والاكل والشرب والنوم وما اليها .

وقد يتصرف فيما يتكرر وهو قد يشبه ردّ العجز على الصدر ووقع منه فى القرآن الكريم كثيراً لنكات لايعرفها الاّ من يتدبّر فيه .

كقوله تعالى : « وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطةّ » البقرة : ٥٨ .

وقوله تعالى : « وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجداً » الاعراف : ١٦١ .

وقوله تعالى : « والنصارى والصابئين » البقرة : ٦٢ .

وقوله تعالى : « والصابئين والنصارى » الحج : ١٧ .

وقوله تعالى : « قل إنّ هدى الله هو الهدى » الأنعام : ٧١ ، والبقرة : ١٢٠ .

وقوله تعالى : « قل إنّ الهدى هدى الله » آل عمران : ٧٣ .

وقد يشتبه بالزيادة والنقصان

كقوله تعالى : « إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا

يؤمنون » البقرة : ٦ .

وقوله تعالى : « وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون » يس : ١٠ . بزيادة واو وإن ما فى (البقرة) جملة خبرية عن اسم (ان) وما فى (يس) جملة عطفت بالواو على جملة سابقة .

وقوله تعالى : « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » البقرة : ٥٧ .

وقوله تعالى : « ولكن أنفسهم يظلمون » آل عمران : ١١٧ .

وقوله تعالى : « ولايكلّمهم الله يوم القيامة ولايزكّيهم » البقرة : ١٧٤ .

وقوله تعالى : ولايكلّمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكّيهم » آل عمران : ٧٧ .

وقوله تعالى : « فامسحوا بوجوهكم وايديكم » النساء : ٤٣ .

وقوله تعالى : « فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه » المائدة : ٦ ، بزيادة (منه)

وقد يتصرف فيما يتكرر بالتعريف والتنكير :

كقوله تعالى : « ويقتلون النّبيّين بغير الحق » البقرة : ٦١ .

وقوله تعالى : « ويقتلون النّبيّين بغير حق » آل عمران : ٢١ .

وقوله تعالى : « هذا البلد آمناً » ابراهيم : ٣٥ .

وقوله تعالى : « هذا بلداً آمناً » البقرة : ١٢٦ .

وقد يتصرف بالجمع والافراد كقوله تعالى : « لن تمسّنا النّار الاّ أيّاماً معدودات » آل عمران : ٢٤ .

وقوله تعالى : « لن تمسّنا النار الاّ أيّاماً معدودة » البقرة : ٨٠ .

وقد يتصرف بابدال حرف بحرف غيره كقوله تعالى : « اسكن انت و زوجك الجنة و كلا » البقرة : ٣٥ ، بالواو .

وقوله تعالى : « اسكن انت وزوجك الجنة فكلا » الاعراف : ١٩ ، بالفاء .

وذلك لأنّ (اسكن) فى البقرة من السكون بمعنى الاقامة لاتصلح الاّ بالواو ولو جائت بالفاء لوجب تأخير الاكل الى الفراغ من الاقامة والّذى فى

الاعراف من المسكن وهو إتّخاذ الموضع سكناً فكانت الفاء لازمة لأنّ إتخاذ المسكن لايستدعى زمناً متجدداً .

وقد يتصرف بابدال كلمة بكلمة اخرى كقوله تعالى : « فأزلّهما الشيطان » البقرة : ٣٦ .

وقوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان » الاعراف : ٢٠ .

وقوله تعالى : « يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحى » الانعام :٩٥ .

وقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » الروم : ١٩

وقوله تعالى : « فلما أتاها » طه : ١١ .

وقوله تعالى : « فلمّا جائها » النمل : ٨ .

وقد يتصرف بالادغام وتركه كقوله تعالى : « لعلّهم يتضرعون » الانعام : ٢

وقوله تعالى : « لعلّهم يضّرّعون » الاعراف : ٩٤ .

وغيرها من التصرفات فتدبّر واغتنم إذفى المقام مزلّ الأقدام والبحث فى محلّه انشاء الله تعالى .

ثانيها ـ إذا تدبّرنا فى القصص الّتى جائت فى القرآن الكريم نجدها غير متكرّرة علىٰ ما فى بعض الاذهان الجامدة حتى قصة موسىٰ عليه السلام الذى إنتهت كلمته إلىٰ ١٣٦ مرة فى الذكر وإنتهت قصته نحو ٩٠ مرّة فى القرآن الكريم .

وكذا قصة نوح عليه السلام الذى إنتهت كلمته الى ٤٣ مرّة فى الذكر وإنتهت قصته نحو ٢٥ مرّة فى الكتاب المجيد .

وكذا قصة آدم عليه السلام الذى إنتهت كلمته إلىٰ ٢٥ مرّة فى الذكر وإنتهت قصته نحو ٢٠ مرّة بل إنّما جائت من كل قصة من القصص نبذة نبذة إستشهاداً لما يدور عليه غرض السورة الّتى جائت النبذة فيها تارةً ولما يذكر فى السورة من الدعوة والارشاد والوعد والوعيد وما اليها تارة أخرىٰ .

ولما كانت قصة موسى (ع) أكثر مورد استشهاداً لأغراض السور القرآنية وما فيها لكثرة إختلاف قومه وذبذبتهم وحمقهم اذ كانوا لايؤمنون بموسى عليه السلام

رسولاً وكانوا يتخذون العجل إلهاً لهم وما جائت عليهم من التبعة والدمار والغرق والهلاك جائت اكثر من غيرها من القصص .

ومن هنا لاتجد نبذتين منها متساويتين فى القرآن الكريم فتدبّر جيداً .

وكما يمكن أن تذكر قصيدة مشتملة على مأة بيت مثلا نبذة نبذة ألف مرّة للاستشهاد بها على ما تريد ولاينبغى أن تذكر كلمة أو جملة مستشهدة فقط بل لابدّ وأن تذكر بيتاً أو بيتين أو اكثر كذلك جائت القصص نبذة نبذة مزيدة على مورد الاستشهاد تمهيداً وليعلم أنّ المستشهد عليه نبذة من قصة موسى عليه السلام مثلا ولفوائد اخرى وانّ القصة أحسن وسيلة لتربية النفوس البشرية وأكمل أداة تقرير لمعان وحقائق ومبادىء وسنن فى الوجود .

وهى تتناسق فى هذا مع السياق الذى تعرض فيه فى كل سورة وتتعاون فى بناء القلوب والحقائق التى تعمر القلوب وتطهر النفوس وتزكّيها .

ومن هنا يعلم مجيئها نبذة نبذة مزيداً على موارد إستشهاداتها وأصل بيانها فى السور التى جائت فيها .

فينبغى لنا أن نتحصل غرض كل سورة وما جاء من قبل النبذة التى جائت فيها حتى نعرف أنّ الغرض الاصيل من مجيئها فيها ما هو ؟ وماذا ؟

وان طريقة القرآن الكريم فى عرض القصّة انّه يقسمها الى مشاهد ويجعل بينها فجوات فنية يملؤها الخيال بحيث لايفوت القارىء المتدبر الملتفت شيء من الأحداث والمناظر المتروكة بين مشهد ومشهد مع الإستمتاع الفنى بحركة الخيال الحية وقد تجيىء بين حلقة وحلقة وبين مشهد ومشهد أربع فجوة وقد تجيىء خمسٌ وقد تجيئى صغيرة وقد تجيئى كبيرة .

ومن طريقته انّه قبل أن يبدأ القصة يرسم الجو الذى تدور فيه الأحداث و الظرف الذى تجرى فيه القصص ويكشف عن الغاية المخبؤة وراء الأحداث والتى من أجلها يسوق هذه القصص كلّها تساوق موضوع السورة وغرضها .

وليس غرض القرآن من القصة التحديد التاريخى لها فلا يزيد فى دلالتها

شيئاً كما توهّم قال الله تعالى : « إنّ هذا القرآن يقصّ على بنى اسرائيل أكثر الّذى هم فيه يختلفون » النمل : ٧٦ .

وقال : « فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون » الاعراف : ١٧٦ .

وقال : « وكلّاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك » هود : ١٢٠ .

ان قلت : ما الحكمة فى عدم تقطيع قصة يوسف عليه السلام وعدم ذكرها نبذة نبذة كما صنع بقصة موسى ونوح وابراهيم وآدم عليهم السلام ؟

بل ساقها مساقاً واحداً .

قلت : بوجوه أهمّها وجهان : أحدهما ـ انّ فى قصة يوسف عليه السلام تشبيب النسوة به وحال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالاً فناسب عدم تقطيعها و ذكرها حلقة حلقة لما فيه من الاغضاء والستر كما ورد النهى عن تعليمها النساء ثانيهما ـ إنّ سورة يوسف (ع) نزلت بسبب طلب الصحابة من النبى صلى الله عليه وآله أن يقصّ عليهم كما ورد فى أسباب النزول :

فنزلت مبسوطة تامّة ليحصل لهم الغرض من إستيعاب القصة وترويح النفس بها والاحاطة بطرفيها .

ومن هنا تعلم حكمة عدم تقطيع قصة اصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام وقصة الذبيح وبعض قصص اخرى .

لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب .

ثالثها ـ إنّ التكرار قد يوجد فى المعنى دون اللفظ كقولك : « أطعنى و لاتعصنى » وقد يوجد فى اللفظ دون المعنى كقولك : « تالله وبالله » وأنت تريد الماضى والمستقبل وقد يوجد فيهما معاً كقولك : « عجّل عجّل » .

وقد يقع ذلك كلّه لتأكيد المعنى والمبالغة فيه وقد يقع لتزيين النظم وحسنه والحاجة إلى إستعمال كليهما وان الايجاز والحذف قد يعمى السّامع .

وإنما التكرار اللغو المذموم ما لم يكن له فائدة فى الكلام مما تقدّم وامّا إذا كان له فائدة فكان من أحسن اللواحق للكلام المنظوم ولايسمى تكراراً .

وإنّ تكرير اللفظ لتزيين النظم أمر لايدفعه من له معرفة بالبلاغة وهو موجود في كلام أفصح الفصحاء وفي اشعار أبلغ البلغاء .

فجاء في القرآن الكريم بأفانين من البيان وأساليب من الكلام اظهاراً لعظيم القدرة يعجز عنها الجن والانس .

وهذه الوجوه هي أهمّها وأمّا الوجوه الاخر ففي محلها إنشاءالله تعالى .

«(التناسب)»

إنّ هناك طوائف ثلاث :

طائفة مفرّطة فقصّروا فى التناسب بين الايات الكريمة وبين السّور القرآنية فانكروه بغمض العين واستدلّوا علىٰ ذلك بحرف (لا) فنعم ماقيل : إن دليل المنكر حرف النفى .

وطائفة مفرطة وهم الّذين سعوا فى ربط الايات والسّور ولكنّهم دخلوا من غير الباب .

وطائفة وسطىٰ وهم المحقّقون من الشّيعة الاماميّة الاثنى عشريّة .

فلنا أن نبذل ما فى وسعنا ـ مستعيناً بالله تعالىٰ ومستمداً منه جلّ وعلا ـ فى تناسب السّور القرآنيّة نزولاً اولاً وفى تناسبها مصحفاً ثانياً وفى التناسب بين آيات كل سورة ثالثاً . ولعمرى انّ التناسب بين السّور القرآنيّة السماويّة النازلة وبين السّور المدوّنة المصحفية وايها كالتناسب بين الايات التكوينيّة .

هذه شمس تشرق وذاك قمر يضيئى وتلك كواكب تتلألأ ووو ...

وههنا أعضاء وجوارح .

فإذا وقفت التناسب بين تلك الموجودات والتناسب بين أعضاء الانسان وجوارحه فلقد وقفت التناسب بين السور القرآنية والتناسب بين آياتها وقفت الغزير من المنسوخ على منوالها وإرتباطها تامّة بنفسها قائمة بذاتها .

وكل جملة من الجمل لو انفردت قامت بنفسها ويقع فى الضمير حكمة من لدن حكيم خبير عليم بصناعة الرّسم والتصوير مع مافى جملة من جملها من السلاسة

والمتانة والنفاسة والرصانة بحيث لاترى فيها لفظة ركيكة ولا كلمة مبتذلة ولا وحشيّة غريبة ولامتنافرة كريهة مع ترابطها ربطاً كاملاً .

وليس هذا يختصّ بآية دون آية أوبحديث غيرحديث أوبقصة دون اختها أو بخطّة دون ماسواها .

أيحسب عاقل فضلاً عن فاضل متدبّر فى آيات الله جل وعلا أنّها فى آيات معدودة وكلمات محدودة أو فى سور متمايزة .

افيوجد لاحد من البشر نظم مثل نظم القرآن الكريم وأساليبه ؟

افيوقف لبارع من أوائل البلغاء والثوانى على ماجمعه القرآن الكريم ؟

من أىّ خطة شئت وأىّ مقام أردت : مقام الدّعوة إلى التوحيد مقام الوعد والوعيد مقام التشويق إلى الجنان مقام التحذير من النيران مقام القصص والانباء مقام دعوة الانبياء مقام تهذيب النّفس البشريّة مقام نشؤها ونموها مقام تطهيرها وتزكيتها مقام بيان العلوم الطبيعيّة والرياضية من السحاب والمطر والرعد والبرق والصواعق و الزلازل والخسف وغيرها من كائنات الجو ومقام بيان الاحكام والتكاليف ومقام الاوامر والنواهى ومقام الارشاد والتعليم مقام التقريع والتقرير ومقام الحجج والبراهين..

كل واحد إذا رأيته قلت : هوالغاية واذا إنتهيت إليه حسبته النهاية مع ترابطها ربطاً وثيقاً .

كل ذلك اظهاراً لعظيم القدرة وتبياناً لمعجز القوة وباهر السطوة وانه مرتبة إلهيّة ومنزلة إلهاميّة تعجز عنها الجنّ والإنس وتضعف دونها القوى والقدر ومنه تعرف وجه التناسب فى الايات والسّور وأسراره ، وهذا باب من معجزات القرآن الكريم وسرّ جليل من أسرار بلاغاته .

افيقدر أحد أن يزيد فيه ؟ أويعلو على معاليه ؟ أو ينظمه أقوى من سلكه ؟ أو يرفعه إلى ماهوأعلى من سمكه ؟

« ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين » .

فاذاً ينقطع اللجاج ويعتدل الاعوجاج وينتهى العذر ويتبدّل الشك والظّن بالعلم واليقين كيف وهذا الكتاب معجزة خالدة متناه فصاحته وعال ذروته تشهدها العيون بأحداقها مع منتهى جلالته وفخامته ومن منيع عزته و كرامته ومن حسن موقعه وجميل أثره .

جميل الألفاظ وجليل المعانى معجز القول وبليغ المنطق بديع النظام وعجيب الرصف والاحكام فى نضده وسبكه وسلاسته ونفاسته .

ولعمرى لا يمكن فهم ذلك الاّ بعد الجدّ والتعب والكد والطلب مستعيناً بالله تعالى ومستمدا منه جل وعلا .

ولايفهم ذلك الاّ من لطفت قريحته وصفى جوهره ودرايته وإنتهت معرفته بأساليب كلام الله المجيد ونظمه وقامت فيه تلك القوة ونال حظّا منها ويعلم بها مظانها .

فيجب على من يتقمّص فى تفسير كلام الله جلّ وعلا ليس كمثله كلام أن يحيط بعلم ترتيب السّور نزولا والترابط بينهما اجمالاً وتفصيلاً وأن يلاحظ ترتيب السور مصحفاً كذلك وأن يتدبّر فى الايات الكريمة والتناسق بينها تدبّراً غير شائب عن اىّ شائبة ، حتّى يقدر أن يفسر القرآن الكريم .

لانّ إرتباط السّور والايات بعضها ببعض بحيث يكون المجموع كالسلسلة الواحدة أو الكلمة الوحيدة متّسقة المعانى منتظمة المبانى متفرّقة على حسب الوقائع تنزيلاً منظّمة على حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، وانّ القرآن الكريم هذا على وفق مافى اللوح المحفوظ مرتّبة سورة كلها وآياتها بالتوقيف كما أنزل جملة الى بيت العزّة .

ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ومن تأمّل فى لطائف نظم السّور وفى بدائع ترتيب آيها علم أنّ القرآن الكريم كما انّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه كذلك هو معجز بسبب ترتيب سوره ونظم آياته ومن هنا قالوا : انه معجز بسبب أسلوبه . وما ورد : انّ اكثر لطائف القرآن مودعة

فى الترتيبات والروابط .

ومن غير مراء انّه بالترابط بين الكلمات تحرز العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول ولزوم الترابط بين كلمات النّاس أمر لاينكره عاقل فضلاً عن فاضل خبير فاذا عرضت مترابطة على العقول تلقته بالقبول والاّ فتستهجنها فيقال : فلان تكلّم من غير ربط ، وهذا أمر بديهى لايقبل التشكيك .

فكيف كلام الله المجيد ؟

ولايخفى ان التناسب فى فواتح الايات وخواتمها ومرجعها الى معنى مارابط بينهما عام او خاص عقلى او حسى وغير ذلك من أنواع التناسب أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين أو التلازم الخارجى كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع فى باب الخبر .

وما يجب على المفسّر فى ذلك هو النظر فى كل آية قبل البحث فى التفسير بأن يبحث اول كل شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه ترابطها لما قبلها ؟ وهكذا فى السور نزولا ومصحفاً ففى ذلك علم جمّ .

فيطلب وجه اتصال سورة بما قبلها نزولاً ومصحفاً .

وإذا اعتبر إفتتاح كل سورة يجد فى غاية الترابط لما فى السورة السابقة من الغرض ولما ختم به قبلها من البيان ثم هو قد يخفى وقد يظهر .

كافتتاح سورة الانعام بالحمد فى خلق السموات والارض فانه مناسب لغرض سورة الحجر التى نزلت قبلها ولختام سورة المائدة من البيان فتدبر جيداً .

وكافتتاح سورة البقرة « الم ذلك الكتاب الخ » لما فى سورة المطففين التى نزلت هى قبلها ولما فى سورة الفاتحة من المهتدين الذين انعم الله تعالى عليهم فوصفهم فى سورة البقرة اولاً ثم وصف المغضوب عليهم والضالين ثانياً .

ومن تناسب السورة اللاحقة بسورة سابقة لها لبيان الاوصاف المتضادة أو المتباينة كسورة الكوثر فانها كالمقابلة لما قبلها من سورة الماعون .

اذ وصف الله تعالى المكذبين فى السابقة بأربع أوصاف : البخل وترك الصلاة

والرياء ومنع الماعون فجاء في الكوثر مقابل البخل « إنّا اعطيناك الكوثر » و في مقابل ترك الصلاة « فصلّ » وفي مقابل الرياء « لربك » وفي مقابل منع الماعون « وانحر » كما تكون الحال في كثير من الايات من ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والنقمة ومن ذكر الرغبة بعد ذكر الرهبة ومن ذكر الايمان واهله بعد ذكر الكفر واهله ومن ذكر النار بعد ذكر الجنة وغيرها من الامور فتدبر واغتنم .

وهذه هي سورة الفاتحة : نزلت مرّتين : مرة بعد نزول خمس آيات من أوائل سورة العلق لوجوب الفريضة والتناسب بين خلق الانسان وتعليمه وتكليفه مما لايخفى على متأمل خبير .

ومرة اخرى عند تحول القبلة تنبيها على أنّ لاصلاة الاّ بفاتحة الكتاب و أما التناسب بين آيات السورة فافتتحت بقوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » تعليماً للعباد ففيه مقامات ثلاث .

مقام الالوهية يشير إلى أصل الخلق ومقام الرحمة المطلقة الشاملة يربى بها الخلق فيتنعمون بها اطلاقاً ومقام الرحمة الخاصة يتنعّم بها العباد بعد الكمال .

فاذاً لابد من العباد تجاه هاتين الرحمتين الحمد فقال تعليماً لهم : « الحمدلله» فكأنّ سائلاً يسئل : إنّ الحمد لله مبنى على أمرين : احدهما ـ وجود الرب ، ثانيهما ـ أن يكون الرب مستحقاً للحمد فما الدليل على الأمرين ؟ فأجاب عن الاول بقوله تعالى : « رب العالمين » وعن الثاني بقوله تعالى : « الرحمن الرحيم » .

ولمّا أشار بقوله جل وعلا : « الرحيم » إلى رحمته الخاصة التى لاينال بها الانسان الاّ بالكمال فكأنّ سائلاً يسئل عن ظرفها وعما يتحقق به الكمال فأجاب عن الاول بقوله تعالى : « مالك يوم الدين » وعن الثاني بقوله جل وعلا : « اياك نعبد » لأن العبادة هي وسيلة الكمال الانساني كما قال : « وما خلقت الجن و الانس الاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦ .

ولابد في العبادة لله تعالى وحده من الاستعانة به جل وعلا أشار اليها بقوله : « واياك نستعين » .

وعند التكليف والعبادة صار الناس على طائفتين : طائفة مؤمنين مطيعين نالوا الى الكمال وشملتهم الرحمة الخاصة الالهية .

وطائفة كافرين عاصين شاردين طاغين غضب الله تعالى عليـهم فضلّوا واضلّوا ، فلنا ان نطلب من الله تعالى أن يجعلنامن زمرة السابقين المتنعّمين برحمته الخاصّة وأن لايجعلنا من زمرة المنحطّين المغضوب عليهم والضالين المحرومين من الرحمة الخاصة الالهيّة .

فأشارالى ذلك كلّه بقوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم - إلى آخر السورة .

الناسخ والمنسوخ
والمحكم والمتشابه

ما رأيت من الباحثين كلاماً يدلّ على أنّ في هذه السورة ناسخاً او منسوخاً او متشابهاً .

فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .

« تحقيق فى الاقوال »

(بسم‌الله الرحمن الرحيم)

فى الباء أقوال :

١- للمصاحبة والملابسة اى إقرأ اوا كتب أو اقول أو اقعد أو اقوم أوانوم أو إركب وما إليها من الامور مصاحباً ملابساً بسم‌الله الرحمن الرحيم .

٢- للالصاق وذلك انّ علوم الكتب السماوية مندرجة فى القرآن الكريم وعلومه مندرجة فى فاتحة الكتاب وعلومها مندرجة فى البسملة وعلومها مندرجة فى بائها ، فالمقصود من كلّ العلوم وصول العبد إلى ربّه فالباء للالصاق فهو يوصل العبد إلى ربّه وهو نهاية المنى وأقصى الأمد .

٣- للاستعانة اى بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ واكتب واقوم واقعد واقول وما اليها من الامور مستعيناً به جل وعلا .

أقول : إن الأخير هو المستفاد من قول اميرالمؤمنين ترجمان الوحي علي عليه السلام : «بسم الله» اى استعين على أمورى كلها بالله » وعليه أكثر المفسرين من المحققين .

وفى الاسم اقوال : ١- عن ابن عباس : الاسم إسم اريد به التسمية وهى مصدر كما جعل الكلام مكان التكليم والعطاء مكان الاعطاء .

فالمعنى : بتسمية الله تعالى أقرأ واكتب واقعد واقوم وما إليها من الامور ٢- الاسم صفة لله تعالى فاضيف اليه ٣- ان المراد بالاسم هو المسمّى بعينه ٤- ان المراد بالاسم هو الله تعالى اى بالله الرحمن الرحيم اقرؤ واكتب ٥- ان المراد بالاسم هو هو لقوله تعالى : «بسم الله مجراها ومرساها» هود : ٤١ . على تأخير المتعلق لأنّ تقديم ذكر الله تعالى أدخل فى التعظيم وأوفق بالإختصاص .

أقول: إنّ الأخير هو الصواب .

ولايخفى إنّ الاسم إذا كان منظوراً اليه من حيث إسميته بحيث يكون الناظر غافلاً عن نظره يكون غير المسمّى بمعنى انّه لاوجود ولانفسيّة ولاحكم ولااثر حينئذ إلاّ للمسمّى واذا كان منظوراً إليه بحيث يكون فى نظر الناظر ذا نفسيّة ووجود كان عين المسمّى .

ولايخفى ايضا إن نسبة الاسم الى الله تعالى كنسبة الوجود الى الماهيّة فى الممكن الاّ ان الواجب تعالى لاماهيّة له جل وعلا سوى الانيّة .

وفى اشتقاق الاسم : أقوال ثلاثة : ١- أنّه مشتقّ من السموّ بمعنى العلوّ والرفعة عندالبصريين .

٢- أنّه مشتقّ من الوسم والسمة بمعنى العلامة عندالكوفيين .

٣- أنّه غير مشتقّ وانّما هو إسم لأنّ صاحبه بمنزلة المرتفع به .

أقول : إنّ الأوّل هو الحقّ لجمعه على الأسماء وتصغيره على سميّ

ولانّه هو الانسب فان التسميّة تنويه بالمسمّى قال تعالى : « فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميّاً » مريم : ٦٥.

ولتصغير الوسم على وسيم وجمعه على أوسام .

وفى كون البسملة من آيات السّور القرآنية ثلاثة أقوال : ١ـ قال مالك : ليست هى بآية من الفاتحة ولا فى غيرها .

٢ـ قال الشافعى : هى آية فى الفاتحة وتردد فى غيرها فقال مرّة : هى آية من كل سورة وقال مرة اخرى : إنّها ليست بآية الاّ فى الفاتحة وحدها .

٣ـ هى آية فى كل سورة .

اقول: ان الاخير هو مذهب الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية لما ورد من الروايات الكثيرة من أئمة اهل بيت الوحى عليهم السلام التى اوردنا بعضاً منها فى البحث النزولى فراجع .

(الله) فيه أقوال : ١ـ إنّه ليس بمشتقّ وانّما هو اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال .

٢ـ قال ابن عباس : هو الّذى يألهه كل شىء ويعبده كل خلق وهو ذو الالوهية والمعبوديّة على الخلق أجمعين بناء على إشتقاقه من أله بمعنى عبد .

٣ـ قال المبرد : إنه مشتق من أله بمعنى سكن فإنّ النفوس لاتسكن الاّ اليه وان العقول لاتقف الاّ لديه ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

٤ـ إنه مشتق من وله وهو ذهاب العقل وتحيره فى كنه ذاته وجلاله وعظمته .

٥ـ إنه مشتق من لاه بمعنى ارتفع لانّه جل وعلا ارتفع عن مشابهة كل شىء سواه.

٦ـ إنّه مشتق من لاه بمعنى إحتجب لأنّه تعالى بكنه صمديته محتجب عن العقول لكمال ظهوره .

٧ـ إنّه مشتق من أله الفصيل إذا ولع بأمّه فان العباد إذا مسّهم الضر مولعون منيبون بالتضرع إليه ، وغيرها من الأقوال الغريبة . .

اقول : إن الاول هو الصواب وعليه اكثر المفسرين من المحققين .

(الرحمن الرحيم)

فى معناهما وإشتقاقهما أقوال :

١ـ قال ابن عباس : هما إسمان رقيقان أحدهما ارق من الاخر اى أكثر رحمة ، وعنه أيضاً قال : الرحمن : الرقيق على من رق عليه والرحيم الرفيق بمن رفق به .

٢ـ هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الاخر والرفق من صفات الله تعالى قال رسول الله ﷺ : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لايعطى على العنف .

٣ـ قال ابن الانبارى : الرحمن اسم عبرانى فجاء معه الرحيم وهو اسم عربى فجمع بينهما ومعناهما واحد كنديم وندمان .

٤ـ الرحمن إسم الله الاعظم والرحيم وصف له .

٥ـ الرحمن عون لكل من آمن به وهو إسم لم يسمّ به غيره والرحيم وهو لمن تاب وآمن وعمل صالحا .

٦ـ الرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم رحيم الاخرة .

٧ـ عن الضحاك : الرحمن بأهل السماء حيث أسكنهم السموات وطوّقهم الطاعات وأنطق ألسنتهم بانواع التسبيحات وجنّبهم الافات وقطع عنهم المطامع ، واللذات ، والرحيم بأهل الارض حيث أرسل اليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب و أنعم عليهم ما فيه نموهم الجسمانى و كمالهم الروحانى .

٨ـ قال عكرمة : الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمأة رحمة إذ قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى مأة رحمة وانّه أنزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسّمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وآخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة .

٩ـ قال عطاء : إن الرحمن كان من أسماء الله التى لاتسمى بها احد من

خلقه فلمّا تسمى به مسيلمة الكذاب أخبر الله تعالى على أن اسمه الرحمن الرحيم ليفصل بذلك لعباده ان اسمه من إسم من قد تسمى بأسمائه اذ كان لايسمى أحد الرحمن الرحيم فيجمع له هذان الاسمان غير الله تعالى وانما تسمى بعض خلقه امّا رحماناً وامّا رحيماً واما رحمن ورحيم فلم يجمعا لاحد قط سواه تعالى ولا يجمعان لاحد غيره .

ففصّل الله تعالى بتكرير الرحيم على الرحمن بين اسمه واسم غيره اختلف معناهما ام اتفقا .

فالرحمن اسم خاص بالله تعالى لايجوز أن يسمى به غيره لقوله تعالى : « قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن » الاسراء : ١١٠ ، فعادل الاسم الذى لايشاركه فيه غيره .

ولقوله تعالى : « اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » الزخرف : ٤٥ .

فأخبر ان الرحمن هو المستحق للعبادة وقد تجاسر مسيلمة الكذاب لعنه الله فتسمى برحمان اليمامة وما قرع مسامعه حتى ألزمه الله تعالى نعت الكذاب لذلك وان كان كل كافر كاذباً فقد صارهذا الوصف للمسيلمة علماً يعرف به ألزمه الله اياه .

وقدوصف رسوله صلى الله عليه وآله بالرحيم فقال: « بالمؤمنين رؤف رحيم » التوبة : ١٢٨ .

١٠- وصف الله تعالى نفسه بالرحمن اى انه موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه من الكافرين والمؤمنين إذ قال : « ورحمتي وسعت كل شيء » الاعراف : ١٥٦ .

وبالرحيم انه موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه إما فى كل الاحوال و إما فى بعض الاحوال سواء كان فى الدنيا أم فى الاخرة وأما الدنيا فبما لطف بالمؤمنين من توفيقه إيّاهم لطاعته والايمان به وبرسله وإتّباع أمره وإجتناب معصيته وأما فى الاخرة فبما يعطى المؤمنين الجنة ونعيمها وقال تعالى : « وكان بالمؤمنين رحيماً » اى فى الدنيا والاخرة .

١١- إن الرحمن مشتق من الرحمة كالرحيم ولكنه مبنى على المبالغة الدالة على الكثرة ومعناه ذو الرحمة الّذى لانظيرله فيها يفيضها على المؤمن والكافر

وهى الرحمة العامّة الشاملة ولذلك لايثنّى[١] ولايجمع كما يثنى[١] الرحيم ويجمع والرحيم فعيل صفة مشبهة تدلّ على الثبات والدوام ويجمع على الرحماء قال تعالى : « رحماء بينهم » .

وإن الرحمن خاص الاسم لايجوز إطلاقه على غيرالله تعالى وعام الفعل يفيض رحمته على حميع خلقه فى الدنيا والرحيم عام الاسم يجوز إطلاقه على غيرالله تعالى[١] وخاص الفعل يفيض رحمته على المؤمنين فقط فى الاخرة فهو باعتبار الفعل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الرحمن إسم خاص لصفة عامة والرحيم إسم عام لصفة خاصة » وماورد : « يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة » .

١٢- ان الرحمن صفة الرحمة لله تعالى على[١] حسب الكيفية والرحيم على[١] حسب الكمية ولكيفيتها تشمل المؤمن والكافر فى الدنيا ولكمّيتها تشمل المؤمن فقط فى الاخرة .

١٣- إن لله تعالى رحمتين : رحمة ذاتية يخلق بها ويمهد ما به نمو الخلق و كماله وأشار اليها بقوله تعالى : « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » غافر : ٧ .

وليست هذه الرحمة تجاه العمل والاستحقاق وكان رجاء الشيطان بهذه الرحمة ورحمة فعليّة تعمّ المستحقين بها بالعمل وهذه الرحمة فى تجاه العمل و الاستحقاق وإليها أشار بقوله تعالى : « وإذا جائك الذين يؤمنون بایاتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانّه غفور رحيم » الانعام : ٥٤ .

أقول : إن كثيراً من الايات الكريمة والروايات الشريفة الاتية تؤيد العاشر من الاقوال .

(الحمدلله رب العالمين)

(الحمدلله) وفيه اقوال : ١- قال ابن عباس : الحمدلله هو شكر وإقرار بنعمته تعالى وهدايته .

فالمعنى الشكر خالصاً لله تعالى بما أنعم على عباده من النعم الباطنية و

الظاهرية من القوى ومن النعم المتصلة والمنفصلة مما أعطاه الله تعالى الانسان .

٢ـ قال كعب : الحمد لله : الثناء على الله وهذا هو الثناء على الجميل الاختياري وذلك لأنّ الكمال كلّه ينتهي اليه جل وعلا علّته فيجب على الانسان الثناء على الله تعالى لذلك .

٣ـ اريد بالحمد هنا نقيض الذم كما ان المدح نقيض الهجاء والشكر نقيض الكفران و اللام للجنس اى جنس الحمد مختص بالله تعالى بأيّ نوع من أنواع الحمد واى شيء يصح الحمد عليه اليه مرجعه على كل حال .

٤ـ اللام للاستغراق اى كل الحمد حق لله تعالى وملكه .

٥ـ اللام للعهد والمعهود ماورد في الشرع فامرنا ان نحمده بما ورد .

٦ـ الحمد لله جملة خبرية في معنى الانشاء ولكن مع تلقينه من الله تعالى وتعليمه لعباده أي قولوا يا عبادي : الحمد لله على كل حال على السراء والضراء قال علي عليه السلام : « نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه » .

٧ـ الالف واللام لاستغراق الجنس من المحامد معناه الثناء الكامل اى ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسية واللام الجارة فكمال الحمد حقه وملكه .

فالمحامد الّتي أتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى و كذا المحامد الّتي سيذكرونها إلى وقت قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » يونس : ١٠ .

فهو تعالى يستحق الحمد بأجمعه إذ له الاسماء الحسنى والصفات العليا وبه الكمال وإليه ينتهي الكمال كلّه .

وذلك أنه تعالى لمّا نبّه على إستحقاقه الذاتي بجميع المحامد باسم الذات (الله) أردفه باسماء الصفات جمعاً بين الاستحقاقين وهي (رب ورحمن ورحيم) وهو برهان على إستحقاقه جميع المحامد : الذاتي والصفاتي ، اى انّي احمد من له الكمال وهو الرب الخ .

اقول : إنّ الانسب بالمقام ـ بعد التقارب معنىً في بعض الاقوال ـ هو الاخير منها وهو المؤيد بالايات الكريمة والروايات الشريفة الواردة الآتية انشاء الله تعالى .

(رب) وفيه ايضاً اقوال :

١ـ الرب : السيد المطاع لقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « يا صاحبي السجن أمّا أحدكما فيسقي ربّه خمراً ـ اذكرني عند ربك » يوسف : ٤١و٤٢ .

٢ـ الرب : المالك ، إذ كل من ملك شيئاً وهو ربه ، يقال : انت رب الدار وانا رب الابل ، فالمعنى : هو تعالى مالك العالمين بمالكية حقيقية ومالك لتدبير أمرهم .

٣ـ الرب : الصاحب يقال : رب الغنم اى صاحبه لقوله تعالى : « انما امرت أن اعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها » النمل : ٩١ . اى صاحبها .

وقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت » قريش : ٣ . اى صاحبه .

٤ـ الرب بمعنى التربية وهى تبليغ الشيء الى كماله شيئاً فشيئاً ولايطلق هذا الاسم إلاّ على الله تعالى ويقيّد فى غيره فيقال : رب الدار ورب الضيعة قال تعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربّياني صغيرا » الاسراء : ٢٤ .

٥ـ الرب : المصلح يقال : إن فلانا يرب صنيعته عند فلان اذا كان يحاول اصلاحها وادامتها ومنه سمى الربانيون لقيامهم بالكتب .

٦ـ قال ابن عباس : الرب : السيد الّذى لاشبه له ولامثل فى سؤدده والمصلح لأمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذى له الخلق وله الامر .

اقول : ان الاخير هو الاوفق بالمقام مع اندراج اكثر الاقوال فيه .

(العالمين) وفيه ايضاً اقوال :

١ـ ان العالم جمع لاواحد له من لفظه كالأنام والرهط والجيش الّتى هى موضوعات على جماع لاواحد من لفظه والعالم إسم لاصناف الامم و كل صنف منها عالم وهو كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان فالانس عالم

وكل اهل زمان منهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذلك سائر الاجناس ولذا جمع بعالمين .

٢- كل صنف من اصناف الموجودات في طوال الاعصار عالم وكل نوع مؤلف الافراد والاجزاء منها عالم كعالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الانسان وكل صنف مجتمع الافراد عالم كعالم العرب وعالم العجم .

٣- قال الزجاج : العالمين من العلم بمعنى العلامة لانه يدل على موجده ، وهو اسم يقع على عالم من الناس ، وهو في اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء يقال : جاء عالم من الناس ولايقال : جاء عالم من البقر .

٤- ان الحياة في الدنيا عالم والبرزخ عالم والقيامة عالم .

٥- قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج : العالمين : عالم الجن وعالم الانس لقوله تعالى : « ليكون للعالمين نذيراً » .

٦- قال قتادة : العالم نوع ما يعقل من الملائكة والجن والانس .

٧- العالمين : الانس في طوال الاعصار لقوله تعالى : « اتاتون الذكران من العالمين » اى من الناس .

على أن أهل كل زمان عالم .

٨- الجمع باعتبار تركب الانسان بالجسم والروح وما يحتاج إليه في كماله الجسمي والروحي فجسمه عالم وما يكمل به جسمه عالم وما ينمو به روحه عالم .

٩- قال ابن عباس أيضاً : رب العالمين اله الخلق كله : السموات كلهن وما فيهن والارضون كلهن وما فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لايعلم .

اقول : إن الاخير من الاقوال هو الاصح والاوفق بالايات والروايات الاتية .

(الرحمن الرحيم) قد سبق فيهما الكلام فراجع .

(مالك يوم الدين)

(مالك) فيه قولان وهما ناشئان عن القرائتين فيه .

أحدهما - قرائة ملك يوم الدين فمعناه ان لله جل وعلا الملك خالصاً يوم

الدين دون خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه في الملك ويدافعونه في الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والاستبداد فأيقنوا بلقاء الجزاء يوم الدين انهم الصغرة الاذلة وان الله وحده يومئذ الملك والكبرياء .

لقوله تعالى : « يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب » غافر : ١٦ و ١٧ .

فاخبر الله تعالى انه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ومن دنياهم في المعاد إلى خسار فمعناه اخلاص الملك له جل وعلا يوم الدين .

وحجة من قرء (ملك) ان كل واحد من أهل البلد يكون مالكاً يقال : مالك الدار ومالك الثوب ومالك الغنم .

وأمّا الملك فلا يكون الا اعلاهم شأناً وقوله تعالى : « ملك الناس » وان الملك اعم من المالك إذ كل ملك مالك وليس العكس ، ولان أمر الملك نافذ على المالك في ملك حتى لايتصرف الا عن تدبير الملك وان المالك يدل على الملك بكسر الميم وهو لايتضمن الملك بضم الميم .

وأما الملك فيتضمن الامرين جميعاً فهو أولى بالمبالغة ويتضمن أيضاً الكمال ولذلك إستحق الملك على من دونه ويتضمن ايضاً الاقتدار والاختيار التام وذلك أمر ضروري في الملك ويتضمن ايضاً البطش والامر والنهي والوعد والوعيد بخلاف المالك .

ثانيهما ـ قرائة مالك يوم الدين قال ابن عباس : اى لايملك أحد في ذلك اليوم معه تعالى حكماً كحكمهم في الدنيا .

قال الله تعالى : « لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » .

وقال : « وخشعت الاصوات للرحمن » .

وقال : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » .

فمعناه إنّ الله جل وعلا يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفرداً به دون سائر خلقه فيتميز المحسن من المسئ والمطيع من العاصي والمؤمن من الكافر و الموافق من المخالف ولايظهر ذلك الاّ في يوم الجزاء.

قال الله تعالى: «ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» طه: ١٥.

وقال: «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزال: ٦ـ ٨.

وحجة من قرء (مالك يوم الدين) ان مالك أرجى من ملك لان أقصى ما يرجى من الملك هو العدل والانصاف وأن ينجو الانسان منه رأساً برأس.

وأمّا المالك فيطلب منه العبد الكسوة والطعام والتربية والانعام فالمالك تطمع انت فيه والملك تخاف انت منه.

والملك لايختار من العسكر الاّ كل قوىّ سوىّ ويترك المريض والعاجز والضعيف وأمّا المالك فاذا مرض العبد عالجه واذا ضعف أعانه، وانّ الملك له هيبة وسياسة وان المالك له رأفة ورحمة واحتياجنا إلى الرأفة والرحمة أشد من حاجتنا الى الهيبة والسياسة، وان المالك ابلغ من الملك لانّه مالكاً للناس وغيرهم فالمالك أبلغ تصرّفاً وأعظم اذ اليه اجراء قوانين الشرع ثم عنده زيادة التملّك، وانّ المالك أبلغ في مدح الخالق والملك أبلغ في مدح المخلوقين من المالك والفرق بينهما انّ المالك من المخلوقين قديكون غيرملك، واذا كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً تقول: مالك الملك ولاتقول ملك الملك.

اقول: وردت القرائتان عن ائمة اهل البيت عليهم السلام و لكل منهما وجه وتويدهما الايات الكريمة والروايات الشريفة الاتية انشاءالله تعالى فانتظر.

(يوم الدين) فيه قولان:

احدهما ـ قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة وابن جريج: اى يوم الحساب والمجازاة بالاعمال. وعليه جمهور المفسرين.

ثانيهما - قال ابن عباس ايضاً : اى يوم القضاء والحكم بين العباد .

اقول: - بعد التلازم بين القولين و وحدتهما مآلا - انّ الايات القرآنية والروايات الواردة تصرح بذلك .

(اياك نعبد واياك نستعين)

(اياك نعبد) فيه أقوال ١- قال ابن عباس : اى اياك نوحّد ونخاف ونرجو يا ربّنا لاغيرك .

٢- نخضع ونخشع ونذلّ و نستكين إقراراً لك يا ربّنا بالربوبيّة لالغيرك وننصب أنفسنا في مقام المملوكيّة لك وحده ونقصر لك العبادة .

يقال : للبعير المذلّل بالركوب : معبد ومنه سمّى العبد عبداً لذلّته لمولاه ، وطريق معبّد اذا كان مذللاً لسالكيه .

وهذا من قبيل الاخذ بلازم المعنى فكأنّ العبادة هى نصب العبد نفسه فى مقام المملوكيّة لربّه جل وعلا ومن هنا ان العبادة غيرمنافية للاشتراك وهى تنافى للاستكبار ، فيتصور الاشتراك فى العبادة وان كان منهياً عنه لقوله تعالى : « ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » الكهف : ١١٠ . وقال : « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا » النساء : ٣٦ .

ولايتصوّر الاستكبار فى العبادة قال الله تعالى : « من يستنكف عن عبادته و يستكبر » النساء : ١٧٢ .

وقال : « ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبّحونه وله يسجدون » الاعراف : ٢٠٦ .

وقال : « فسجد الملائكة كلّهم اجمعون إلّا ابليس استكبر » ص : ٧٣و٧٤ .

٣- اى نطيعك وحده .

اقول : إنّ الثانى هو الوجه وإن كان الاول والثالث ايضا من اللوازم .

(واياك نستعين) فيه قولان : أحدهما - قال ابن عباس : اى ايّاك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها .

ثانيهما - اى ايّاك نستعين على عبادتك وطاعتك فلا أحد سواك يليق ان نستعين به فيها وأمّا الاستعانة فى غير العبادة والطاعة فتجوز بغيرالله تعالى .

اقول : انّ تحقيق القول سيجئى فى بحث التفسير انشاء الله تعالى .

(اهدنا الصراط المستقيم)

(اهدنا) فيه أقوال : ١- قال ابن عباس : اى ألهمنا ووفّقنا .

٢- قيل : اى زدنا هداية لقوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدىً و آتاهم تقواهم » محمد صلى الله عليه وآله : ١٧ .

٣- قيل : اى دلّنا على الصّراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك .

٤- قيل : اى ثبّتنا لقوله تعالى : « ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » آل‌عمران : ٨ .

اقول : إنّ الاقوال هى مستفادة من الروايات الواردة من غير تناف بينها فانتظر .

(الصراط المستقيم) فيه أقوال : ١- قال ابن عباس : الطريق الهادى وهو دين‌الله الّذى لاعوج له وهو الاسلام .

٢- الصراط المستقيم : هو القرآن الكريم .

٣- الصراط المستقيم : هو رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله .

٤- الصراط المستقيم : هو على‌بن ابيطالب عليه السلام وهو المروى عن طريق العامة والشيعة الامامية الاثنى عشرية ، وورد انه الولاية .

٥- الصراط المستقيم : هو طريق الحج .

٦- الصراط المستقيم : الطاعة وصالح العمل وهما طريقان لنيل الانسان إلى الجنة ونعيمها .

أقول : كل‌واحد منها بيان فرد من‌مصاديق الصراط المستقيم كلّها متحدة مآلاً وهوالطريق‌الترابط بين‌الله تعالى‌وبين‌عبده يصل به العبد إلى كماله الانسانى .

كأنها خطوط مستقيمة هي اقرب خطوط تصل بين النقطتين : نقطة العبد و نقطة المعبود ، وقال علماء الرياضي : إنّ أقصر الفاصلة بين النقطتين هو خط المستقيم ، فانّ طرق معرفة الله تعالى ومرضاته الّتي يجمعها سبيله الواحد و صراطه المستقيم كلها ترجع الى صراط واحد وسبيل واحد وهي سبيله الّتي لا سبيل اليه الاّ منها .

وقد صحّ عن رسول الله الاعظم ﷺ انّه خطّ خطّاً مستقيماً وقال : هذا سبيل الله ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله تعالى : « وإنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله » الانعام : ١٥٣ .

قال اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له :

« والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنّة وإليها مصير العاقبة » .

وانّ المستقيم ضدّ المعوج ولكن المراد منه كل ما فيه إنحراف عن الغاية الّتي يجب أن ينتهي سالكه إليها فكلّ من يميل وينحرف عن الجادة يكون أضلّ عن الغاية ممن يسير عليها في خطّ ذي معاويج ، فالمراد من الصّراط المستقيم ما يوصلنا إلى المعرفة بالله تعالى وإلى ما ينال به الانسان إلى الكمال من العقائد الحقة والآداب والاحكام والتعاليم السامية والمعارف العالية . .

(صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين)

(صراط الذين انعمت عليهم) في النّعمة اقوال : ١- هي النعمة الدنيوية والنعم الاخروية من الجنة ونعيمها ورضوان الله أكبر من ذلك .

٢- النعمة هي الجنة ونعيمها فقط .

٣- النعمة هي الايمان والتوفيق للطاعة وصالح العمل المستلزمة لجميع الخيرات والسعادات .

٤- النعمة هي النبوّة والولاية والايمان والطاعة وصالح العمل الّتي

تستتبعها النعم الدنيوية من العيش الهنيئى والعلوّ والرفعة والعزّة والكرامة و الظفر على غيرهم قال الله تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون » الصافات : ١٧١ - ١٧٣ .

وقال: « ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » آل عمران: ١٣٩.

وقال : « وانتم الاعلون والله معكم » محمد صلى الله عليه وآله : ٣٥ .

فهل العيش الضنك والحط والذلة والهوان والهزم لمن كان الله تعالى معه .

والنعم الاخروية من الجنة ونعيمها ورضوان الله تعالى اكبر من ذلك .

أقول : إنّ الاخير من الاقوال هو التحقيق والموافق للاطلاق .

وفى المنعم عليهم اقوال : ١- قال ابن عباس : هم المؤمنون .

٢- قال ابن زيد : هم النبى صلى الله عليه وآله ومن معه .

٣- قال الربيع : هم النبيّون .

٤- قال وكيع : هم المسلمون .

٥- قال ابن عباس أيضاً : هم النبيّون والصديقون والشهداء والصالحون و الملائكة وهم الذين أطاعوا الله تمام الطاعة وعبدوه كمال العبادة .

اقول : إن الأخير هو المؤيد بالايات الكريمة والروايات الشريفة الاتية وأمّا غيره من الاقوال فبيان لبعض المصاديق .

(غيرالمغضوب عليهم) فيه اقوال : ١- هم اليهود وعليه جمهور المفسرين ووردت الروايات الكثيرة على ذلك عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام .

قيل : ان اليهود وان كانت ضالّة وان النصارى وان كانت مغضوباً عليهم و لكن الله تعالى خصّ كل فريق منهم بسمة يعرفون بها ويميزون بينهم وبين غيرهم وان كانوا هم مشتركين فى صفات كثيرة ليجتنب منهم الناس ، ٢- هم المشركون .

٣- هم الذين تركوا الصّلاة وأضاعوها ، ٤- هم أصحاب البدع وأتباعها .

٥- المغضوب عليهم : النّصاب وهو المروى .

٦- غير المغضوب عليهم إستعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين

المستخفّين به وبأمره ونهيه ، وهو المروى أيضاً .

٧- انّ من تجاوز بامير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين ، وهو المروى ايضاً .

٨- المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به ، ومن غير مراء انّهم هم ضالّون أيضاً لانّهم نبذوا الحق وراء ظهورهم وقد استدبروا الغاية واستقبلوا غير جهتها فلا يصلون منها إلى المطلوب ولكن فرقاً بين من عرف الحق فاعرض عنه على علم وبين من لم يظهر له الحق فالاول هو المغضوب والثانى هو الضالّ .

٩- انّ الناس فى طريقهم إلى الله على ثلاث طوائف :

الطائفة الاولى : هم الذين طريقهم إلى فوق وهم المؤمنون المخلصون .

والطائفة الثانية : هم الذين طريقهم الى السفل وهم المغضوب عليهم .

والطائفة الثالثة : هم الذين ضلّوا الطريق وهم حيران وحيارى فيه وهم الضالون ، وغيرها من الأقوال التى ما رأيت لها وجها فتركتها مع إندراج بعضها فيما ذكرنا .

اقول : إن الثامن هو الاوفق بالجمع بين الروايات الواردة فى المقام و خاصة ما ورد فى القول السادس .

(ولاالضالين) فيه اقوال : ١- الضالّين : النصارى وعليه جمهور المفسرين ووردت الروايات العديدة عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام .

٢- الضالين : هم المنافقون .

٣- هم يراؤن الناس فى عباداتهم وأعمالهم فى وجوه البر وان لم يكونوا هم منافقين .

٤- الضالّين عن سنن الهدى وطريق الحق .

٥- الضالين : الشكّاك الذين لايعرفون امامهم الحق ، وهو المروى .

٦- (ولا الضالين) اعتصام من ان يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من

غير معرفة وهم يحسبون صنعا . وهو المروى ايضاً .

٧ـ الضالين : الغلاة وهو المروى ايضاً .

٨ـ الضالين : هم الذين لم يعرفوا الحق أصلاً أولم يعرفوا على وجه الصحيح لانّ الضالّ حقيقة هى التائه الواقع فى عماية لايهتدى معها إلى المطلوب والغاية وانّ العماية فى الدين هى الشبهات التى تلبس الحق بالباطل وتشبه الصواب بالخطاء .

اقول : إنّ الاخير من الأقوال هو الأوفق بالجمع بين الروايات الواردة وخاصة ما ورد فى القول السادس منها .

والله جل وعلا هو أعلم .

﴿ التفسير والتأويل ﴾

(بسم‌الله الرحمن الرحيم)

إعلم أنّ البسملة كلمة مقدّسة مختصّة بشعار المسلمين يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم ويتبرّكون بها في قرائتهم و كتابتهم وتلك سنّة نبويّة من خير السنن وخصلة من أجلّ الخصال يثاب بها في جميع الأفعال المباحة .

وذلك انّ القرآن الكريم هو إمام المسلمين ومستنارهم وقدوتهم وإفتتاح السّور القرآنيّة بالبسملة إرشاد لهم أن يستفتحوا أعمالهم كلّها بها وليس المراد أن نستفتح أعمالنا باسم من اسماء الله تعالى أىّ إسم كان للتبرّك اوالاستعانة به جل وعلا .

بل لابد وأن نقول : «بسم الله الرحمن الرحيم» فانّها مطلوبة لذاتها ومرجّحة علىٰ غيرها والمعنى العام لها انّك إذا ابتدأت بها في عمل من الأعمال كأنّك تقول : إنّني أعمل عملي هذا متبرعاً من أن يكون باسمي أو باسم غير الله تعالى بل هو جلّ وعلا باسمه المشير إلىٰ ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال ، لانّني أستمدّ القوة والعناية منه تعالى وارجو فضله وإحسانه و تسديده وتفويض الامر اليه فلاحول لى إلاّ الله ولاقوة لى الاّ بالله العظيم ولامستعان الاّ به عليه توكّلت وباسمه أتبارك وأستجير وأبدأ عملي وهو حسبي وهو نعم المولىٰ ونعم النصير .

وان البسملة من أهمّ ذكر الله تعالى ولها آثار في النفوس البشريّة وفي الأفعال من التزكيّة والفلاح ومن الخير والصلاح ويطرد بها الشيطان منها .

قال الله تعالىٰ : « قد افلح من تزكّى و ذكر اسم ربّه فصلّى » الأعلى : ١٤و١٥ .

وقال : « وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء : ٤٦ .

(الرحمن الرحيم) إنّ المستفاد من الايات الكريمة إن الله تعالى رحمتين :

أحدهما ـ رحمة عامّة شاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر وهي ما ينتفعون في هذه الحياة الدنيا من رحمة الله جلّ وعلا .

قال الله تعالى : « ورحمتي وسعت كلّ شيء » الأعراف : ١٥٦ .

وقال حكاية عن الملائكة : ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً » غافر : ٧ .

وقال : « فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة » الأنعام : ١٤٧ .

وقال : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها » الروم : ٥٠ .

وقال : « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله » : ٤٦ .

وقال : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ـ يا ايّها النّاس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السّماء والارض لا اله الاّ هو فأنّى تؤفكون » فاطر : ٢ـ٣ .

وقال : « وآية لهم انّا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الاّ رحمة منّا ومتاعاً إلى حين » يس : ٤١ـ٤٤ .

وقال : « وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد » الشورى : ٢٨ .

وثانيهما ـ رحمة خاصّة لا تشمل إلاّ المؤمن في الدنيا والاخرة وأمّا في الدنيا فهي هداية تكوينيّة خاصّة والتوفيق للطاعة والعزّة والعيش الهنيء والنجاة من الهلاك والدمار وما إليها وأمّا في الاخرة فهي الجنة ونعيمها .

قال الله تعالى : يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » الحديد : ٢٨

وقال : « فامّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » النساء : ١٧٥ . وقال : «وكان بالمؤمنين رحيماً» الاحزاب : ٤٣ .

وقال حكاية عن أصحاب الكهف : « فقالوا ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من امرنا رشداً » الكهف : ١٠ . وقال : « إنّ رحمة الله قريب من المحسنين » الأعراف : ٥٦ .

وقال : « ولما جاء امرنا نجينا هودا والّذين آمنوا معه برحمة منّا ونجّينا هم عذاب غليظ » هود ٥٨ .

وقال : «فلما جاء امرنا نجينا صالحا والّذين آمنوا معه برحمة منّا ومن خزى يومئذ » هود : ٦٦ .

وقال : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان الاّ قليلا» النساء :٨٣.

وقال : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين» البقرة : ٦٤

وقال : « فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين» الجاثية : ٣٠ .

وقال : « ورحمتى وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف ١٥٦ .

وقال : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » التوبه : ٢١ .

وقال : « و أمّا الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » آل عمرآن : ١٠٧ .

(الحمدلله رب العالمين)

(الحمدلله) إنّ إختصاص الجنس بالألف واللام فى (الحمد) مستفاد من جوهر الكلام ومستلزم لإختصاص جميع الافراد ، فلاحاجة فى تأدية المقصود الّذى هو ثبوت الحمدلله جلّ وعلا و إنتفائه عن غيره إلىٰ أن يلاحظ الشمول

والاحاطة ويستعان بأمر خارج عن اللفظ والمقام بل ما اختاره الله تعالى يكون إختصاص جميع الافراد ثابتاً له بطريق برهاني «وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون» الروم : ١٨ .

فهو حميد لذاته وأسمائه الحسنى وصفاته العليا فمطلق الحمد والثناء حق له جل وعلا وان الحمد أعم من الشكر لأنه يقع على التحميد وعلى الشكر وعلى الثناء .

فالحمد كلمة يثنى بها على الله ويحمد ويشكر لله جل وعلا في توحيد ذاته لما يليه من الشرك والفساد «لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» الانبياء : ٢٢ .

وفي الخلق والايجاد لما في الوجود من الخير وفي إنزال الكتب وإرسال الرسل والهداية وفي التوفيق والاخلاص في الدين وفي العلم والفضل وفي الاعطاء والرزق وفي دفع البلاء ورفع الحزن والشدائد وفي قطع دابر الظلم وعذاب الكافرين وفيما ينعم على المؤمنين من الجنة ونعيمها .

فالله تعالى حميد لذاته وصفاته فله الحمد في السموات والارض دائماً وفي الدنيا والاخرة .

قال الله تعالى : «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً» الاسراء : ١١١ .

وقال : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله» لقمان : ٢٥ .

وقال : «الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور» الأنعام : ١ .

وقال : «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» الكهف : ١ .

وقال : «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جائت رسل ربنا بالحق» الاعراف : ٤٣ .

وقال : « فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » غافر:٦٥ .

وقال : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » النمل : ١٥ .

وقال : « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق » ابراهيم٣٩ .

وقال : « ولئن سئلتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله » العنكبوت : ٦٣ .

وقال : « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنّا الحزن » فاطر : ٣٤ .

وقال : « فقل الحمد لله الذى نجّينا من القوم الظالمين » المؤمنون : ٢٨ .

وقال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » الانعام : ٤٥ .

وقال : « وامطرنا عليهم مطر فساء مطراً المنذرين قل الحمد لله وسلام علىٰ عباده الذين اصطفى آلله خيراً ما يشركون » النمل : ٥٨ و ٥٩ .

وقال : « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوّأ من جنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر : ٧٤ .

وقال : « له ما فى السّموات وما فى الارض وان الله لهو الغنىّ الحميد » الحج :٦٤

وقال : « له الملك وله الحمد » التغابن : ١ .

وقال : « وهو الله لا اله إلاّ هو له الحمد فى الاولىٰ والاخرة وله الحكم و اليه ترجعون » القصص : ٧٠ .

(رب) إنّ الرّب بمعنى المالك والسّيد يكون صفة ذات وعلىٰ انّه مدبّر لخلقه ومربّيهم يكون صفة فعل وورد علىٰ كلا الاعتبارين فى القرآن الكريم ، ولايخفى ان التربية على قسمين :

احدهما ـ تربيّة خلقيّة بما يكون نموّ من له جسم و كماله الجسمىّ فيه وإنّ الانسان وغيره فى ذلك سواء .

ثانيهما ـ تربيّة شرعيّة تعليميّة وهى ما يوحيه إلىٰ أكمل أفراد من الانسان ليكمل به فطرتهم بالعلم والعمل إذا اهتدوا به وهذه مختصّة بالمكلفين من الجن والانس.

إنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالى على محمد صلّى الله عليه وآله لمقاصد وهي إصلاح افراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم وإدخالهم في طور الرشد وتحقيق إخوتهم الانسانية ووحدتهم الدينية وترقية عقولهم وتربية أنفسهم وتزكيتها وكمالهم النفسية .

فقال : « هو الّذي بعث في الأمّيّين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة » الجمعة : ٢ .

أرسله ليطهّر القلوب البشريّة وعقولهم من رجس الشرك وخرافات الوثنيّة ويزكّي أنفسهم بالاخلاق العاليّة والفضائل الساميّة .

قال الله تعالى : « قل أغير الله أبغي ربّاً وهو ربّ كلّ شيء » الانعام : ١٦٤ ،

(العالمين) كناية عن الكون وما فيه من الكائنات والمخلوقات فالمراد من العالمين تعدد العوالم في السموات والارض وما فيها ورد « ربّ السّموات السبع وربّ الأرضين السبع » وفيهما عوالم مستقلة .

والله تعالى هو ربّ الكون وما فيه من العوالم وما فيها من الخلق كلّه .

قال الله تعالى : « فاتيا فرعون فقولا انا رسول ربّ العالمين ـ قال فرعون وما ربّ العالمين قال ربّ السموات والارض وما بينهما » الشعراء : ١٥ ـ ٢٤ .

وقال : « قل من ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم سيقولون لله » المؤمنون : ٨٦ و٨٧ .

وقال : « انّ لهكم لواحد ربّ السّموات والارض وما بينهما وربّ المشارق » الصافات : ٤ ـ ٥ .

وقال : « فللّه الحمد ربّ السّموات وربّ الارض ربّ العالمين » الجاثية:٣٦ .

وقال : « بل ربكم ربّ السموات والارض الّذى فطرهنّ » الانبياء : ٥٦ .

(الرحمن الرحيم)

وقد سبق فيهما الكلام فراجع .

(مالك يوم الدين)

(مالك) اى يملك تعالى هو نواصي الخلق يوم القيامة ويحكم بينهم فله

جل وعلا الملك والحكم يومئذ متفرداً فيهما يكون لغيره تعالى ملك ظاهرى ولا حكم اى حكم .

قال الله تعالى : « يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله » الانفطار : ١٩ .

وقال : « لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً » مريم : ٨٧ .

وقال : « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » الانعام : ٧٣ .

وقال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » الحج : ٥٦ .

وقال : « الملك يومئذ الحق للرحمن » الفرقان : ٢٦ .

(يوم الدين) اى يوم حساب الخلائق وهو يوم القيامة فيجزيهم الله تعالى باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر فيومئذ الحساب والجزاء .

قال الله تعالى : وما ادراك ما يوم الدين ـ يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله » الإنفطار : ١٧ـ ١٩ .

وقال : « وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذين كنتم به تكذبون» الصافات : ٢٠ و ٢١ وقال : « أاذا متنا و كنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون » الصافات : ٥٣ . وقال : « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق » النور : ٢٥ اى حسابهم .

وقال : « قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسئلون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين » الذاريات : ٩ ـ ١٦ .

وقال : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزال : ٦ ـ ٨ .

وقال : « والذى اطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » الشعراء : ٨٢ .

(اياك نعبد واياك نستعين)

(اياك نعبد) لانعبد الا اياك ولا نشرك بك شيئاً ونتصب أنفسنا فى مقام المملوكية لك وحده .

إنّما نعبد من بيده الخلق والأمر وبيده الموت والحياة وهو ربّ السموات والأرض وما بينهما وهو الّذى فطرنا وإليه الرّجوع والمنتهى وهذا هو صراط مستقيم ولانعبد غيره من الطّاغوت والشيطان والأصنام والأوثان وما إليها ممّا كان المشركون والكافرون ومن اليهم يعبدونه .

قال الله تعالى : « إن الحكم الاّ لله امر الا تعبدوا الاّ إيّاه ذلك الدين القيّم » يوسف : ٤٠ .

وقال : « وما امروا إلاّ ليعبدوا الهاً واحداً » التوبة : ٣١ .

وقال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » النساء : ٣٦ .

وقال : « يا ايّها النّاس اعبدوا ربكم الّذى خلقكم والّذين من قبلكم لعلكم تتّقون الّذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السّماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً » البقرة : ٢١ و ٢٢ .

وقال : « فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدالله الّذى يتوفّيكم » يونس : ١٠٤ .

وقال : « ربّ السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته » مريم : ٦٥ .

وقال : « ذلكم الله ربكم لا اله الاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه » الانعام : ١٠٢ .

وقال : « واليه يرجع الامر كلّه فاعبده وتوكّل عليه » هود : ١٢٣ .

وقال : « وما لى لا اعبد الّذى فطرنى واليه ترجعون » يس : ٢٢ .

وقال : « انّ الله هو ربّى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » الزخرف : ٦٤ .

وقال : « وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون » الزخرف : ٤٥ .

وقال : « قل هل أنبّئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » المائدة : ٦٠ .

وقال : « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان » يس : ٦٠ .

وقال : « قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين » الشعراء : ٧١ .

وقال : « وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتّقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنّ الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عندالله الرّزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون » العنكبوت : ١٦-١٧ .

وقال : « قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون » الصّافات : ٩٥و٩٦ .

وقال : « ويعبدون من دون الله ما لايضرّهم ولاينفعهم » يونس : ١٨ .

(واياك نستعين) اى نطلب منك العون والتأييد والتوفيق فى الطاعة و صالح العمل وفيه إستزادة من توفيقه وعبادته وإستدامة لما أنعم الله تعالى عليه ونصره .

ولايخفى انّ الإستعانة على ضربين : أحدهما - الإستعانة بالوسائل المجعولة من الله تعالى لنيل المطلوب التى هى وما فيها من التسبيب من جعل الله وخلقه .

ثانيهما - الإستعانة بالله جل وعلا بما هو اله معين بالهيّته وقدرته الذاتيّة المطلقة .

ولاريب فى أنّ النحو الثانى من الإستعانة هو المتيقّن فى قصره على الله تعالى لأنّ الاستعانة على هذا النحو إذا كان بغيرالله تعالى كانت شركا بالله سبحانه وعلى هذا انّ إقتران ايّاك نعبد واياك نستعين فى سياق توحيد الله وتمجيده بالمجد الالهى دليل واضح على أنّ هذا النحو من الاستعانة هو تمام المقصور على الله تعالى دون النحو الاول .

فانه علم بالضّرورة من سيرة النبى صلى الله عليه وآله و أئمّة اهل البيت عليهم السلام والمسلمين الاوّلين انّهم كانوا يستعينون فى غالب أمورهم المباحة بالآلات والدابة والخادم و الزوجة والصاحب والرسل والأجراء وغيرهم .

قال الله تعالى حكاية عن ذى القرنين وقومه : « قالوا يا ذاالقرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكّنّى فيه ربّى خير فاعينونى بقوة اجعل بينهم وبينهم ردماً » الكهف : ٩٤و٩٥ .

وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتّقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » المائدة : ٢ .

وقال : « يا ايها الّذين آمنوا استعينوا بالصّبر والصّلاة انّ الله مع الصابرين » البقرة : ١٥٣ .

وقال « يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » المائدة : ٣٥ .

وقال : ولو انّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » النساء : ٦۴ .

ومن غير مراء انّ الإستشفاع والإستشفاء من الله تعالى فى دعائه والتوسل اليه بالنبى صلى الله عليه وآله وأئمّة اهل البيت عليهم السلام وأولياء الله فى الحوائج انما هو من الاستعانة بالنحو الاول امره الله تعالى عباده به .

لان شفاعتهم وسيلة ناجحة الى وصول المراد انّ الله تعالى جعل الأنبياء و اوليائه شفعاء للحكمة وهى تمرين الناس على الانقياد للرسول ومقام الرسالة بالمجيئى إلى حضرته والخضوع لكرامته بالاحتياج وطلب الاستغفار وشفاعته لهم ويحرّكهم ذلك إلى الرغبة فى طاعتهم .

(اهدنا الصراط المستقيم)

اى أرشدنا للزوم الطريق المؤدى إلى معرفتك ومحبتك والمبلغ دينك و المانع من ان نتّبع أهوائنا فنتعطّب اونأخذ بآرائنا .

وأدم لنا توفيقك الّذى به أطعناك فيما مضى من أيّامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا .

ففيه إسترشاد لدينه وإعتصام بحبله وإستزادة فى المعرفة لربه عزّ وجلّ و لعظمته و كبريائه .

ومن غير مراء انّ السبيل ليس واحداً ذا نعت واحد بل هو منشعب إلى شعب عديدة ومنقسم إلى طرق كثيرة قال الله تعالى : « هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه ولاتتّبعوا السّبل » الانعام : ١٥٣ .

و هناك طريق مستقيم ورائه طرق كثيرة لايمكن ان يصل بها الانسان إلى معرفة الله جل وعلا ومرضاته وإلى كماله الانسانى وإنّما الطريق الّذى يمكن الوصول إليها هو الصراط الّذى علىٰ أساس الفطرة البشرية ليس فيها إعوجاج و ليس ورائها فطرة غيرها « فطرة الله الّتى فطر النّاس عليها » الروم : ٣٠ .

وقال حكاية عن رجل : « وما لى لااعبد الّذى فطرنى وإليه ترجعون » يس: ٢٢

وليس هناك سبيلان إلىٰ معرفة الله تعالى ومرضاته : سبيل قريب وهو سبيل المؤمنين وسبيل بعيد وهو سبيل الكافرين على ما زعمه البعض .

اذا السّبل الّتى تخالف الصراط المستقيم عكساً ليست هى السّبيل الى الله تعالى .

نعم انّ هناك سبلا نسبت الى انبياء الله جل وعلا والى أوليائه والى المؤمنين ليست هى غير سبيل الله بل هى هو كالطرق الّتى يتوجّه المسلمون الى الكعبة المعظمة من جوانبها الاربعة شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً .

قال الله تعالى : « قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة » يوسف : ١٠٨ .

وقال : « واتّبع سبيل من اناب الىّ » لقمان : ١٥ .

وقال حكاية عن المؤمنين : « وما لنا ألاّ نتوكّل على الله وقد هدانا سبلنا » ابراهيم : ١٢ .

فليست سبل غير المؤمنين سبيلاً إلى الله قال تعالى حكاية عن الجن : « وأنّا منّا الصّالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قدداً » الجن : ١١ .

وقال : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وسائت مصيراً » النساء : ١١٥ .

وأمّا اختلاف تلقى القلوب والأفهام فى المعارف الالهيّة وإختلاف النفوس فى النيل بالكمال فليس من ناحية إختلاف السبيل بل انّما هو ناش من ناحية سعى الانسان وبطئه فى سبيل الله وأمّا إختلاف الناس فى الاستعداد فليس له دخل على حدّ ما زعمه البعض .

قال الله تعالى : « ليس للانسان الاّ ما سعى » النجم : ٣٩ .

وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » العنكبوت : ٥٦ .

واما المراد من الهداية فى قوله تعالى : « اهدنا » فهى هداية تكوينيّة خاصة قد سبق البحث فيها تفصيلاً فى البحث البيانى فراجع .

(صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين)

(صراط الذين انعمت عليهم) إبانة عن الصراط المستقيم على سبيل بدل الشيء من الشيء كقولك : جائنى زيد ابوك .

النعمة هى النبوة والولاية والايمان والتوفيق للطاعة وصالح العمل استتبعتها النعم الدنيوية والاخروية التى انعمها الله تعالى على النبييّن والصدّيقين و الشهداء والصالحين كلاً بحسبه فنطلبها من الله تعالى بحسبنا وهو الايمان والتوفيق للعبادة وصالح العمل وما يستتبعها قال الله تعالى : « وهبنا له اسحق ويعقوب ـ واذ كر فى الكتاب موسى ـ ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيّاً واذ كر فى الكتاب اسمعيل ـ واذ كر فى الكتاب ادريس ـ اولئك الذين انعم الله عليهم من النبييّن من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرّية ابراهيم ـ وممن هدينا واجتبينا » مريم : ٤٩ ـ ٥٨ .

وقال : « انّ ابراهيم كان امّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لانعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الاخرة لمن الصّالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً » النحل : ١٢٠-١٢٣ .

وقال : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ـ واذ كروا نعمة الله عليكم وميثاقه الّذى واثقكم به اذا قلتم سمعنا واطعنا » المائدة : ٣-٧ .

وقال : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الّذين انعم الله عليهم من النّبييّن والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩ .

وقال : « والّذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » الحديد : ١٩ .

وقال : « ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ـ إنّما كان قول المؤمنين اذادعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » النور : ٤٧ ـ ٥٢ .

انّ المستفاد من الايات الكريمة انّ في صفّ المؤمنين دون صف الانبياء ولحوقهم بالشهداء والصديقين لابدّ من الايمان والاتباع والطاعة والثبات التام قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً والاخلاص اطلاقاً فتدبر .

غير المغضوب عليهم هم الّذين خرجوا عن الحقّ بعد علمهم به ونبذوه وراء ظهورهم وقد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها وهم المعاندون من الكافرين وخاصة اليهود والمستخفون بامر الله تعالى ونهيه منهم ومن المنافقين الّذين سلكوا مسلكهم .

وما ورد من الروايات على انهم اليهود فلبيان أشهر المصاديق وأتمها الذين حلّ عليهم غضب من الله تعالى وهم اليهود وهم الذين خرجوا عن الحق ونبذوه وراء ظهورهم وهم أشد عداوة على الاسلام والمسلمين واستخفافاً بأوامر الله تعالى ونواهيه .

وإلاّ فهم ومن سلك مسلكهم في ذلك سواء .

قال الله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً » : ٩٣ .

وقال : « ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظّانّين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيرا » الفتح : ٦ .

وقال : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار ومن يولّهم يومئذ دبره الاّ متحرفاً لقتال او متحيّزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأوٰه جهنّم وبئس المصير » : الانفال ١٥و١٦ .

وقال : والذين يحاجّون فى الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد » الشورى : ١٦ .

وقال : « قال هل أنبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شرّ مكاناً واضلّ عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنّا وقد دخلوا الكفروهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهيهم الرّبّانيّون والأحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنّ كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الارض فساداً والله لايحب المفسدين » المائدة ٦٠-٦٤ .

وقال : « وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانّهم كفروا بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » البقرة : ٦١ .

وقال : « انّ الّذين اتّخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » : ١٥٢ .

(ولا الضالين) وهم الّذين لم يعرفوا الحقّ أصلاً أولم يعرفوا على الوجه الصّحيح فضلّوا عن سبيله من غير معرفة ووقعوا فى عماية لايهتدون معها إلى المطلوب والغاية وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

وما ورد من الروايات على أنّهم النصارى فلبيان أشهر المصاديق وأتمّها الذين ضلّوا عن سبيل الله لما دسّ فى كتابهم علماء هم وكتموا عنهم الحق فوقعوا فى عماية ومن هنا نرى النصارى أحرص الناس بالاسلام فانهم اذا عرفوا الاسلام ومعارفه العالية وتعاليمه السّامية يؤمنون به ، وإلاّ فهم ومن سلك مسلكهم فى

الضّلالة والعماية سواء .

قال الله تعالى : « يا ايّها الّذين آمنوا انّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال الناس ويصدّون عن سبيل الله » التوبة : ٣٤ .

وقال : « اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » التوبة : ٣١ .

وقال : « قل يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحقّ ولاتتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السّبيل » المائدة : ٧٧ .

وقال : « وقالوا ربنا إنّا اطعنا سادتنا و كبرائنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً » الاحزاب : ٦٧و٦٨ .

﴿ جملة المعانى ﴾

١- (بسم الله الرحمن الرحيم)

اى استعين عند إفتتاح كلّ امر صغير و كبير بالله الّذى وسعت رحمته كلّ شيء فى الحياة الدنيا وخصّت رحمته بالمؤمنين فى الاخرة .

٢- (الحمدلله رب العالمين)

اى الحمد كلّه لله وحده علىٰ ما أنعم به علينا من النّعم الظاهرة والباطنة ومن النّعم المتصلة والمنفصلة وهوالّذى له الخلق كلّه : السموات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ مما نعلم ومما لانعلم وهومالكهم وخالقهم ورازقهم والمتصرّف فيهم كيفما شاء وحيثما يريد .

٣- (الرحمن الرحيم)

اى يرحم بجميع خلقه فيرزق الكافر والمؤمن والفاجر والبارّ والذئب والغنم . . لما أنشأهم وأحياهم ويرحم بالمؤمنين لما آمنوا بهوعملوا صالحاً .

٤- (مالك يوم الدين)

اى يملك نواصى الخلق يوم الجزاء فمن كان فى الحياة الدنيا كافراً وفاجراً فيدخله النار بغضبه تعالىٰ عليه للكفر والفجور ومن كان مؤمناً صالحاً فيدخله الجنة برحمته عليه للايمان وصالح العمل .

٥- (اياك نعبد واياك نستعين)

اى نعبدك وحده ولانعبد غيرك ولانشرك بك شيئاً ومنك نطلب العون والتأييد

والتوفيق فى الطاعة وفى صالح العمل والنصر على الاعداء كلّها .

٦- (اهدنا الصراط المستقيم)

اى ارشدنا للزوم الطريق المؤدّى إلى معرفتك وأدم لنا توفيقك الّذى به أطعناك فيما مضىٰ من ايّامنا حتّى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا .

٧- (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين)

اى أرشدنا طريق الّذين كانوا من قبلنا من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين الّذين أنعمت عليهم فنسئلك اللّهمّ أن تنعم علينا كما أنعمت عليهم ولاتجعلنا ما نسلك مسلك الّذين غضبت عليهم لمّا بدّلوا نعمتك كفراً واستخفّوا أوامرك ونواهيك وقدوتهم فى ذلك هؤلاء اليهود الّذين جعلت منهم القردة والخنازير .

ولاتجعلنا مع القوم الّذين ضلّوا سواء السبيل ويحسبون انّهم يحسنون صنعاً ومنهم النصارى .

﴿ بحث روائی ﴾

فی تفسير العياشي : عن محمد بن مسلم قال : سئلت اباعبدالله عليه السلام عن قول الله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم » .

فقال : فاتحة الكتاب يثنّى فيها القول قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله منّ علىّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيهـا بسم‌الله الرحمن الرحيم الاية التى يقول فيها : « واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا علىٰ أدبارهم نفوراً » .

و « الحمد لله رب العالمين » دعوىٰ اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب و « مالك يوم الدين » قال جبرئيل : ما قالها مسلم قطّ الاّ صدّق الله واهل سماواته : « اياك نعبد » إخلاص العبادة « واياك نستعين » أفضل ما طلب به العباد حوائجهم « اهدنا الصراط المستقيم » صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم .

« غير المغضوب عليهم » اليهود « ولا الضالين » النصارى .

وفى التوحيد : باسناده عن الحسن بن محمد عليه السلام فى قول الله عزّوجلّ : « بسم‌الله الرحمن‌الرحيم » فقال : الله هو الّذى يتألّه اليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند إنقطاع الرّجاء من كلّ من دونه وتقطّع الأسباب عن جميع ما سواه يقول بسم الله اى أستعين علىٰ امورى كلها بالله الّذى لا يحقّ العبادة الاّ له المغيث : اذا استغيث المجيب : اذا دعى وهو ما قال رجل للصّادق عليه السلام :

يابن رسول الله دلّنى على الله ما هو ؟ فقد اكثر علىّ المجادلون وحيّرونى فقال‌له ياعبدالله هل‌ركبت سفينة قطّ ؟ قال : نعم قال : فهل كسربك حيث لاسفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك ؟ قال : نعم قال : فهل تعلق قلبك هنالك انّ شيئاً من

الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك قال : نعم قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الاغاثة حيث لامغيث .

قال : وقام رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال : أخبرني ما معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام حدثني أبي عن أخيه الحسن عن أبيه امير المؤمنين عليه السلام ان رجلاً قام إليه فقال : يا امير المؤمنين أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟ فقال : ان قولك الله أعظم اسم من أسماء الله عزوجل وهو الاسم الذي لاينبغي أن يسمى به غير الله ولم يتسم به مخلوق فقال الرجل : فما تفسير قوله : « الله » فقال : هو الذي يتأله اليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند إنقطاع الرجاء من جميع من دونه وتقطع الأسباب من كل ما سواه .

وذلك ان كل مترائس في هذه الدنيا ومتعظم فيها وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه اليه فانهم سيحتاجون حوائج لايقدر عليها هذا المتعاظم وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لايقدر عليها فينقطع الى الله عند ضرورته وفاقته حتى إذا كفى همه عاد إلى شركه .

أما تسمع الله عزوجل « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة اغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه انشاء وتنسون ما تشركون » .

فقال الله جل جلاله لعباده ايها الفقراء إلى رحمتي اني قد ألزمتكم الحاجة الي في كل حال وذلة العبودية في كل وقت فالي فافزعوا في كل امر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته فاني اردت ان اعطيكم لم يقدر غيري على منعكم وإن أردت أن امنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم فانا احق من سئل واولى من تضرع اليه .

فقولوا عند افتتاح كل امر صغير أو عظيم : « بسم الله الرحمن الرحيم » اى استعين على هذا الأمر بالله الذي لاتحق العبادة لغيره المغيث : اذا استغيث المجيب :

اذا دعى الرحمن الذى يرحم يبسط الرزق علينا الرحيم بنا فى أدياننا ودنيانا و آخرتنا وخفّف علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتميز من أعدائه.

وفى ارشاد القلوب للديلمى : فيما كتب اميرالمؤمنين عليه السلام الى ملك الرّوم حين سئله عن تفسير فاتحة الكتاب كتب اليه :

أمّا بعد فانّى أحمد الله الّذى لا اله الاّ هو عالم الخفيّات ومنزّل البركات من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل الله فلا هادى له ورد كتابك وأقرأنيه عمر بن الخطاب فأمّا سئوالك عن إسم الله تعالى فانّه إسم فيه شفاء من كلّ داء وعون على كل دواء وأمّا « الرحمن » فهو عوذة لكلّ من آمن به وهو اسم لم يسمّ به غير الرحمن تبارك وتعالى وأمّا « الرحيم » فرحم من عصى وتاب وآمن وعمل صالحاً وأمّا قوله : « الحمد لله ربّ العالمين » فذلك ثناء منّا على ربّنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا.

وأمّا قوله : « مالك يوم الدين » فانه يملك نواصى الخلق يوم القيامة و كل من كان فى الدنيا شاكّاً او جبّاراً أدخله النّار ولا يمتنع من عذاب الله عزوجل شاك ولاجبّار و كل من كان فى الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إيّاه أدخله الجنة برحمته.

وأمّا قوله : « اياك نعبد » فانّا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمّا قوله : « واياك نستعين » فانّا نستعين بالله عزوجل على الشيطان الرجيم لا يضلّنا كما اضلّكم وأمّا قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » فذلك الطّريق الواضح من عمل فى الدنيا عملاً صالحاً فانّه يسلك على الصراط إلى الجنة.

وأمّا قوله : « صراط الّذين انعمت عليهم » فتلك النعمة الّتى أنعمها الله عز وجل على من كان قبلنا من النّبيّين والصديقين فنسئل الله ربّنا أن ينعم علينا كما انعم عليهم.

وأمّا قوله : « غيرالمغضوب عليهم » فاولئك اليهود بدّلوا نعمة الله كفراً فغضب عليهم فجعل منهم القردة والخنازير فنسئل الله تعالى أن لايغضب علينا كما غضب عليهم.

وأمّا قوله : « ولا الضالين » فانت وأمثالك يا عابد الصليب الخبيث ضللتم من بعد عيسى بن مريم فنسئل الله ربّنا أن لايضلّنا كما ضللتم .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي عن ابن عباس في قوله تعالى : « الحمد لله ربّ العالمين » الحمد لله الّذى له الخلق كلّه السّموات والارض وما فيهنّ وما بينهنّ ممّا نعلم ومما لانعلم .

وفي التوحيد : عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل ـ : لعلّك ترى انّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد اوترى انّ الله لم يخلق غيركم ؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم انت في آخر تلك العوالم واولئك الآدميين .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « الحمد لله » قال : الشكر لله وفي قوله : « ربّ العالمين » قال : خالق المخلوقين : « الرحمن » بجميع خلقه « الرحيم » بالمؤمنين خاصّة « مالك يوم الدين » قال : يوم الحساب والدليل على ذلك قوله : « وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين » يعني يوم الحساب « اياك نعبد » مخاطبة الله عزوجل « واياك نستعين » مثله .

« اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو اميرالمؤمنين صلوات الله عليه ومعرفته والدليل على انه اميرالمؤمنين قوله : « وانه في ام الكتاب لدينا لعليّ حكيم » وهو اميرالمؤمنين صلوات الله عليه من ام الكتاب في قوله : اهدنا الصراط المستقيم » .

اقول : إنّ الروايات الواردة باسانيد عديدة عن طريق العامة : انّ علياً اميرالمؤمنين عليه السلام هو الصراط المستقيم وانّه عليه السلام على بيّنة واضحة وانّه مع القرآن والقرآن معه وعلمه بالقرآن وانّه هو ترجمان الوحي وانّه هو القرآن الناطق وانّه عليه السلام وفاتحة الكتاب وانّه عليه السلام هو قيّم القرآن الكريم وغيرهامن المباحث الّتي ستقرأها انشاءالله تعالى تؤيّد ذلك .

وفي الفقيه : عن الرضا عليه السلام انّه قال : « الحمد لله » إنّما هو أداء لما أوجب الله عزوجل على خلقه من الشكر وشكر لما وفق عبده من الخير « ربّ العالمين » توحيد له وتحميد وإقرار بانّه هو الخالق المالك لاغيره .

و فى الفقيه : عن الرضا عليه السلام انه قال : « الرحمن الرحيم » إستعطاف و ذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه .

وفى المجمع : عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال : الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة .

وفى رواية : عن الصادق عليه السلام انه قال : الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة .

وعن بعض التابعين قال : الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة .

ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق : مؤمنهم وكافرهم وبرّهم وفاجرهم هو إنشاءه إيّاهم وخلقهم أحياء قادرين ورزقه إيّاهم .

ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم فى الدنيا من التوفيق وفى الاخرة من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والآثام وإلى هذا المعنى يؤول ماروى عن الصادق عليه السلام انه قال : الرحمن اسم خاص الخ .

وفى نهج البلاغة : قال اميرالمؤمنين عليه السلام : رحيم لايوصف بالرقة .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : سئلت أباعبدالله عن تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » قال : ـ إلى ان قال ـ : الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة .

وفى الدر المنثور : عن جندب بن عبدالله البجلى قال : جاء اعرابى فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نادى :

اللّهم ارحمنى ومحمداً ولاتشرك فى رحمتنا أحداً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد حظرت رحمة واسعة انّ الله خلق مأة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنّها وإنسها وبهائمها وعنده تسعة وتسعون .

وفيه : عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله خلق مأة رحمة يوم خلق السموات والأرض كلّ رحمة منها طباق ما بين السماء و الارض فاهبط منها رحمة إلى الارض فيها تراحم الخلائق وبها تعطف الوالدة على ولدها وبها تشرب

الطير والوحوش من الماء وبها تعيش الخلائق فاذا كان يوم القيامة انتزعها من خلقه ثم أفاضها على المتّقين وزاد تسعة وتسعين رحمة ثم قرء :

« ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون » .

وفى الفقيه : عن الرضا عليه السلام انّه قال : « مالك يوم الدين » إقرار له بالبعث والحساب والمجازات وإيجاب ملك الاخرة له كإيجاب ملك له فى الدنيا .

« إيّاك نعبد » رغبة وتقرّب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره « وإياك نستعين » إستزادة من توفيقه وعبادته وإستدامة لما انعم الله عليه ونصره .

وفى الكافى : باسناده عن الزّهرى قال : قال على بن الحسين عليه السلام : لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معى وكان عليه السلام اذا قرأ « مالك يوم الدين » يكررها حتّى كاد أن يموت .

وفى نهج البلاغة : قال اميرالمؤمنين على عليه السلام فى خطبة له :

ومبعوثون افراداً ومدينون جزاءً ومميّزون حساباً .

وفى الشرح : مدينون اى مجزيّون والدين : الجزاء ومنه « مالك يوم الدين » ومميزون حساباً من قوله تعالى : « وامتازوا اليوم ايها المجرمون » ومن قوله تعالى : « وكنتم ازواجاً ثلاثة » .

كما انّ قوله : « ومبعوثون افراداً » مأخوذ من قوله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى » .

وفى الاحتجاج : فى حديث طويل ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : قولوا : « اياك نعبد » اى واحداً لانقول كما قالت الدّهريّة : انّ الأشياء لابدؤلها وهى دائمة ولا كما قال الثنويّة الذين قالوا : إنّ النّور والظلمة هما المدبّران ولا كما قال مشركوا العرب : إنّ أوثاننا آلهة فلا نشرك بك شيئاً ولاندعو من دونك الهاً كما يقول هؤلاء الكفّار ولانقول كما تقول اليهود والنّصارى : انّ لك ولداً تعاليت عن ذلك علوّاً كبيراً .

وفى الفقيه : عن الرضا عليه السلام انّه قال : « اهدنا الصراط المستقيم » إسترشاد

لدينه وإعتصام بحبله وإستزادة فى المعرفة لربّه عزوجل ولعظمته و كبريائه .

وفى عيون الاخبار : باسناده عن الصّادق عليه السلام فى قوله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : يقول : أرشدنا إلى الطّريق المستقيم أرشدنا للزوم الطريق المؤدّى إلى محبّتك والمبلّغ دينك والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنتعطّب أو نأخذ بآرائنا فنهلك .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن الحسن العسكرى عليه السلام فى قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : أدم لنا توفيقك الّذى به أطعناك فيما مضىٰ من ايّامنا حتّى نعطيك كذلك فى مستقبل أعمارنا والصّراط المستقيم هو صراطان : صراط فى الدنيا وصراط فى الاخرة فأمّا الطريق المستقيم فى الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلىٰ شىء من الباطل وأمّا الطريق الاخرة فهو طريق المؤمنين الى الجنة الّذى هو مستقيم لايعدلون عن الجنّة الى النّار ولا الىٰ غير النار سوى الجنّة .

و فيه : باسناده عن المفضّل بن عمر قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الصراط فقال : هو الطريق الىٰ معرفةالله عزوجل وهما صراطان : صراط فى الدنيا و صراط فى الاخرة ، فأمّا الصراط فى الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذى هو جسر جهنم فى الاخرة ومن لم يعرفه فى الدنيا زلّت قدمه على الصراط فى الاخرة فتردىٰ فى نار جهنم .

و فيه : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول‌الله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو أميرالمومنين ومعرفته عليه السلام والدليل علىٰ أنّه أميرالمؤمنين قول‌الله عزوجل « وانّه فى امّ الكتاب لدينا لعلىّ حكيم » وهواميرالمؤمنين عليه السلام فى امّ الكتاب فى قوله : « اهدنا الصّراط المستقيم » .

وفى الكافى : باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال : أوحى‌الله الىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم « واستمسك بالّذى أوحى اليك انّك علىٰ صراط مستقيم » .

قال : انّك علىٰ ولاية علىّ عليه السلام وعلىّ عليه السلام هو الصراط المستقيم .

و فيه : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت : «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى امن يمشي سوياً على صراط مستقيم» قال : ان الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي عليه السلام كمثل من يمشي على وجهه لايهتدى لأمره وجعل من تبعه سوياً على صراط مستقيم والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي كمال الدين و تمام النعمة : باسناده عن خثيمة الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل ـ قال : ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله عز وجل ونحن من نعمة الله على خلقه .

و في معاني الاخبار : باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال : ليس بين الله وبين حجته حجاب ولالله دون حجته ستر نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سره .

و فيه : باسناده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه برائة بولايتك .

وفي رواية : قال علي بن ابيطالب عليه السلام : سئلني زنديق : ان في كتابكم آية أشكلت أمري فمن رفع إشكالي أقبل الاسلام قال عليه السلام : ما الاية ؟ قال : «اهدنا الصراط المستقيم» .

فقال : لم تقولون بها وتدعون بثبوتها وتثبتون عليها واذا طلبتم بها يلزم تحصيل الحاصل قال عليه السلام : ان الانبياء والصالحين كانوا قبلنا ففازوا بسعادة ابدية ونحن ندعو الله بالصراط الذى ذهبوا بها وفازوا فرفع الإشكال عنه وأسلم .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن الحسن العسكري عليه السلام في قول الله عز وجل : «صراط الذين أنعمت عليهم» اى قولوا إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن اولئك رفيقا » .

ثم قال : ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة .

ألا ترون إنّ هؤلاء قديكونون كفّاراً أوفسّاقاً فما ندبتم الى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم وإنّما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالايمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمّد وآله الطيّبين وأصحابه الخيرين المنتجبين . . الحديث .

و فيه : باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله عزّ وجلّ : « صراط الّذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولاالضّالين» قال : شيعة عليّ عليه السلام الّذين أنعمت عليهم بولاية عليّ بن ابيطالب عليه السلام لم يغضب عليهم .

اقول: وفي معنى الروايات روايات كثيرة عن طريق العامة ستقرأها انشاء الله تعالى عن قريب في موضوع : انّ عليّاً عليه السلام على بيّنة واضحة وهو الصراط المستقيم .

وفي الفقيه: باسناده عن الرّضا عليه السلام انّه قال : « صراط الذين انعمت عليهم » توكيد في السّؤال والرغبه وذكر لما تقدّم من نعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم .

« غيرالمغضوب عليهم» إستعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه .

«ولاالضّالّين » إعتصام من أن يكون من الّذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا .

وفي الاحتجاج : عن الرّضا عليه السلام قال : إن تجاوز باميرالمؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضّالين .

وفي تفسير القمي : باسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام انه قرأ : اهدنا الصراط المستقيم» صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضّالّين

قال : المغضوب عليهم النّصّاب والضّالّين اليهود والنصارى[١] .

وفيه : عن إبن أبي عمير عن إبن أذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : «غير المغضوب عليهم وغير الضّالّين» قال : المغضوب عليهم : النصاب والضالين : الشكاك الذين لايعرفون الامام .

اقول: كلمة «غير» في «الضالّين» لبيان ان «لا» بمعنى «غير» .

و في تفسير العياشي : عن معاوية بن وهب قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : « غير المغضوب عليهم ولاالضالين» قال : هم اليهود والنصارى[١] .



مسائل فقهية
فى القرائة

ولمّا كانت الصّلاة هى إحدى الدّعائم الّتى بنى عليها الاسلام إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها ولمساس هذه السورة بها نقدّم مسائل القرائة الّتى تتعلّق بها واكثرها المتفق عليها عند فقهاء الشيعة الاماميّة الاثنى عشريّة قديماً وحديثاً :

مسئلة ١ـ تجب قرائة البسملة مع كلّ سورة عدا سورة (البرائة) فى الفرائض والنوافل .

مسئلة ٢ـ الأحوط ـ وجوباً ـ الإجهار بسم الله الرحمن الرحيم فى الصّلاة مطلقا .

وفى الذكرى : تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام انّ لاتقيّة فى الجهر بالبسملة .

مسئلة ٣ـ لو عين المصلّى البسملة لسورة فلا تجوز قرائة غيرها إلا بعد إعادة البسملة لها وإذا قرأ البسملة من دون تعيين سورة وجب إعادتها ولابدّ وأن يعيّنها لسورة خاصّة وكذا إذا عيّنها لسورة ونسيها فلم يدرما عيّن .

وإن يتردّد بين السّور فلا يجوز له البسملة إلّا بعد التعيين وأمّا إذا كان عازماً من أوّل الصّلاة على قرائة سورة معيّنة أوكان من عادته ذلك فقرأ غيرها فكفى فلا تجب إعادة السّورة .

مسئلة ٤ـ يجب فى الركعة الاولى والثانية من الفرائض قرائة فاتحة الكتاب

وسورة كاملة عقيبها وإن قد يسقط السّورة في موارد الضرورة : من ضيق الوقت والخوف والمرض الشاقّ ونحوها من الضرورات العرفيّة .

مسئلة ٥ـ لو قدّم المصلّى سورة على (الفاتحة) عمداً إستأنف الصّلاة ولو قدّمها سهواً وذكر قبل الرّكوع فإن لم يقرإ الفاتحة بعدها فليقرإ الفاتحة ثمّ يقرأ السّورة بعدها وإن قرأها بعدها أعادها دون الفاتحة ، وإن ذكر بعد الدّخول في الرّكوع أونسيهما أونسى إحداهما وذكر بعد الرّكوع صحّت صلاته وسجد سجدتى السهو مرّتين : مرّة للحمد واخرى للسّورة ولكنّ الاحوط إعادة الصلاة لصحة ماورد : لاصلاة الاّ بفاتحة الكتاب .

مسئلة ٦ـ يعتبر في صحّةالنوافل قرائة الفاتحة وأمّا السّورة فلا الاّ النوافل التى وردت في كيفيّتها سور خاصّة فيعتبر في اتيانها بتلك السور الخاصّة إلا اذا علم أن اتيانها بتلك السور شرط لكما لها لا لأصل مشروعيّيها وصحّتها .

فيجوز حينئذ تركها فيها أيضاً .

وقد تجب السّورة فيالنوافل بالنذر ونحوه اذا كانت السورة قيداً فيالنّذر بأن تكون الصلاة معالسورة منذورة .

مسئلة ٧ـ الأحوط ترك قرائة اكثرمن سورة واحدة فيالفرائض وأمّاالنوافل فتجوز .

مسئلة ٨ـ لاتجوز قرائة السّور التى يفوتالوقت بقرائتها منالسّور الطوال فإن قرأها ـ عمداً ـ بطلت صلاته وإن قرأها ـ سهواً ـ عدل الى غيرها معسعة الوقت وان ذكر بعدالفراغ منها ـ وقد خرج الوقت ـ اتمّ صلاته الاّ اذا لميكن قد أدرك ركعة فيحكم حينئذ ببطلان صلاته ولزمهالقضاء .

مسئلة ٩ـ لا تجوز قرائة إحدى سور العزائم ـ وهى أربع سور : السجدة و فصلت والنجم والعلق ـ فيالفرائضفانقرأها ـ عمداً ـ وجب عليه السجدة للتلاوة .

فإن سجد بطلت صلاته وإن عصىوترك فالأحوط ـ وجوباً ـ له الإتمام و الإعادة وإن قرأها ـ سهواً ـ وذكر قبل آية السجدة عدل إلى غيرها وإذا

ذكر بعدها فان سجد ـ نسياناً ـ أيضاً اتمّها وصحت صلاته وإن التفت قبل السجدة أو مأ إليها واتمّ صلاته وسجد بعدها على الأحوط فان سجد وهو في الصلاة بطلت .

مسئلة ١٠- لو قرأ عمداً ـ آية من السّور العزائم في أثناء الصلاة لبطلت صلاته لكونها في حكم تمام السّورة على الأقوى ولو قرأها ـ سهواً ـ أو استمع لها من غيره لأومأ براسه إلى السجود وأتمّ صلاته والأحوط ـ وجوباً ـ السجدة أيضاً بعد الفراغ .

مسئلة ١١- تجوز قرائة سور العزائم في النوافل منفردة أو منضمّة إلى سورة اخرى ويسجد عند قرائة آية السجدة ويعود إلى صلاته فيتمّها و كذا الحكم لو قرأ آية السجدة وحدها أو استمع لها .

مسئلة ١٢- يجوز العدول ـ اختياراً ـ من سورة إلى سورة اخرى ما لم يبلغ النصف سوى سورتي التوحيد والكافرون فلا يجوز العدول منهما إلى غيرهما بمجرد الشروع فيهما ولو بالبسملة قاصداً بإحداهما .

نعم يجوز العدول منهما إلى سورتي الجمعة والمنافقون في يوم الجمعة حيث انّه يستحبّ في الظهر والجمعة من يومها أن يقرأ في الركعة الاولى سورة الجمعة وفي الركعة الثانية سورة المنافقون فإذا نسي قرأ غيرهما حتّى سورتي الجحد والتوحيد ويجوز العدول إليهما ما يبلغ النصف وأمّا اذا شرع في سورتي الجحد والتوحيد عمداً فلا يجوز العدول اليهما أيضاً على الأحوط .

مسئلة ١٣ - يجوز العدول من سورة الى سورة اخرى في النوافل مطلقاً وان بلغ النصف .

مسئلة ١٤ - يجوز العدول مع الضّرورة بعد بلوغ النصف حتّى في سورتي التوحيد والجحد كما اذا نسي بعض السّورة أوخاف فوت الوقت بإتمامها أوكان هناك مانع اخر ومن ذلك لو نذر أن يقرء سورة معيّنة في صلاته فنسي وقرأ غيرها فيجوز العدول وان وصل الى النصف أو كان ما شرع فيه الجحد أو التوحيد .

مسئلة ١٥ - يجب على الرّجال الجهر بالقرائة في الصبح والاولين من المغرب

والعشاء والاخفات في غير الاولين منهما و كذا في الظهر والعصر في غير يوم الجمعة عدا البسملة وأمّا في صلاة الجمعة فيستحب الجهر فيها وفي ظهر الجمعة على الأقوى

مسئلة ١٦ـ لو جهر المصلّي في موضع الاخفات أو أخفت في موضع الجهر ـ عمداً ـ لبطلت صلاته ولو كان ناسياً أو جاهلاً بالحكم من أصله أو بمعنى الجهر والاخفات لصحّت الصلاة ، ويجب الجهر في جميع الكلمات والحروف في القرائة الجهريّة .

وان كان متردّداً فجهر أو أخفت في غير محاله برجاء المطلوبيّة فالأحوط الاعادة .

مسئلة ١٧ـ إذا ذكر الناسي أوعلم الجاهل في أثناء القرائة مضى في القرائة فلا يجب عليه إعادة ماقرأه .

مسئلة ١٨ـ لايجب الجهر على النساء في الصّلوات الجهريّة بل يتخيّرن بينه وبين الاخفات مع عدم سماع الأجنبي وأمّا معه فالأحوط إخفاتهنّ وأمّا في الاخفائيّة فيجب عليهنّ الاخفات كالرجال ويعذرن فيما يعذرون فيه .

مسئلة ١٩ـ مناط الجهر والاخفات هو الصدق العرفي لاسماع من بجانبه وعدمه ولا يصدق الاخفات على مايشبه المبحوح وإن كان لايظهر جوهر الصوت فيه .

مسئلة ٢٠ـ لايجوز الافراط في الجهر كالصّياح فان فعل فالاحوط الاعادة من غير إفراط فيه .

مسئلة ٢١ـ يجوز ـ لمن لايكون حافظاً للحمد والسورة ـ أن يقرء على المصحف كما يجوز له إتّباع من يلقّنه آية فآية هذا اذا لم يقدر على الحفظ والا يتمام أو كان بصدد الحفظ ولم يحفظ .

مسئلة ٢٢ـ من لايقدر إلاّ على الملحون ولو لتبديل بعض الحروف ولا يمكنه التعلّم اجزاءه ذلك ولايجب عليه الا يتمام وان كان هو الاحوط ، وان ضاق الوقت مع كونه قادراً على التعلّم فالأحوط الايتمام ان تمكّن منه ويجب عليه التعلّم بالقرائة وسائر أجزاء الصلاة .

مسئلة ٢٣ - اذا تعلم بعض الفاتحة قرأه و الأحوط - استحباباً - أن يقرأ من سائر القرآن عوض البقيّة واذا لم يعلم شيئاً منها قرأ من سائر القرآن والاحوط وجوباً - أن يكون بقدر الفاتحة وإذا لم يعرف شيئاً من القرآن أجزأه أن يكبّر ويسبّح والأحوط - وجوباً - أن يكون بقدرها أيضاً بل الأحوط الاتيان بالتسبيحات الأربع .

مسئلة ٢٤- لو عرف الفاتحة وجهل السّورة فالظاهر سقوطها مع العجز عن تعلّمها والاحوط قراءة بعض السورة بقدر أقصر السور لو علم .

مسئلة ٢٥- الاخرس يحرّك لسانه ويشير بيده إلى ألفاظ القرائة بقدرها اذا كان قادراً على ذلك وإلاّ إلى معانيها كالأبكم الأصم .

مسئلة ٢٦- لايجوز أخذ الاجرة على تعليم الحمد والسورة و كذا على تعليم سائر الاجزاء الواجبة من الصّلاة والظاهر جواز أخذها على تعليم المستحبّات .

مسئلة ٢٧- يجب الترتيب بين آيات الحمد والسورة وبين كلماتها وحروفها و كذا الموالات فلو أخلّ بشيء من ذلك عمداً بطلت صلاته .

مسئلة ٢٨ - تجب القرائة على وجه الصحيح بأداء الحروف وإخراجها من مخارجها على النّحو اللازم في لغة العرب فان أخلّ بشيء من ذلك بطلت القرائة .

مسئلة ٢٩- يتخيّر المصلّي فيما عدا الركعتين الاولين من فرائضه بين الذّكر والفاتحة والافضل هو الذّكر وصورته : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر » ويجب المحافظة على العربيّة ويجزى أن يقول ذلك مرّة واحدة والاحوط تكراره ثلاثاً ، والاولى اضافة الاستغفار اليها ويلزم الاخفات في الذكر وفي القرائة حتّى البسملة على الاحوط اذا اختار الاتيان بدل الذكر ولايجب اتّفاق الركعتين الاخيرتين في القرائة والذكر بل له القرائة في احداهما والذكر في الاخرى .

مسئلة ٣٠- يجب الإستقرار حال القرائة والاذكار فلو أراد حالهما التّقدم و التأخّر أو الانحناء لغرض من الأغراض يسكت حال الحركة ويرجع بعد الطمأنينة الى القرائة ولا يضرّ تحريك اليد أو أصابع الرجلين حال القرائة وان كان الترك أولى .

مسئلة ٣١ـ اذا تحرّك حال القرائة قهر الريح ونحوها بحيث فاتت الطمأنينة فالأحوط ـ استحباباً ـ اعادة ما قرأ فى تلك الحال .

مسئلة ٣٢ـ يكره ترك سورة التوحيد فى جميع الفرائض الخمس وقرائتها بنفس واحد وقرائة سورة واحدة فى كلتا الركعتين الاوليتين الاّ سورة التوحيد فانّه لابأس بقرائتها فى كلّ من الركعة الاولى والثانية .

مسئلة ٣٣ـ يجوز تكرار الآية الواحدة ويجوز انشاء الخطاب بمثل « ايّاك نعبد وايّاك نستعين » مع قصد القرآنية و كذا انشاء الحمد بقوله : « الحمد لله ربّ العالمين » وانشاء المدح بمثل : « الرحمن الرحيم » .

مسئلة ٣٤ـ يجوز البكاء فى الصّلاة وتجوز قرائة المعوّذتين فى الصّلاة وهما من القرآن بلا مراء .

مسئلة ٣٥ـ تستحبّ الاستعاذة قبل الشروع فى القرائة فى الركعة الاولى بأن يقول : « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » والأولى الاخفات بها .

مسئلة ٣٦ـ يستحبّ الترتيل فى القرائة وتحسين الصوت بلا غناء وأن يقول بعد قرائة الفاتحة « الحمد لله ربّ العالمين » والمأموم يقولها بعد فراغ الإمام .

وأن يقول بعد قرائة التوحيد : « كذلك الله ربى » أو ربّنا .

مسئلة ٣٧ـ تستحب قرائة بعض السّور فى بعض الصّلوات كقرائة : سورة عمّ وهل اتى وهل أتاك ولا اقسم فى صلاة الصبح وسورة الأعلى والشمس ونحوهما فى الظهر والعشاء وسورة النصر والتكاثر فى العصر والمغرب وسورة الجمعة فى الركعة الاولى وسورة الاعلى فى الثانية من العشائين ليلة الجمعة وسورة الجمعة فى الاولى والتوحيد فى الثانية من صبحها .

وسورة الجمعة فى الاولى والمنافقون فى الثانية من ظهريها وسورة هل أتى فى الاولى وهل اتاك فى الثانية فى صبح الخميس والاثنين ويستحبّ فى كلّ صلاة قرائة القدر فى الاولى والتوحيد فى الثانية واذا عدل عن غيرهما اليهما لما فيهما من فضل أعطى أجر السورة التى عدل عنها مضافاً الى أجرهما .

﴿ بحث مذهبي ﴾

في تفسير العياشي : عن الحسن بن محمد الجمّال عن بعض أصحابنا قال : بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة انّ وجّه إليّ محمد بن علي بن الحسين ولا تهيّجه ولا تروّعه واقض له حوائجه وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدريّة فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً فقال : ما لهذا إلاّ محمد بن علي عليه السلام فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه .

فأتاه صاحب المدينة بكتابه فقال له أبو جعفر عليه السلام انّي شيخ كبير لاأقوى على الخروج وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجّهه إليه فلمّا قدم على الاموىّ أزراه لصغره وكره أن يجمع بينه وبين القدرىّ مخافة أن يغلبه وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر عليه السلام لمخاصمة القدرىّ .

فلمّا كان من الغد إجتمع الناس لخصومتهما فقال الأموى لأبي عبدالله عليه السلام : انّه قد أعيانا أمر هذا القدرى وإنّما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه فانّه لم يدع عندنا أحداً إلاّ خصمه فقال : إنّ الله يكفيناه .

قال : فلمّا اجتمعوا قال القدرىّ لأبي عبدالله عليه السلام : سل عمّا شئت فقال له إقرأ سورة الحمد قال : فقرأها وقال الأموىّ ـ وأنا معه ـ : ما في سورة الحمد علينا انّا لله وانّا اليه راجعون .

قال : فجعل القدرى يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى : « ايّاك نعبد وايّاك نستعين » فقال له جعفر عليه السلام : قف من تستعين وما حاجتك الى المعونة ؟

ان كان الأمر إليك ؟ فبهت الّذى كفر والله لايهدى القوم الظّالمين .

أقول : وقد اضطربت حويصة الجبريّة والقدريّة فى المقام :

فيقال على الجبريّة : لو كان الانسان مجبوراً على الفعل لما كان للاستعانة على الفعل فائدة مع أنّ الاستعانة أيضاً فعل يحتاج الى استعانة اخرى وهكذا فيتسلسل . . . ويقال على القدرية : إذا كان الفعل من الله سبحانه فلاشأن للعبد فى فعله إلاّ شان الآلة بالنسبة إلىٰ صاحبها فما كان لإستعانته علىٰ فعله مفهوماً .

ولكنّ الحقّ انّ الفعل والترك بالنسبة إلى العبد سواء فيستعين بالله تعالى أن يوفّقه على إمتثال ما أمره الله تعالىٰ به وعلىٰ ترك ما نهاه عنه .

قال الله تعالىٰ : « والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين » العنكبوت : ٦٩ .



الى من نرجع فى تفسير الايات القرآنية والاخذ بالمعارف الاسلامية

ومن البديهى والمشاهد ان الانسان بغرائزه يرجع فى طلبه علماً من العلوم أو فناً من الفنون فى هذه الحياة الدنيا إلى من هو أعلم منه إطلاقاً فيقبل منه وانى لست بصدد بيان شرائط التفسير والمفسر.

ولكن لاينبغى أن نغفل عن موضوع التفسير وما يمكننا أن نفسر به القرآن الكريم فنشير إليهما بكلمة وتفصيلها فى محله إنشاء الله تعالى.

أما موضوع التفسير فهو كلام الله المجيد وأما التفسير فهو إيضاح مراد الله جل وعلا من كتابه العزيز.

وذلك لايمكن بالظنون والاستحسان ولا بشىء لم يثبت حجيته من طريق العقل والشرع ولابمن لايصون عن الخطأ والزلل من غير إستناد إلى معصوم للنهى عن إتباع الظن.

قال الله تعالى: «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً» يونس: ٣٥ و ٣٦.

وقال: «وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئاً ـ ذلك مبلغهم من العلم» النجم: ٢٨ ـ ٣٠.

وقال: «وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» فصلت: ٢٣.

وقال : « ولاتقف ما ليس لك به علم » الاسراء : ٣٦ .

وورد الروايات الكثيرة المستفيضة التي تنهى عن التفسير بالرأى .

وللمفسّر أن يتّبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح وحمل اللفظ علىٰ ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنة أو الدليل العقلي غير مشوب بالغرض والمرض ، إذ له أن يتّبع ما حكم به العقل السليم فانّه حجّة من الداخل كما انّ النبي صلى الله عليه وآله حجّة من الخارج .

ولكن الانسان لمّا كان في عرضة الخطأ والزلل وليس للعقل أن يدرك جميع ما في القرآن الكريم من وجوه الأمر والنهي والندب والارشاد والحدود والحقوق ومبالغ الفرائض ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وعليه وما اشبه ذلك ممّا لايدرك علمه الاّ بالبيان من الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين .

فلا بدّ للمفسّر أن يرجع في تفسير القران الكريم الىٰ من عنده علم الكتاب ومن هو معصوم عن الخطاء والزلل .

قال الله تعالىٰ : « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » النحل : ٤٣ .

فالنقل والسماع لابدّ منهما في التفسير ليتّقي بهما مواضع الغلط ويتّسع للتفهم والاستنباط .

قال الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام : « ما من شيء الاّ وعلمه في القرآن ولكن رأى الرجال يعجز عنه » .

ولعمري ما وجدت بعد التحقيق نحو ستين دورة من التفاسيرالقرآنية ونحو ثمانية آلاف مجلدة من الكتب في الفنون المختلفة احداً يطمئن قلبي بكلامه في تفسير القرآن وحوله من غير دليل صحيح ممن عنده علم الكتاب والراسخ في العلم وخزّان علم الله تعالى ومحبط الوحي ومعدن الحكمة .

وما ورد من الروايات الكثيرة باسانيد عديدة من طريق العامة المشحونة في مآخذهم وأسفارهم لايمكن التلجلج فيها نوردها انشاء الله تعالى في محلّها

المناسب : انّ هذا الذى عنده علم الكتاب الخ .

هو الإمام امير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام واحدى عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام .

وانّهم المرجع فى الدّين وهم الّذين أوصىٰ رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب التمسك بهم فقال : « انّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما ان تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى ابداً » .

وانّهم قرناء الكتاب فى وجوب التمسك بهم ولزوم الانتهاء اليهم قال الله تعالى : « ولو ردّوه الى الرّسول والىٰ اولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » النساء : ٨٣ .

ونشير الى نبذة ماورد فيما قدّمناه عن طريق العامة فى الأمور الآتية :



الامام على عليه السلام
مع القرآن والقرآن معه

أورد فى ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة باسانيد عديدة فى مآخذهم نشير الى ما يسعه المقام :

١ـ روى الحاكم النيسابورى فى (المستدرك جلد٣ ص ١٢٤ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن أبى ثابت مولى أبى‌ذر قال: كنت مع علىّ رضى الله عنه يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلنى بعض ما يدخل الناس فكشف الله عنّى ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع اميرالمؤمنين فلمّا فرغ ذهبت الى المدينة فأتيت أمّ سلمة فقلت : انّى والله ما جئت أسئل طعاماً ولاشراباً ، ولكنّى مولى لأبى ذر فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصّتى فقالت : أين كنت حين طارت القلوب مطائرها ؟ قلت : الى حيث كشف الله ذلك عنّى عند زوال الشمس قالت : أحسنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : علي مع القرآن والقرآن مع علىّ لن يفترقا حتّى يردا على الحوض ثم قال : هذا حديث صحيح الاسناد .

اقول : رواه جماعة من حملة آثارهم منهم : الذهبى فى (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٢٤ ط حيدر آباد الدكن) .

٢ ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ١٠٧ ط تبريز) .

باسناده عن شهربن حوشب قال : كنت عند أمّ سلمة فسلم رجل فقيل : من انت ؟ قال : أنا أبو ثابت مولى أبى‌ذر قالت : مرحبا بأبى ثابت ادخل فدخل

فرحبّت به فقالت : أين طار قلبك حين طارت القلوب مطارها ؟

قال : مع علي بن أبيطالب عليه السلام قالت : وفقت للهدى والّذى نفس امّ سلمة بيده لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : علي عليه السلام مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ولقد بعثت إبني عمرو وابن أخي عبدالله بن أبي اميّة فأمرتهما بأن يقاتلا مع علي عليه السلام من قاتله ولولا انّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا أن نقرّ في محالّنا أو في بيوتنا لخرجت حتّى أقف في صف علي بن ابيطالب عليه السلام .

٣- روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٢٥٣ ط الغرى) باسناده عن ثابت مولى آل أبي ذر عن امّ سلمة قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : علي بن أبيطالب مع القرآن والقرآن معه لايفترقان حتّى يردا عليّ الحوض .

أقول : رواه سنداً ومتناً جماعة من حملة آثارهم :

١- الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٤ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) .

٢- إبن حجر المكّي الشافعي في (الصواعق المحرقة ص٧٤ ط مصر) .

٣- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٦٧ ط الميمنية بمصر) .

٤- المناوي في (الكواكب الدرّية ج ١ ص ٣٩ ط الأزهرية بمصر) .

٥- الصبان المصري في (اسعاف الراغبين ص ١٧٧ ط مصر) .

٦- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٩٠ ط اسلامبول) .

٧- الشبلنجي في (نور الأبصار ص ٧٣ ط العامرة بمصر) .

٨- النبهاني في (الفتح الكبير ج ٢ ص ٢٤٢ ط مصر) .

وغيرهم تركنا ذكرهم للإختصار .

٤- روى الامرتسري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٣٤٠ و ٥٩٨ ط لاهور) .

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الّذى قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه : أيّها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة إليكم الا انّي مخلف فيكم الثقلين كتاب ربّي عزوجل وعترتي أهل بيتي ثمّ أخذ بيد علي رضي الله عنه فرفعها فقال :

هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لايفترقان حتّى يردا على الحوض فاسئلوهما ما خلفت فيهما .

أقول : رواه سنداً جماعة منهم : ابن حجر المكّي الشافعي في (الصواعق المحرقة ص ٧٥ ط الميمنية بمصر) مع إختلاف يسير متناً وغيره سنداً ومتناً تركناهم رعاية للاختصار .

ونختم البحث بما ورد في العلل : لمحمد بن على بن ابراهيم :

العلّة فى **قوله** صلى الله عليه وآله وسلم : « لن يفترقا حتى يردا على الحوض » انّ القرآن معهم فى قلوبهم فى الدنيا فإذا صاروا إلى عندالله عزوجل كان معهم ويوم القيامة يردون الحوض وهو معهم .



الامام على عليه السلام
وعلمه بالقرآن

أورد فى ذلك نقلة آثار العامّة روايات كثيرة باسانيد عديدة فى كتبهم وما وقفت إلى الآن منها فى ذلك نحو مآة من الكتب فنشير إلىٰ ما يسعه المقام :

١ـ روى الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ ط مطبعة السعادة بمصر) .

باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن وإنّ عليا ابن أبيطالب عنده علم الظاهر والباطن .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من اعلام العامة منهم :

١ـ البخارى فى (فصل الخطاب) .

٢ـ الحموينى فى (فرائد السمطين) .

٣ـ القندوزى فى (ينابيع المودة ص ٧٠ ط اسلامبول) .

٤ـ المغربى فى (فتح العلىٰ ص ٣٥ ط مصر) .

٥ـ الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ١١٣ ط لاهور) .

٢ـ روى الساعاتى فى (بلوغ الأمانى المطبوع بذيل الفتح الربانى ج ٩ ص ٨٩٦ ط القاهرة) فى ذيل حديث ١٢٠ من كتاب (الفتح الربانى) قال علي رضى الله عنه : أنا أبو حسن القوم بالواو باضافة حسن الى القوم ومعناه : عالم القوم وذو رأيهم .

٣ـ روى إبن سعد فى (الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٣٨ ط الصارف بمصر) باسناده عن أبى الطفيل قال : قال علي : سلونى عن كتاب الله فانّه ليس من آية إلاّ وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار فى سهل أم فى جبل .

٤ـ روى الحاكم النيسابورى فى (المستدرك ج٢ ص ٤٦٦ ط حيدرآباد الدكن) . باسناده عن أبى الطفيل قال : رايت أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب رضى الله عنه قام على المنبر فقال : سلونى قبل أن لا تسئلونى ولن تسئلوا بعدى مثل قال : فقام إبن الكوّاء فقال : يا اميرالمؤمنين ما الذاريات ذروا ؟ قال : الرياح قال : فما الحاملات وقرا ؟ قال : السحاب قال : فما الجاريات يسرا ؟ قال : السفن قال : فما المقسمات امرا ؟ قال : الملائكة قال : فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنم ؟ قال : منافقوا قريش .

ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد .

٥ ـ روى التفتازانى فى (شرح المقاصد ج٢ ص ٢٢٠ ط الآستانة) قال علي عليه السلام والله ما من آية نزلت فى برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت وفى أىّ شيء نزلت .

٦ـ روى الحموينى فى (فرائد السمطين) باسناده عن أبى الطفيل قال : شهدت عليّاً وهو يخطب ويقول : سلونى فوالله لاتسئلونى عن شيء يكون الى يوم القيامة إلاّ حدّثتكم به وسلونى عن كتاب الله عزّوجل ما منه آية إلاّ وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أفى سهل نزلت أم فى جبل .

فقال إبن الكواء : وأنا بينه وبين على وهو خلفى : فما الذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات امراً ؟ قال : ويلك سل تفقّهاً ولا تسئل تعنّتاً .

والذاريات ذرواً : الرياح والحاملات وقراً : السحاب والجاريات يسراً : السفن ، والمقسمات امراً : الملائكة .

قال : أفرأيت السواد الّذى فى القمر ما هو ؟ قال : اعمى يسئلنى عن عمياء أما سمعت الله عزّوجلّ يقول : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل »

فذلك محوه والسواد الذى فيه قال : افرايت ذا القرنين أنبياً كان أم ملكاً ؟ قال : لاواحداً منهما ولكنّه كان عبداً صالحاً احبّ الله فاحبّه الله فناصح الله فناصحه الله دعا قومه إلى الهدى، فضربوه على قرنه فمكث ماشاءالله ثمّ دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الاخرى لم يكن له قرنان كقرن الثور .

قال أفرأيت هذا القوس ماهى ؟قال : علامة كانت بين نوح النبى عليه السلام وبين ربّه أمان من الغرق .

قال : أفرأيت البيت المعمور ماهو ؟ قال : ذلك الضراح فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لايعودون فيه إلى يوم القيامة .

قال : «فمن الّذين بدّلوا نعمةالله كفراً وأحلّوا قومهم دارالبوار» ؟

قال : الأفجران من قريش كفيتهم يوم بدر قال : فمن الّذى ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » ؟ قال : كان أهل حرورا منهم .

٧- روى محمد صالح الترمذى فى (المناقب المرتضوية ص ١٣٣ ط بمبئى) ما لفظه :

قال إمام العالمين كرّم الله وجهه : انا الّذى عندى علم الكتاب على ماكان وما يكون .

٨- روى الامر تسرى الحنفى فى (أرجح المطالب ص ٥٩٦ ط لاهور) عن جعفر بن محمد قال : كان الماء يجتمع فى جفون النبى عليه السلام وكان عليّ يشربه (ما ثبت بالسنة) .

٩- روى الهروىّ فى (الاربعين حديثاً ص ٤٧) انه عليه السلام قال والذى فلق الحبّة وبرء النسمة لو سئلتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أو فى نهار أنزلت مكيّها ومدنيّها وسفريها وحضريّها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم بها فقام إليه رجل من اقصى المجلس متوكّياً على عكازه فلم يزل يتخطى الناس حتى دنى منه .

فقال : يا اميرالمؤمنين دلّنى على عمل إذا أنا عملته نجانى الله من النّار فقال

له : اسمع يا هذا ثم أفهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاث : بعالم ناطق مستعمل بعلمه وغني لا يبخل بماله على اهل دينه وفقير صابر فاذا كتم العالم علمه وبخل الغنى بماله ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور .

١٠ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص٧١ ط اسلامبول) ما لفظه : وفي المناقب : سئل علي كرم الله وجهه ان عيسى بن مريم كان يحيى الموتى وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير هل لكم هذه المنزلة ؟

قال : إن سليمان ابن داود عليه السلام غضب الهدهد لفقده لانه يعرف الماء ويدل على الماء ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع ان الريح والنمل والانس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين .

وان الله يقول في كتابه : « ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى » .

ويقول تعالى : ومامن غائبة في السماء والأرض إلا فى كتاب مبين » و يقول تعالى : « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفيناه من عبادنا » فنحن أورثنا هذا القرآن الذى فيه ما يسيّر به الجبال وقطّعت به البلدان ويحيى به الموتى نعرف به الماء واورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء .

١١ـ روى ابن المغازلي الشافعي في (المناقب) .

عن عباد بن عبد الله قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : ما نزلت آية من كتاب الله الا وقد علمت متى أنزلت وفيمن أنزلت وما من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنة أو نار فقام رجل فقال : يا اميرالمؤمنين فما نزل فيك ؟

فقال : لولا انك سئلتنى على رؤوس الملأ لما حدثتك افما تقرأ : « افمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه » .

رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربه وانا الشاهد منه فأتلوه واتبعه .

اقول: رواه سبط إبن الجوزى فى (التذكرة ص ٢٠) .

والحمويني في (فرائدالسمطين) .

١٢- روى إبن سعد في (الطقبات الكبرى ج ٢ ص٣٨٨ ط دارالصارف بمصر) .

باسناده عن سليمان الأحمسى عن أبيه قال: قال علي : والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيما نزلت واين نزلت وعلى من نزلت إن ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً .

رواه جماعة من اعلام العامة :

١- الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج١ ص٦٧ ط السعادة بمصر) .

إلاّ انه ذكر بدل (ولسانا طلقا) (ولسانا سئوولاً) .

٢- الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٥٤ ط تبريز) .

٣- الحمويني في (فرائد السمطين) .

٤- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٧١ ط الميمنية بمصر) .

إلاّ انه ذكر بدل (طلقا) (صادقاً ناطقاً) .

٥ - ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٧٦) .

وغيرهم تركنا ذكرهم رعاية للاختصار .

١٣- روى الحمويني في (فرائد السمطين) .

باسناده عن ابن عباس قال : كنّا نتحدّث : انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد الى علي عليه السلام سبعين عهداً لم يعهده الى غيره رضى الله عنه .

رواه ابو نعيم في (حلية الأولياء) .

١٤- روى إبن الاثير في (النهاية في حرف الغين كلمة «غر» ج ٣ ص٣٥٧ ط المكتبة الاسلامية) :

في حديث معاوية : «كان النبي صلى الله عليه وآله يغرّ علياً بالعلم» اى يلقمه اياه .

يقال : غرّ الطائر فرخه : إذا زقّه .

رواه الصديقي في (مجمع بحارالانوار ج ٣ ص١٦ ط نول كشور) .

١٥- روى ابن حجر الهيتمي المكّي في (الفتاوى الحديثية ص ١٢٦ ط

مصر) ما لفظه :

وقد أورد المزى في (التهذيب) من طريق أبي نعيم انّه (اى الحسن البصرى) سئل عن قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يدركه فقال : كل شيء قلته فيه فهو عن علي عليه السلام غير انّى فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً اى زمان الحجاج .

الامام على امير المؤمنين عليه السلام

وترجمان الوحى

انّ الروايات الواردة فى ذلك عن طريق العامة كثيرة جداً لايسعها المقام فنشير الى[1] نبذة منها :

١ـ روى محمّد صالح الترمذى فى (المناقب المرتضويّة ص ١٣٠ و١٣٥ ط بمبئى) ما لفظه :

قال إمام المعصومين كرّم الله وجهه : أنا ترجمان وحى الله أنا معصوم من عندالله .

٢ـ روى سبط إبن الجوزى فى (التذكرة ص ٢٠) ما لفظه :

روى عن طريق الثعلبى عن زاذان قال : سمعت علياً عليه السلام : والذى فلق الحبة وبرء النسمة لو ثنّيت لى وسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والذى نفسى بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسى الاّ و أنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة أوتقوده إلى النار فقال له رجل يا اميرالمؤمنين فما آيتك إلى" (الى[1] ما)

انزلت فيك؟ فقال: «افمن كان على بيّنة من ربّه» فرسول الله على بينة وانا شاهد منه.

رواه جماعة بادنى تفاوت فى بعض فمنهم:

١- الحموينى فى (فرائد السمطين).

٢- القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودّة ص ٧٠ و ٢٢٠ ط اسلامبول).

٣- الامر تسرى الحنفى فى (أرجح المطالب ص ١١١ ط لاهور).

٤- المبرّد فى (الفاضل ص ٣ ط دار الكتب بمصر).

أقول: انّ المراد من الحكم بين اهل التوراة والانجيل والزبور بكتبهم بما انزلت لا بما فى أياديهم اليوم. وغيرها من الروايات تركناها للاختصار وينبغى أن نشير فى ذلك إلى بعض ما ورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية.

١- روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى الأمالى باسناده عن محمد بن المنكدر قال: سمعت أبا أمامة يقول: كان علي عليه السلام إذا قال شيئاً لم نشكّ فيه وذلك إنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

خازن سرّى بعدى علي عليه السلام.

٢- وفيه باسناده عن زرّ بن حبيش قال: مرّ علي عليه السلام على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمان فى ملاء فقال سلمان (ره) ألا تقومون تأخذون بحجزته تسئلونه فوالّذى فلق الحبة وبرأ النسمة انّه لا يخبركم بسرّ نبيّكم أحد غيره وانّه لعالم الأرض وربّانيها وإليه تسكن لو فقدتموه لفقدتم العلم وانكرتم الناس.

٣- وفيه باسناده عن الحسن بن علي عليه السلام قال: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ نزل عليه الوحى نهاراً لم يمس حتّى يخبر به عليّاً وإذا نزل عليه ليلاً لم يصبح حتى يخبر به عليّاً.

٤- روى الكلينى قدس سره فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة: «انا انزلناه» تفلحوا (تفلجوا خ) فوالله انّها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانّها السيّدة دينكم وانّها لغاية علمنا.

يا معشر الشيعة خاصموا بـ « حم والكتاب المبين انّا أنزلناه في ليلة مباركة انّا كنّا منذرين» فانها لولاة الامر خاصّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى : « وان من امة إلاّ خلافيها نذير» قيل : يا اباجعفر نذيرها محمد صلى الله عليه وآله قال : صدقت فهل كان نذير وهو حيّ من البعثة في أقطار الارض ؟

فقال السائل : لاقال أبو جعفر عليه السلام أرأيت بعيثه أليس نذيره كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعثته من الله عزّوجلّ نذير فقال : بلى قال : فكذلك لم يمت محمد إلاّ وله بعيث نذير قال : فان قلت : لافقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من في أصلاب الرجال من أمّته قال : وما يكفيهم القرآن ؟

قال : بلى إن وجدوا له مفسّراً .

قال : وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : بلى قدفسّره لرجل واحد وفسّر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن ابيطالب عليه السلام .

قال السائل : يا أباجعفر كان هذا أمر خاصّ لايحتمله العامّة ؟ قال : أبى الله ان يعبد إلاّ سرّاً حتى يأتى إبّان أجله الّذى يظهر فيه دينه كما انه كان رسول الله مع خديجة مستتراً حتى أمر بالإعلان قال السائل : ينبغى لصاحب هذا الدين أن يكتم ؟ قال : اوما كتم علي بن ابيطالب عليه السلام يوم أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى ظهر أمره ؟ قال : بلى قال : فكذلك أمرنا حتّى يبلغ الكتاب أجله .

٥ ـ روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه في الأمالي باسناده عن أبى جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «و كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» .

قام رجلان من مجلسهما فقالا : يا رسول الله هو التوراة ؟ قال : لا ، قالا : فهو الإنجيل ؟ قال لا ، قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا ، قال : فأقبل اميرالمؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو هذا انه الإمام الّذى أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء .

٦ـ روى الصفّار رضوان الله تعالى عليه في بصائر الدرجات باسناده عن الأصبغ

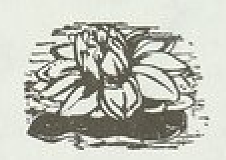
بن نباتة قال : قال : لمّا قدم علي عليه السلام الكوفة صلّى بهم اربعين صباحاً فقرأ بهم سبّح اسم ربّك الأعلى فقال المنافقون والله ما يحسن أن يقرأ ابن ابيطالب القرآن.

ولواحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السّورة ، قال : فبلغه ذلك فقال : ويلهم إنّي لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وفصله ووصله وحروفه من معانيه والله ماحرف نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله الا" وانا أعرف فيمن انزل وفي أي" يوم نزل وفي اى" موضع نزل ، ويلهم أما يقرؤن « ان" هذا لفي الصّحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » وانّها عندى ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله من ابراهيم وموسى .

ويلهم والله انّي أنا الّذى أنزل الله فىّ « وتعيها اذن واعية» فانّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فاوعيه ويفوتهم فاذا خرجنا قالوا : ماذاقال : آنفاً .

اقول : رواه العياشي في تفسيره .

وان" الروايات الواردة في الجملة الاخيرة عن طريق العامة كثيرة نوردها في محلّها انشاءالله تعالى فانتظر .



على امير المؤمنين عليه السلام

هو القرآن الناطق

انّ الروايات الواردة فى ذلك عن طريق العامة كثيرة جداً نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٦٩ ط اسلامبول) مالفظه : وفى المناقب : ولمّا اراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفّين قال الإمام علي رضى الله عنه : أنا القرآن الناطق .

٢ـ روى النسائى فى (الخصائص ص ٤٨ ط التقدم بمصر) باسناده عن زرّ بن حبيش انّه سمع علياً رضى الله عنه يقول : أنا فقأت عين الفتنة لولا انا ما قوتل أهل النهروان واهل الجمل ولولا انّى أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالّذى قضى الله على لسان نبيّكم لمن قاتلهم مبصراً ضلالتهم عارفاً بالهدى الذى نحن عليه .

رواه سنداً ومتناً جماعة منهم :

١ـ أبوعبدالله محمّد بن عثمان البغدادى فى (المنتخب من صحيحى البخارى ومسلم ص٢١٦) .

٢ـ الامر تسرى الحنفى فى (ارجح المطالب ص ٤٨ و٦٣٦ ط لاهور) .

٣ـ روى النبهانى فى (الشرف المؤبّد ص ١١٣ ط القاهرة) ما لفظه : و أخرج إبن أبى شيبة وأبو نعيم انه رضى الله عنه قال على منبره : أما انى فقئت عين الفتنة وانّى وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله ثم قال : سلونى فانّكم لاتسئلونى عن شيء فيما بينكم وبين الساعة

إلاّ حدثتكم .

وغيرها من الروايات عن طريقهم تركناها للاختصار .

ونختم البحث بذكر نبذة ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

١ـ روى الصفّار قدس سره في بصائر الدرجات باسناده عن ابي الحجاز قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ختم مأة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي وختمت انا مأة ألف وصيّ وأربعة وعشرين الف وصيّ و كلّفت ما تكلّفت الأوصياء قبلي والله المستعان فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه : لست أخاف عليك أن تضلّ بعد الهدى ولكن اخاف عليك فسّاق قريش وعاديتهم حسبنا الله و نعم الوكيل على أنّ ثلثي القرآن فينا وفي شيعتنا فما كان من خير فلنا ولشيعتنا والثلث الباقي اشركنا فيه الناس فما كان من شرّ فلعدوّنا ثم قال : « هل يستوى الّذين يعلمون والذين لايعلمون » الاية .

فنحن أهل البيت وشيعتنا اولوا الالباب والذين لايعلمون عدوّنا وشيعتنا هم المهتدون .

٢ـ روى العياشي قدس سره في تفسيره عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال : قال علي عليه السلام : ما بين اللوحين شيء إلاّ وأنا أعلمه .

٣ـ روى الصّدوق رضوان الله تعالىٰ عليه في الأمالي باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال : لمّا جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متنعّلاً نعل رسول الله صلى الله عليه وآله متقلّداً سيف رسول الله فصعد المنبر فجلس عليه متحنّكاً ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه .

ثمّ قال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله هذا مازقني رسول الله زقّاً زقّاً سلوني فانّ عندي علم الاولين والاخرين .

أما والله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّى تنطق التوراة فتقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما انزل الله فيّ .

وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتّى ينطق الإنجيل فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما انزل الله فيّ .

وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما انزل الله فيّ .

وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ولولا آية في كتاب الله عزوجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الاية « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب » .

ثم قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني فوالّذى فلق الحبّة وبرء النسمة لو سئلتموني عن آية آية في ليل انزلت أو في نهار انزلت مكّيّها ومدنيّها سفريها وحضريها ناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها إلاّ أخبرتكم فقام إليه رجل يقال له : ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال : لقد ارتقى ابن ابيطالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم لكم في مسئلتي إيّاه فقال : يا اميرالمؤمنين هل رايت ربّك ؟

فقال : ويلك يا ذعلب لم اكن بالّذى أعبد ربّاً لم أره قال : فكيف رأيته ؟ صفه لنا قال : ويلك لم ترهالعيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان .

ويلك يا ذعلب انّ ربّي لايوصف بالبعد لابالحركة ولابالسكون ولابقيام قيام انتصاب ولابجيئة ولابذهاب لطيف اللطافة لايوصف باللطف عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لايوصف بالكبر جليل الجلالة لايوصف بالغلظ رؤف الرحمة لايوصف بالرقة مؤمن لابعبادة مدرك لابمجسة قائل لابلفظ هوفي الأشياء على غير ممازجة خارج منها على غير مباينة فوق كلّ شيء ولايقال : شيء فوقه أمام كل شيء .

ولا يقال له : أمام داخل في الاشياء لا كشيء في شيء داخل وخارج منها لا كشيء من شيء خارج فخرّ ذعلب مغشياً عليه ثمّ قال : تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب والله لاعدت إلى مثلها الحديث . . .

الامام علي امير المؤمنين عليه السلام
وفاتحة الكتاب

أورد في ذلك جماعة من أعلام العامة روايات عديدة في أسفارهم نشير الى ما يسعه المقام :

١ـ روى الشعراني في (لطائف المنن ج ١ ص ١٧١ ط مصر) .

عن علي بن أبيطالب رضي الله تعالى عنه و كرّم وجهه انّه كان يقول : لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى (الباء) .

٢ـ روى القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة ص٦٩ و٤٠٨ ط اسلامبول) ما لفظه :

وفي الدار المنظم : اعلم أنّ جميع اسرار الكتب السماويّة في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في باء البسملة وجميع ما في باء البسملة في النقطة الّتي هي تحت الباء قال الإمام علي كرّم الله وجهه أنا النقطة الّتي تحت الباء .

وقال أيضاً : العلم نقطة كثّرها الجاهلون والألف وحدة عرفها الراسخون .

٣ـ روى ابن الآلوسيّ البغداديّ في (جلاء العينين ص ٧٠ ط بغداد) ما لفظه :

في حقّ علي عليه السلام هو باب مدينة العلم والنقطة تحت الباء .

٤ـ روى القندوزيّ الحنفيّ في (ينابيع المودّة ص ٤٠٨ ط اسلامبول) .

قال إبن عبّاس : أخذ بيدي الإمام علي ليلة فخرج بي إلى البقيع وقال : إقرأ

يا ابن عبّاس فقرأت : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

فتكلّم فى أسرار الباء الى[١] بزوغ الفجرة .

٥ - روى الامر تسرى الحنفى[٢] فى (أرجح المطالب ص١١٣ ط لاهور) .

عن ابن عبّاس انّه قال : يشرح لنا علي رضى الله عنه نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبّح و هو بعد لم يفرغ فرأيت نفسى فى جنبه كالفوارة فى جنب البحر المتلاطم . (المثعجر خ) .

٦- روى إبن الاثير فى (النهاية ج١ فى حرف الثاء كلمة (ثعجر) ط الخيرية بمصر) .

عن إبن عباس : « فاذاً علمى بالقرآن فى علم علي كالقرارة فى المثعنجر) .

قال المثعنجر : هو أكثر موضع فى البحر ماء[٣] والقرارة : الغدير الصغير .

٧- محمّد بن طلحة الشافعى فى (مطالب السؤول ص ٢٦ ط تهران ما لفظة :

قال علي رضى الله عنه مرّة : لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم .

٨- روى الهروى فى (شرح عين العلم وزين الحلم ص ٩١) : ما لفظه قال علي رضى الله عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب .

رواه جماعة من أعلام العامة :

١- الميبدى فى (شرح ديوان أمير المؤمنين ص ١٥) .

٢- الكاكوردى فى (الروض الازهر ص ٣٣ ط حيدر آباد الدكن) .

٣- القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٦٥ ط اسلامبول) .

وغيرهم تركنا ذكرهم رعاية للاختصار .

٩- روى النبهانى فى (الشرف المؤبّد ص ٥٨ ط مصر) .

عن ابن عباس قال : قال لى علي عليه السلام : يابن عباس إذا صلّيت العشاء الاخرة فالحق الجبانة قال : فصلّيت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال : فقال لى ما تفسير الالف من الحمد ؟ قلت : لاأعلم فتكلّم فى تفسيرها ساعة تامّة ثم قال : ما تفسير الحاء من الحمد ؟ قال : قلت : لاأعلم فتكلّم فيها ساعة تامّة ثم قال : ما تفسير الميم من الحمد ؟ قال : قلت : لا أعلم ، قال : فتكلّم فى تفسيرها ساعة تامّة ، قال : فما تفسير الدال من

الحمد ؟ قال : قلت : لأدرى فتكلّم فيها إلىٰ أن بزغ عمود الفجر قال : وقال لى : قم يابن عباس إلىٰ منزلك فتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت ما قال .

ثم تفكّرت فاذاً علمى بالقرآن فى علم علي كالقرارة فى المثعنجر ، قال : القرارة : الغدير الصغير والمثعنجر : البحر .

١٠- روى احمد زينى دحلان الشافعى مفتى مكّة المكرّمة فى (السيرة النبويّة المطبوعة بهامش السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ١١ ط القاهرة) .

عن إبن عبّاس قال : كلّما تكلّمت به فى التفسير فانّما أخذته عن عليّ كرّم الله وجهه .

اقول : رواه جماعة من أعلام العامة منهم :

١- الشيخ عبدالحق الغرناطى فى (الجامع المحرر ص ٢٦٣ ط القاهرة) .

٢- الحلبى الشافعى فى (السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٢٠٧ ط القاهرة) .

٣- المناوى فى (شرح الجامع الصغير ص ٢٤٧) وغيرهم .

١١- روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٤٠٨ ط اسلامبول) ما لفظه : وقد أرسل هرقل ملك الروم رسولاً إلىٰ عمر بن الخطّاب يسئله عن خواص سواقط الفاتحة وأسرارها فأخبره بها علي رضىالله عنه فحصل لرسول ملك الروم غم وحزن لمعرفة الإمام علىٰ أسرار هذه الحروف .

١٢- روى الطبرى فى (الرياض النضرة ج ٢ ص١٩٤ ط محمّد امين الخانجى بمصر) عن إبن عباس وقد سئله الناس فقالوا : أيّ رجل كان علياً ؟ قال : كان ممتلاً جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

رواه الامر تسرى الحنفى فى (أرجح المطالب ص ١٠٠ ط لاهور) .

١٣- روى الحافظ ابن عبدالبر فى (الاستيعاب ج٢ ص٤٦٢ ط حيدر آباد الدكن) .

باسناده عن عبدالله بن عبّاس قال : والله لقد أعطى عليّ بن أبيطالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركم فى العشر العاشر .

رواه جماعة منهم :

١ـ الطبرى فى كتابيه (ذخائر العقبى ص ٧٨ ط مكتبة القدسى بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ ط محمد أمين الخانجى بمصر) .

٢ـ إبن الاثير فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ ط مصر) .

٣ـ السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) .

١٤ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ٥٥ ط تبريز) .

باسناد، عن إبن عباس قال : العلم ستّة أسداس لعليّ بن ابيطالب من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس واحد ولقد شركنا فى السدس حتّى لهو أعلم به منّا .

رواه جماعة منهم :

١ـ الزرنديّ فى (فرائد درر السمطين ص ١٢٨ ط مطبعة القضاء) .

٢ـ الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ص ٤٣ ط الغرى) .

٣ـ الحموينى فى (مناهج الفاصلين ص ٢١٨) .

١٥ روى أبو عثمان الجاحظ فى (البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٤٧ ط الاستقامة بمصر) .

قال إبن عبّاس : كان علي عليه السلام والله مملوءاً حلماً وعلماً غرته سابقته وقرابته وكان يرى انّه لايطلب شيئاً الاّ قدر عليه قلت اكنتم ترونه محدوداً قال : انتم تقولون ذلك .

رواه ابن عبدالبر فى (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٣ ط حيدر آباد الدكن) .

١٦ـ روى الامر تسرى الحنفى فى (أرجح المطالب ص ٤٧ ط لاهور) .

عن ربعى بن خراش قال : استأذن عبدالله بن عباس إلى معاوية وقد تحلقت عنده بطون قريش وسعيد بن العاص جالس عن يمينه فنظر إليه معاوية مقبلاً قال : ياسعيد الا تعين إبن عباس مسائل بجوابها قال له سعيد :

مثل ابن عباس يعيى بمسائلك ؟

فلما جلس قال معاوية : ما تقول فى عليّ ؟ قال : رحم الله أبا الحسن كان والله علم الهدى، و كهف الورى، وطود النهى، ومحل الحجى، ومنبع الندى، ومنتهى العلم للزلفى ولونه أسفر فى ظلم الدّجى .

١٧- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص٢٧٢ ط تبريز) .

باسناده عن مغيرة قال : لمّا جاء معاوية خبر وفاة علي عليه السلام وهو قائل مع امرأته بنت قرظة في يوم صائف قال : انّا لله وانّا إليه راجعون ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير قالت لـه امرأته : تسترجع عليه اليوم قال : ويلك ما تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه .

١٨- روى الحمويني في (فرائد السمطين) باسناده عن مغيرة قال : جاء نعي علي بن ابيطالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت ورطة فقعد باكياً مسترجعاً فقالت له فاختة انت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي فقال ـــــ : ويحك إنّما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه .

رواه الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ١٣٤ ط مطبعة القضاء)

وإبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٨ ص١٥ ط القاهرة) .

و فيه قال معاوية : ويحك إنّما أبكي لما فقد الناس من علمه وحلمه وفضله وسوابقه وخيره .

١٩- روى الامر تسرى في (أرجح المطالب ص١٠٧ ط لاهور) .

عن أبي الحازم قال : جاء رجل إلى معاوية فسئله عن مسئلة فقال : سل عنها علي بن أبيطالب فهو أعلم فقال : يا اميرجوابك فيها أحب لي من جواب علي قال : بئس ما قلت لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغرزه العلم غرزاً لقد قال له : انت منّي بمنزلة هارون من موسى الا انّه لانبي بعدي وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه .

٢٠- **اقول:** نختم البحث بذكر ما قال الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن والحديث بتخصّص الدعوة والارشاد بكلّيّة أصول الدين في الجامعة الازهريّة في كتابه (مناهل العرفان ج ١ ص ٤٨٢ ط مطبعة الحلبي وشركاء بمصر الطبعة الثانية سنة ١٣٦١ هـ) ما لفظه :

«أكثر من روى عنه رواية التفسير علي بن أبيطالب عليه السلام والرواية عن الثلاثة

(ابى بكر وعمر وعثمان) قليلة جداً وعلّة ذلك امتاز به الإمام علي عليه السلام من خصوبة الفكر وغزارة العلم واشراق القلب» وقال في (هذا الكتاب ص ٤٨٦) ما لفظه :

«علي بن أبيطالب عليه السلام هو إبن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره على إبنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولد عليه السلام وشب ودرج في الاسلام فلم يسجد لصنم قط وكان لصلته الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وآله أثر عظيم في استناره نفسه وغزارة مادّته وسعة علمه بله ما وهبه الله من فطرة صافية وذكاء نادر وعقل موهوب حتّى ضرب به المثل في حلّ المشاكل فقيل : قضيّة ولا أباحسن لها » .

قال إبن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن إبيطالب عليه السلام .

ثم قال الزرقاني : و حسبك هذه الشهادة من ترجمان القرآن يعني ابن عباس .



جهل بعض الصحابة
بالقرآن الكريم و المعارف الاسلامية

إنّي ما كنت فى المقام بصدد إظهار جهل بعض الصحابة بالقرآن الكريم وبالمعارف الاسلاميّة ولكن علينا معاشر المسلمين المعرفة بمن عنده علم الكتاب فنرجع إليه فى أمردينا ودنيانا فانّ الله تعالى أمرنا بذلك فى قوله : « فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» النحل : ٤٣ .

وقال : وإذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف اذاعوا به ولوردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » النساء : ٨٣ .

وقد يجب علينا ايضاً المعرفة بمن لايعرف بالقرآن الكريم ولا بالمعارف الاسلامية لئلاّ يشتبه علينا الأمر فنشير إلى نبذة ما ورد فى ذلك من الروايات الكثيرة عن طريق العامة :

١ـ روى الحافظ أبوالفوارس فى (الأربعين ص١٣) باسناده عن الحسين بن علي عليه السلام انّه قال : ثور قتل حماراً على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرفع اليه صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى أناس من أصحابه منهم : أبوبكر وعمر وعثمان فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبابكر إقض بينهما فقال : يا رسول الله بهيمة قتلت بهيمة ما عليهما شىء فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : ياعمر إقض بينهما .

فقال : كقول أبى بكر صاحبه فالتفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام وقال له يا علي إقض بينهما فقال حبّاً وكرامة : إن كان الثور دخل على الحمار فقتله فى مستراحه ضمن أصحاب الثور دية الحمار و ان كان الحمار دخل على الثور فى

مستراحه فلاضمان على صاحب الثور فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الى السماء وقال: الحمدلله الذى منّ على العباد بمن يقضى قضاء النبيين .

رواه القندوزى الحنفى ملخصاً فى (ينابيع المودة ص ٧٦ ط اسلامبول) .

٢ـ روى الطبرى فى تفسيره (جامع البيان ج٥ فى آية التيمم النساء : ٤٣) .

باسناده عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى قال : كنّا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال : يا اميرالمؤمنين : إنّما نمكث الشهر والشهرين لانجد الماء فقال عمر : أمّا انا فلو لم أجد الماء لم اكن اصلّى حتى أجد الماء قال عمار بن ياسر : أتذكر يا اميرالمؤمنين حيث كنّا بمكان كذا وكذا ونحن نرعى الابل فتعلم أنّا اجنبنا؟ قال: نعم فامّا انا فتمرغت فى التراب فاتينا النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان كان الصعيد لكافيك وضرب بكفّيه الارض ثم نفخ فيهما ثم مسح وجهه وبعض ذراعيه فقال ـ عمرـ : إتق الله يا عمار فقال ـ عمّارـ : يا اميرالمؤمنين إن شئت لم اذكره فقال : لا ولكن نوليك من ذلك ما توليت .

٣ـ روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ١٢ ص ١٠٢ ط دار احياء الكتب العربية الحلبى وشركاه) :

فبينا عمر يوما جالس يغدّى الناس اذ جاءه الضبيع وعليه ثياب وعمامة فتقدم فأكل حتى اذا فرغ قال : يا اميرالمؤمنين ما معنى قوله تعالى : « والذاريات ذروا فالحاملات وقرا » ؟

قال : ويحك انت هو فقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته فاذا له ضفيرتان فقال : والذى نفس عمره بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ثم أمر به فجعل فى بيت ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مأة فاذا برأ أخرجه فضربه مأة أخرى ثم حمله على قتب وسيّره إلى البصرة وكتب الى أبى موسى ـ الاشعرى ـ يأمره أن يحرّم على الناس مجالسته وأن يقوم فى الناس خطيباً ثم يقول : إنّ ضبيعاً قد ابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضيعاً فى قومه وعند الناس حتّى هلك وقد كان من قبل سيّد قومه .

اقول : رواه السيوطى فى (الدر المنثور ج ٢ ص ٧ ط ايران) باختلاف يسير ، ورواه الالوسى فى (روح المعانى ج ٣ ص ٧٧) .

٤- روى ابن عبدالبر فى (الاستيعاب المطبوع بذيل الإصابة ج ٣ ص ٣٩ ط مصطفى محمد بمصر) ما لفظه :

قال : فى المجنونة التى أمر برجمها وفى التى وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي رضى الله عنه : إنّ الله تعالى يقول : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وقال له : إنّ الله رفع القلم عن المجنون الحديث . . فكان عمر يقول : لولا علي لهلك عمر .

اقول : رواه متناً وسنداً جماعة من أعلام العامة منهم :

المالقى فى (قضاة الاندلس ص ٧٣ دار الكاتبة بالقاهرة) .

والقندوزى فى (ينابيع المودة ص ٢١١ ط اسلامبول) .

٥- روى الحاكم النيسابورى فى (المستدرك ج١ ص٤٥٧ ط حيدر آباد الدكن) .

باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : حججنا مع عمر بن الخطاب فلمّا دخل الطواف إستقبل الحجر فقال : إنّى أعلم انك حجر لاتضرّ ولاتنفع ولولا انّى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قبّلك ما قبّلتك ثم قبّله فقال له علي بن ابيطالب بلى : يا عمر انّه يضرّ وينفع قال : بم ؟ قال : بكتاب الله تبارك وتعالى قال : واين ذلك من كتاب الله ؟ قال : قال الله عزوجل : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » .

خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرّرهم بانه الرب وانهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك فى رقّ وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له : افتح فاك ففتح فاه فالقمه ذلك الرّق وقال : اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة وانّى اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيامة بالحجر الاسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد فهو يا عمر يضرّ وينفع فقال عمر : اعوذ بالله ان اعيش فى قوم لست فيهم يا باحسن .

رواه جماعة منهم :

١- الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ١ ص ٣٥٧ ط حيدر آباد).

٢- المتقي الهندي في (كنز العمال ج ٥ ص ٩٣ ط حيدر آباد الدكن).

٣- الطبري في (ذخائر العقبى ص ٨٢ ط القدسي بمصر).

٤- الاسحقي في (أخبار الاول ص ٣١) وغيرهم تركنا ذكرهم رعاية للاختصار .

٥- روى المحدث إبن حسنويه الحنفي الموصلي في (در بحر المناقب ص ٧٦) باسناده عن انس بن مالك قال : دخل يهودي في زمن خلافة أبي بكر فقال : اريد خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاؤا به إلى ابيبكر فقال له اليهودي : انت خليفة رسول الله ؟ قال : نعم أما تنظرني في مقامه ومحرابه قال له : إن كنت كما تقول يا أبابكر فاسئلك عن أشياء قال : اسئل عما بدالك وما تريد . .

فقال اليهودي : أخبرني عما ليس لله ؟ وعما ليس عند الله ؟ وعما لا يعلمه الله ؟ قال أبو بكر عند ذلك : هذه مسائل الزنادقة يا يهودي قال : فعندهم هم المسلمون بقتل اليهودي و كان ممن حضر ذلك ابن عباس فزعق بالناس وقال : يا أبابكر ما انصفتم الرجل قال : سمعت ما تكلم به ؟ قال ابن عباس : فان كان يرد جوابه وإلا فاخرجوه حيث شاء من الارض قال : فاخرجوه وهو يقول : لعن الله قوماً جلسوا في غير مراتبهم يريد قتل النفس التي حرم الله بغير علم .

قال : فخرج وهو يتكلم ويقول : ايها الناس ذهب الاسلام حتى لا يجيبوا عن مسئلة اين رسول الله ؟ واين خليفة رسول الله ؟ فتبعه ابن عباس وقال له : ويلك اذهب إلى عتبة علم النبوة إلى منزل علي بن أبي طالب عليه السلام قال : فعند ذلك خرج أبو بكر والمسلمون في طلبه فلحقوه في بعض الطريق فأخذوه وجاؤا به إلى امير المؤمنين عليه السلام .

فاستأذنوا عليه ثم دخلوا إليه وقد ازدحم الناس قوم يضحكون وقوم يبكون قال : فقال أبو بكر : يا أباالحسن إن هذا اليهودي سئلني عن مسائل الزنادقة فقال

الامـام عليه السلام : ما تقول يا يهودى ؟ قال اليهودى : اسئلك وتفعل بى ما اراد هؤلاء ان يفعلوا بى قال : واى شيء ارادوا ان يفعلوا بك ؟ قال : ارادوا أن يذهبوا بدمى .

قال عليه السلام : دع هذا وسل عمّا شئت فقال : سؤالى لايعلمه الا نبى او وصى نبى . قال : اسئل عمّا تريد قال اليهودى : انبئنى عمّا ليس لله ؟ وعمّا ليس عندالله ؟ وعمّا لا يعلمه الله ؟

قال له علي عليه السلام : على شرط يا أخا اليهود قال : وما هو الشرط ؟ قال : تقول : معى قولاً عدلاً مخلصاً : « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله » .

قال : نعم يا مولاى قال : يا أخا اليهود أمّا قولك : ما ليس عندالله فليس عندالله ظلم فقال : صدقت يا مولاى وأمّا قولك : ما ليس لله فليس له صاحبة ولاولد ولاشريك قال : صدقت يا مولاى وأمّا قولك : ما ليس يعلمه الله ما يعلم الله ان له صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً ولا وزيراً وهو قادر على ما يشاء ويريد فعند ذلك قال : مد يدك فأنا :

« اشهدأن لا اله الا الله وان محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وانك خليفته حقاً و وصيه و وارث علمه فجزاك الله عن الاسلام خيراً قال : فضج الناس عند ذلك فقال أبوبكر : يا كاشف الكربات انت يا علي فارج الهم قال : فعند ذلك خرج ابوبكر ورقى المنبر وقال : « اقيلونى فلست بخيركم وعلي فيكم » قال : فخرج عليه عمر وقال : يا ابابكر ما هذا الكلام ؟قال : فقد ارتضينا لانفسنا ثم انزله عن المنبر فاخبر اميرالمؤمنين عليه السلام بذلك .

رواه بادنى تفاوت ابن دريد البصرى فى كتابه (المجتنى ص ٤٤ ط حيدر آباد الدكن) .

وغيرهامن الروايات الواردة فى ذلك لايسعها المقام نوردها انشاء الله تعالى فى محلها المناسب .

أقول : والله وبالله وتالله ليس لى غرض الا الحق وإحقاقه بعدالتحقيق وبذل الوسع غايته فى سبيله مستعيناً بالله ومستمداً من حوله وقوته جل وعلا .

قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩.

ولقد وجدت من مآخذ العامة واسفارهم ـ التي وقفت منها الى الآن نحو خمسة آلاف مجلدة ـ روايات كثيرة واردة باسانيد عديدة في فضائل علي بن أبيطالب ومناقب اهل بيت الوحي عليهم السلام وشيعتهم وفي مطاعن الخلفاء الذين هم ادّعوا الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ومن سلك مسلكهم التي نشير اليها بحول الله وقوته تعالى في محلها المناسب في هذا التفسير تهدي كل من اهتدى وتكفي كل عاقل سليم القلب بري من العصبية الجهلاء إلى أن الله تعالى إختار علياً عليه السلام وجعله وزيراً ووصياً وخليفة لرسول صلى الله عليه وآله وأمره بابلاغه وان علياً ابن أبيطالب هو اوّل خليفة الرسول صلى الله عليه وآله بعده ثم الأئمة احدى عشر واحداً بعد واحد من اهل البيت عليهم السلام وما كان لمن ادّعى الخلافة شأن فيها والى ان الذين ادّعوها صدّوا الناس عن سبيل الله وأو جدوا الفرقة في الاسلام فانحط المسلمون بها ما انحطّوا كما نرى.

و تلك الروايات تصرح ان منصب الخلافة لعلى بن ابيطالب عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله كان منصباً الهياً وكانت بيعة الخلفاء فلتة وما كانوا يليقين لذلك ولكنّهم تصدّوا قهراً واستبداداً وتصرح ان علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان حائزاً لجميع الشؤون الكريمة والفضائل والعصمة إلا النبوّة ومايلازم تلك المرتبة الساميّة ...

وان علياً ابن أبيطالب عليه السلام كان حجّة بالغة منصوباً من قبل الله تعالى على الامّة المسلمة وكان واسطة بينهم وبين النبى صلى الله عليه وآله في إلقاء تفاصيل الأحكام وتعليم المعارف الاسلاميّة السماويّة الربانيّة وتفاسير القرآن الكريم وإرقاء الناس إلى مدارج العبوديّة درجة بعد درجة وإيصالهم الى مراتب العلم والعمل والفضيلة مرتبة بعد مرتبة..

وكان علي عليه السلام مظهراً بشراشر وجوده للعبوديّة والطاعة وكان ما يصدر عنه من الأفعال والأقوال سنداً وحجة وتبياناً لأحكام الشرع ومقياساً وميزاناً لحدود الدين.

وكان هو يد ورمع الحق والحق يدور معه وهو آية رحمانيّة مؤيّدة من عندالله تعالى بالكرامات والمعاجز وصنوف الخوارق باذن الله تعالى.

وكان هو ملجاء الناس فى مهامّ أمورهم الدنيوية والاخروية فلا بدّ لهم ان يهتدوا بهداه ويستضيئوا بنوره..

كيف وهو عليه السلام رحمة موصولة وآية مخزونة وامانة محفوظة والباب المبتلى به الناس راع للأمّة وكان يتصدّى لتدبير أمورهم وإنتظام معاشهم ويحكم بينهم بالعدل ويجرى فيهم الحدود وكان عزّاً للمؤمنين وذلاً للكافرين وخصماً للظالمين وعوناً للمظلومين وحافظاً لبيت المال باذلاً له فى مصارفه المقرّرة الشرعيّة ممتنعاً عن صرف حبّة منه فى سبيل الأهواء والأميال...

وكان قائماً بنشر الاسلام والدعوة اليه قولاً وعملاً وكان علماً بين الأمّة تجسّم فيه العلم والتقوى والفضيلة.

وكان هو بكل وجوده وتمام هويّته يسوق الرعية إلى مدارج الفضل والتقى ويدعوهم إلى دار السلام سوقاً تقتضيه الفطرة البشرية، فانّ الطبائع مجبولة على اتّباع قائدها وسائقها فى الأفعال والآداب...

وهو يدعو ملل الدنيا بأبلغ دعوة وأوفى بيان الى حقانيّة الدين والاسلام الذى يدان به الله تعالى.

وكم فرق بين الدعوة: الدعوة بالعلم والعمل وبين الدعوة بالقول واللسان وكان هو قطب الدين ولسان الصدق وكان هو مصلح الدين ومحييه وناصره ومعينه ونصيره ووليّه...

وتصرح: تلك الروايات الواردة عن طريق العامة:

انّ عليّاً اميرالمؤمنين عليه السلام كان ذا صفات فاضلة وكرائم شريفة - شريف النسب كريم الحسب منهاج الهدى والمحجة البيضاء والطريقة الوسطى مقتدى الورى ومصباح الدجى وعلم التقى وصاحب الحجى وكهف الورى ووارث الانبياء والمثل الاعلى والدعوة الحسنى وحجة الله على اهل الآخرة والاولى.

و تصرح : انّ علي بن ابيطالب عليه السلام كان محلّ معرفة الله ومسكن بركته ومعدن حكمته وحافظ سرّه وحامل كتابه .

وبيده راية الله والدليل على مرضاته المستقر فى أمره والمخلص فى توحيده عبده المكرم الذى لايسبقه بالقول والعمل يعمل بامره .

وكان هو عليه السلام اهل الذكر وعالماً دون النبى صلى الله عليه وآله فوق الخلق كلّه وكان هو عليه السلام جرثومة الفضل الذى يسئل عنه فى المعاضل ولايسئل هو عن غير النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان هو الصراط المستقيم والنجم اللائح والقوام بامر الله الذى اصطفاه بعلمه وارتضاه لغيبه واختاره لسرّه واجتباه بقدرته اعزّه بهداه وخصّه ببرهانه انتجبه لنوره .

وايّده بروحه رضيه خليفة فى ارضه وجلّله بكرامته غشاه برحمته وربّاه بنعمته غذاه بحكمته وألبسه بنوره و كرامته رفعه فى ملكوته حفظه بملائكته و عصمه بقدرته .

جعله ناصراً لدينه وحافظا لسرّه وخازناً لعلمه مستودعاً لحكمته وترجماناً لوحيه مناراً فى بلاده دليلاً على صراطه ومفزعاً لمظلوم عباده ناصراً لمن لايجد له ناصراً مشيداً لاعلام الدين يشعب الصدع ويرتق الفتق ويميت الجور ويظهر العدل يقتل الجبابرة ويهدم الكفر وأساسه ويقصم رؤس النفاق والضلالة . . .

و تصرح : انّ على بن أبيطالب عليه السلام كان يعظم جلال الله ويكبر شأنه و يمجد كرمه ويديم ذكره ويؤكّد ميثاقه ويحكم عقد طاعته وينصح له فى السرّ والعلانية ويدعو الناس إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويبذل نفسه فى مرضاته ويصبر على ما اصابه فى جنبه .

يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد فى الله حق جهاده حتّى يعلن دعوته ويبين فرائضه ويقيم حدوده وينشر شرائع أحكامه .

فمن اجتمعت فيه تلك الخصال والكرائم سعد والله من والاه واتخذه مولاه و خاب من أعرض عنه وعاداه خسرت صفقة عبد أعرض عنه ونآى بجانبه شقى من

آثر واختار غيره عليه والله جلّ وعلا ضلّ واضلّ من تجمل و تبغل ومن حزب الأحزاب والجموع .

فانشدكم ايها الاخوان المسلمون بالله القادر المتعال وبحق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هل يجوز لدى العقل الذي أودعه الله تعالى في الانسان لتمييز الحق من الباطل وطريق الهدى من الضلالة اتباع من كان خالياً عن تلك الخصال واتخاذهم قائدين وائمة في الدين ونبذ من اجتمعت فيه تلك الكرائم الفاضلة .

وحتى متى الرقود والى متى التقليد على عمياء والعصبية الجهلاء .

اللهم اهدنا الى صراطك المستقيم بحق حبيبك محمد وآله المعصومين .



ان علياً عليه السلام على بينة واضحة وهو الصراط المستقيم

إنّ الروايات الواردة في ذلك عن الطريقين كثيرة جداً لا يسعها المقام فنشير إلى نبذة منها وما ورد عن طريق العامة :

١ـ روى الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص٣٥) عن عبدالله بن نجيّ قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : ماضللت ولا ضلّ بي وما نسيت ما عهد إليّ وإنّي لعلى بيّنة من ربّي بيّنها لنبيّه صلى الله عليه وآله وبيّنها لي وانّي لعلى الطريق .

٢ـ روى إبن المغازلي الواسطي الشافعيّ في (مناقبه) عن زيد بن أرقم قال : كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ألا ادلّكم على من لو استرشدتموه لن تضلّوا ولن تهلكوا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : هو هذا وأشار إلى علي بن أبيطالب ثمّ قال : وآخوه و وازروه وصدّقوه وانصحوه فانّ جبرئيل أخبرني بما قلت لكم .

٣ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ٢٥٠ ط اسلامبول) .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لن تضلّوا ولن تهلكوا وأنتم في موالاة علي رضي الله عنه وإن خالفتموه فقد ضلّت بكم الطرق والأهواء في الغيّ فاتقوا الله فانّ ذمّة الله علي بن أبيطالب .

أقول: رواه الكشفي في (المناقب المرتضوية ص ١١٣ ط بمبئي) .

٤ـ روى الطبري في كتابيه (ذخائر العقبى ص ٦١ ط مكتبة القدسي بمصر) و(الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٤ ط الخانجي بمصر) .

عن عمر بن الخطّاب قال : قال رسول الله ﷺ : ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي رضي الله عنه يهدى صاحبه إلى الهدى ويردّه عن الردّى .

ثم قال : أخرجه الطبراني .

أقول : رواه القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٠٣ ط اسلامبول) والامر تسري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٩٨ لاهور) .

٥ ـ روى الحافظ عبدالرحمن الرازي في (الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٧٣ ط حيدرآباد الدكن) عن شراجيل بن مرّة قال : سمعت النبي ﷺ يقول لعليّ رضي الله عنه : أبشر فانّ حياتك وموتك معي .

رواه جماعة منهم :

١ـ إبن عساكر في (تاريخه) .

٢ـ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢ ط مكتبة القدسي بمصر) .

٣ـ إبن حجر العسقلاني في (الاصابة ج٢ ص١٤٠ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) .

٤ـ إبن عساكر أيضاً في (التهذيب ج ٤ ص ٨٥ ط روضة الشام) .

٥ ـ المناوي في (كنوز الحقائق ص ٢٠٢ ط بولاق بمصر) .

٦ـ البدخشي في (مفتاح النجاص ٤٦) .

٧ـ الهندي في(منتخب كنزالعمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص٣٣ ط مصر

٨ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ٨٣ ط اسلامبول) .

٦ـ روى الطبري في كتابيه (ذخائر العقبى ص ٩٨ ط مكتبة القدسي بمصر) و(الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩ ط الخانجي بمصر) .

عن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ : يا علي يدك في يدى تدخل معي يوم القيامة حيث أدخل .

أقول: رواه جماعة منهم :

١ـ الهندي في (منتخب كنزالعمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٣٥ ط الميمنية بمصر) .

٢ـ البدخشي فى (مفتاح النجا ص ٤٦).

٣ـ الحضرمى فى (القول الفصل ج٢ ص ٣٠ ط جاوا) .

٤ـ الكاظمى الهندى فى (الروض الأزهر ص ٩٨ ط حيدرآبادالدكن).

٥ ـ الامرتسرى الحنفى فى(أرجح المطالب ص٦٥٨ ط لاهور) .

٦ـ روى الحاكم الحسكاني الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ١ ص ٥٧ ط بيروت) باسناده عن أبى بريدة فى قول‌الله : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : صراط محمد وآله .

٧ـ وفيه باسناده عن إبن عباس فى قول‌الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : يقول : قولوا معاشر العباد : اهدنا إلى حب النبي وأهل بيته .

٨ـ وفيه باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله لعلى بن أبيطالب : أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم وأنت يعسوب المؤمنين .

٩ـ وفيه باسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله جعل علياً وزوجته و أبناه حججه (حججالله خ) على خلقه وهم ابواب العلم فى امتى من اهتدى بهم هدى إلى صراط مستقيم .

١٠ـ وفيه باسناده عن جابر بن عبدالله الانصارى قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : اهتدوا بالشمس فاذا غاب الشمس فاهتدوا بالقمر فاذا غاب القمر فاهتدوا بالزهرة فاذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدين فقيل : يا رسول‌الله ما الشمس ؟ وما القمر ؟ وما الزهرة ؟ وما الفرقدان ؟

قال : الشمس أنا والقمر علي والزهرة فاطمة والفرقدان الحسن و الحسين عليهم السلام .

١١ـ وفيه باسناده عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله انه قال : من سره (من اراد خ) أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب فليتول وليى ووصيى وصاحبى وخليفتى على أهلى علي بن أبيطالب ومن سره (ومن أراد خ) ان يلج النار فليترك ولايته فوعزة ربى وجلاله انه لباب‌الله الذى لايؤتى الا منه وانه

الصراط المستقيم وانّه الّذى يسئل الله عن ولايته يوم القيامة .

١٢ـ وفيه باسناده عن سلام بن المستنير الجعفى قال : دخلت على أبى جعفر ـ يعنى الباقر ـ فقلت : جعلنى الله فداك انّى أكره أن اشق عليك فان إذنت لى أن أسئلك كذا فقال : سلنى عمّا شئت فقلت : أسئلك عن القرآن ؟

قال : نعم قلت : قول الله تعالى في كتابه : «هذا صراط على مستقيم » الحجر:٤١)

قال : صراط علي بن ابيطالب فقلت : صراط علي بن أبيطالب ؟ فقال : صراط علي بن ابيطالب .

١٣ ـ وفيه عن عبدالله بن سليمان قال : قلت لأبى عبدالله : «قد جائكم برهان من ربكم » النساء : ١٧٤) قال : البرهان محمّد والنور علي والصراط المستقيم علي .

١٤ـ وفيه باسناده عن أبى جعفر قال : آل محمّد الصراط الّذى دلّ الله عليه .

١٥ ـ وفيه باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الصراط الّذى قال ابليس : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم» الاعراف : ١٦) فهو على .

١٦ـ وفيه باسناده عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وان تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم .

وفي رواية اخرى يقيمكم على صراط مستقيم .

١٧ـ وفيه باسناده عن زيد بن أسلم فى قول الله تعالى : « صراط الذين انعمت عليهم » قال : النبى ومن معه وعلي بن ابيطالب وشيعته .

وغيرهم تركناهم رعاية للاختصار .

وأما ماورد فى ذلك عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثيرة لا يسعها المقام فنشير الى نبذة منها :

١ـ روى الصفّار رضوان الله تعالى عليه فى بصائر الدرجات باسناده عن الثمالى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله تعالى : « هذا صراط علي مستقيم » الحجر : ٤١) .

قال : هو والله علي عليه السلام هو والله الصراط والميزان .

٢ـ روى العيّاشي رضوان الله تعالى عليه فى تفسيره عن عبدالله بن سليمان قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قوله : « قد جاء كم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً » قال : البرهان محمد صلى الله عليه وآله والنور علي عليه السلام .

قال : قلت له : « صراطاً مستقيماً » النساء : ١٧٥) ؟

قال : الصراط المستقيم علي عليه السلام .

٣ـ روى إبن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه في (المناقب) عن الثمالى عن أبي جعفر عليه السلام فى قوله تعالى « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم» الزخرف : ٤٣) .

قال : انك على ولاية علي عليه السلام وهو الصراط المستقيم ومعنى ذلك ان علي بن أبيطالب عليه السلام الصراط الى الله الحديث . . .

٤ـ روى الصدوق رحمه الله تعالى فى معانى الاخبار عن عبيدالله الحلبى عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصراط المستقيم أمير المؤمنين .

٥ ـ روى المجلسى قدس سره فى البحار عن الطرائف : روى الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازى باسناده إلى قتادة عن الحسن البصرى قال : كان يقرأ هذا الحرف صراط علي مستقيم» فقلت للحسن : وما معناه ؟ قال : يقول : هذا طريق علي بن أبيطالب ودينه طريق ودين مستقيم فاتبعوه وتمسكوا به فانه واضح لاعوج فيه .

٦ـ روى الاربلى فى كشف الغمة عن إبن مردويه فى قوله تعالى : « هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم» النحل : ٧٦ .

عن ابن عباس هو علي عليه السلام .

٧ـ روى الشيخ الطوسى رضوان الله تعالى عليه فى أماليه باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب ذات يوم فحمدالله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وآله قال : ايها الناس اسمعوا مقالتى وعوا كلامى ان الخيلاء من التجبر والنخوة من التكبر وان الشيطان عدو حاضر يعد كم الباطل ألا ان المسلم اخو المسلم فلا تنابزوا ولاتخاذلوا فان شرائع الدين واحدة وسبيلة قاصدة من أخذ بها لحق ومن تركها مرق ومن فارقها محق ليس المسلم بالخائن اذا ائتمن

ولا بالمخلف اذا وعد ولا بالكذوب اذا نطق نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الحق وفعلنا القسط ومنّا خاتم النبيّين وفينا قادة الاسلام وامناء الكتاب.

ندعوكم إلى الله ورسوله والى جهاد عدوّه والشدّة في امره وابتغاء رضوانه و إلى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء لاهله الحديث...

٨- في نهج البلاغة قال امير المؤمنين علي عليه السلام :

«ايّها النّاس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه».



الامام على بن ابيطالب عليه السلام

هو قيم القرآن الكريم والآخذ بسنة الرسول صلى الله عليه وآله

أورد في ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة باسانيد عديدة في مآخذهم وأسفارهم نشير الى نبذة منها رعاية للاختصار :

١ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣٥ ط تبريز) حديثاً طويلاً ـ إلى أن قال ـ رسول الله صلى الله عليه وآله : علي مولا كل مؤمن ومؤمنة وقال صلى الله عليه وآله له أنت العروة الوثقى وقال له أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي أنت الاخذ بسنتي والذاب عن ملتي .

٢ـ روى الحمويني في (فرائد السمطين) باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبيطالب رضي الله عنه : يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب وكذب من زعم انه يحبني ويبغضك لانك مني وأنا منك لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلانيتك من علانيتي وأنت امام امتي وخليفتي عليها بعدي .

سعد من أطاعك وشقي من عصاك وربح من تولاك وخسر من عاداك وفاز من لزمك وهلك من فارقك مثلك ومثل الائمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق ومثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم الى يوم القيامة .

٣ـ روى ابوبكر بن مؤمن الشيرازي في (رسالة الاعتقاد) باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من أراد منكم النجاة بعدي والسلامة من الفتن فليستمسك بولاية

علي بن ابيطالب فانه الصديق الاكبر والفاروق الأعظم وهو أمام كل مسلم بعدى من اقتدى به في الدنيا ورد على حوضي ومن خالفه لم يره ولم يرني فاختلج دوني وأخذ ذات الشمال إلى النار .

٤ ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٦ ط اسلامبول) ما لفظه : ومن خطبته ـ يعني علياً عليه السلام ـ : والله لو شئت إن اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله صلى الله عليه وآله ألا واني مفيضه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذى بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق إلا صادقاً ولقد عهد إلي ذلك كله و بمهلك من يهلك وبمنجي من ينجو ومآل هذا الأمر وما بقي شيء يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به الي .

ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة إلا وأسبقكم اليها ولا أنها كم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريقهم لايسعها المقام .

فنختم البحث بذكر الروايتين الواردتين عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

١ـ روى الكليني رضوان الله تعالى في الكافي باسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال للزنديق الذى سئله من اين اثبت الأنبياء والرسل؟

قال : انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه .

ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ومابه بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز وهم الانبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم

لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيّدين من عندالحكيم العليم بالحكمة.

ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلوا أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته.

٢- وفيه باسناده عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: انّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله قال: صدقت قلت: انّ من عرف انّ له ربّاً فينبغي له أن يعرف انّ لذلك الرب رضاً وسخطاً وانّه لايعرف رضاه ولاسخطه إلاّ بوحي أو رسول فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل فاذا لقيهم عرف انهم الحجّة وانّ لهم الطاعة المفترضة وقلت للناس: تعلمون انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان هو الحجّة من الله على خلقه؟

قالوا: بلى، قلت فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان الحجّة على خلقه؟ فقالوا: القرآن فنظرت في القرآن فاذا هو يخاصم به المرجّي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته فعرفت انّ القرآن لايكون حجّة الاّ بقيّم فما قال فيه من شيء كان حقّاً.

فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قدكان يعلم وعمر يعلم و حذيفة يعلم، قلت: كلّه؟ قالوا: لافلم أجد أحداً يقال: انّه يعرف ذلك كلّه الاّ عليّاً عليه السلام وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري وقال هذا: لاأدري وقال هذا: لا أدري.

وقال هذا: أنا ادري فاشهد انّ عليّاً عليه السلام كان قيّم القرآن وكانت طاعته مفترضة وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وانّ ماقال في القرآن فهو حق.

فقال: رحمك الله.

الصراط المستقيم
والولاية لائمة اهل بيت الوحى عليهم السلام

ان الروايات الواردة فى ذلك عن طريق العامة كثيرة لايسعها المقام ونحن على جناح الاختصار ولكن لاينبغى الترك تماماً لتماسها بالمقام فنشير إلى[١] نبذة منها عن الطريقين :

روى المير محمد صالح الكشفى الحنفى فى (مناقب مرتضوى ص ٤٩ ط بمبئى بمطبعة محمدى) ما لفظه :

« نقل عن المحدث الحنبلى فى قوله تعالى : « ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون » « ان الصراط هو محمد وآل محمد » .

« ونقل ابن مردويه عن علي كرم الله وجهه قال : ان الصراط المستقيم محبتنا اهل البيت » .

وروى الشيخ سليمان القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٢٤ ط اسلامبول) ما لفظه :

« اخرج الحموينى بسنده عن الاصبغ بن نباتة عن علي كرم الله وجهه فى هذه الاية قال : الصراط ولايتنا اهل البيت » .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريقهم نوردها فى محلها المناسب الاخر انشاءالله تعالى ونختم البحث ببعض ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية .

روى الكلينى رضوان الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال : قال اميرالمؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا

عن وصيّه ؟ لايتخوّفون أن ينزل بهم العذاب ثم تلا هذه الاية : «ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمةالله كفرا واحلّوا قومهم دارالبوار جهنم» .

ثم قال : نحن النعمة التي انعم الله بها علىٰ عباده وبنا يفوزمن فازيوم القيامة .

وفيه: باسناده عن أبي يوسف البزّاز قال: تلا أبو عبدالله عليه السلام هذه الاية: «واذكروا آلاءالله» قال : أتدري ما آلاءالله ؟ قلت لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا .

وفيه : عن عبدالرحمن بن كثير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : «ألم تر الى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً» الاية، قال : عنى بها قريشاً قاطبة الذين عادوا رسول الله صلى الله عليه وآله ونصبوا له الحرب وجحدوا وصيّة وصيه .

وفيه : باسناده عن أسباط بن سالم قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل هيت فقال له : أصلحك الله ما تقول في قول الله عزوجل : «انّ في ذلك لايات للمتوسمين» ؟ قال : نحن المتوسّمون والسبيل فينا مقيم .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل «ان في ذلك لايات للمتوسمين» فقال : هم الائمة عليهم السلام «وانها لسبيل مقيم» قال : لايخرج منا أبداً .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : «انّ في ذلك لايات للمتوسمين» قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله : المتوسّم وانا من بعده والائمة من ذريتي المتوسّمون .

وروى الصدوق رحمةالله تعالىٰ عليه في الامالي باسناده عن الحكم بن الصلت عن أبي جعفر محمد بن علي عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خذوا بحجزة هذا الانزع يعني علياً فانّه الصديق الاكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل من أحبّه هداه الله ومن أبغضه أبغضه الله ومن تخلف عنه محقه الله ومنه سبطا امتي الحسن والحسين وهما ابناى ومن الحسين أئمة الهدىٰ أعطاهم الله علمي وفهمي فتولّوهم ولاتتخذوا وليجة من دونهم فيحلّ عليكم غضب من ربكم ومن يحلل عليه غضب من ربه فقد هوىٰ وما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

بحث روائي
في تقسيم السورة الفاتحة بين الله تعالى وعباده

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في عيون الأخبار والأمالي باسناده عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبيطالب عن ابيه عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تبارك وتعالى: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سئل إذا قال العبد: «بسم الله الرّحمن الرّحيم» قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ على أن اتمّم له اموره وأبارك له في أحواله فاذا قال: «الحمد لله رب العالمين».

قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أنّ النعمة التي له من عندي وانّ البلايا التي ان دفعت عنه فبتطوّلي اشهد كم أنّي اضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة وارفع عنه بلايا الاخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا فاذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله جلّ جلاله: شهدلي بانّي الرّحمن الرّحيم اشهد كم لاوفرنّ من رحمتي حظّه ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فاذا قال: «مالك يوم الدين»، قال الله عزّ وجلّ: اشهد كم كما اعترف انّي أنا مالك يوم الدين لأسهلنّ يوم الحساب حسابه ولأتقبلنّ حسناته ولأتجاوزنّ عن سيّئاته فاذا قال: «اياك نعبد».

قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إيّاي يعبد اشهد كم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي فاذا قال: «واياك نستعين» قال الله عزّ وجلّ:

بي استعان والتجأ اشهد كم لاعيننّه على أمره ولاغيثنّه في شدائده ولآخذنّ بيده يوم نوائبه .

فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخر السورة قال الله جلّ جلاله : هذا لعبدي ولعبدي ما سئل قد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وآمنته مما منه وجل .

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام : يا امير المؤمنين أخبرنا عن بسم الله الرحمن الرحيم أهي من فاتحة الكتاب ؟ فقال : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها ويعدّها آية منها ويقول : فاتحة الكتاب هي السبع المثاني .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن سنان عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن ابيه عليهما السلام قال : قال لابي حنيفة : ماسورة اوّلها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء ؟ فبقي متحيّراً ثم قال : لا أدري فقال أبو عبدالله عليه السلام : السورة التي أوّلها تحميد واوسطها اخلاص وآخرها دعاء سورة الحمد .



كلمة الحمد
وفضل الامة المسلمة على سائر الامم

روى الصدوق رضوان الله تعالى في عيون الأخبار باسناده عن أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟

فقال: لقد حدّثني أبي عن جدّي عن الباقر عن زين العابدين عن أبيه عليهم السلام ان رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «الحمد لله رب العالمين» وما تفسيره؟ فقال:

«الحمد لله» هو أن عرّف عباده بعض نعمه جملاً اذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل لانّها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا: «الحمد لله» على ما انعم به علينا.

«رب العالمين» وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات فامّا الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحفظها بكنفه ويدبّر كلاً منها بمصلحته واما الجمادات فهو يمسكها بقدرته يمسك المتصل منها ان يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه ويمسك الأرض أن تنخسف الاّ بامره انّه بعباده لرؤف رحيم.

قال عليه السلام: «رب العالمين» مالكهم وخالقهم وسائق ارزاقهم اليهم من حيث هم يعلمون ومن حيث لا يعلمون والرزق مقسوم وهو يأتي ابن آدم على ايّ سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متّق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه وبيننا وبينه ستر وهو طالبه

ولو انّ احدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت فقال جلّ جلاله : قولوا : «الحمدلله» على ما انعم به علينا وذكّرنا به من خير في كتب الاوّلين قبل ان نكون .

ففي هذا ايجاب على محمد وآل محمد وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضّلهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر ونجّى بني اسرائيل وأعطاه التوراة والالواح رأى مكانه من ربه فقال :

يا ربّ لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي فقال الله جلّ جلاله : ياموسى أما علمت انّ محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي ؟ قال موسى : يا رب إن كان محمد اكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الانبياء اكرم من آلي ؟ قال الله جلّ جلاله : ياموسى أما علمت أنّ فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين ؟

فقال موسى : ياربّ فان كان آل محمد كذلك فهل في امم الانبياء أفضل عندك من امتي : ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المنّ والسلوى وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جل جلاله : ياموسى أما علمت ان فضل امة محمد على جميع الامم كفضلي على جميع خلقي؟ فقال موسى : ياربّ ليتني كنت أراهم فاوحى الله عزّ وجلّ اليه ياموسى انّك لن تراهم وليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان : جنّة عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلّبون وفي خيراتها يتبجّحون افتحبّ أن اسمعك كلامهم ؟

قال : نعم يا الهي قال الله جلّ جلاله : قم بين يدي واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل .

ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربّنا عزّ وجلّ : يا امة محمد فأجابوه كلّهم في أصلاب آبائهم وأرحام امّهاتهم : لبّيك اللّهم لبّيك لاشريك لك لبّيك انّ الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبّيك قال : فجعل الله عزّ وجلّ تلك الاجابة شعار الحج .

ثم نادى ربّنا عزّوجلّ : يا امّة محمد انّ قضائي عليكم انّ رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي فقداستجبت لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسئلوني من لقيني منكم بشهادة أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله صادق في أقواله محقّ في أفعاله وان علي بن أبيطالب عليه السلام اخوه ووصيّه من بعده ووليّه يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد فانّ أوليائه المصطفين المطهّرين المبانين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعده اولياؤه ادخله جنتي وان كانت ذنوبه مثل زبدالبحر .

قال : فلما بعث الله عزّوجلّ نبيّنا محمداً صلى الله عليه وآله قال : يا محمد وما كنت بجانب الطور اذنادينا امّتك بهذه الكرامة ثم قال عزّوجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله : قل : «الحمد لله رب العالمين » على ما اختصصتني به من هذه الفضيلة وقال لامته : قولوا انتم : « الحمد لله رب العالمين » على ما اختصصتنا به من هذه الفضايل .

اقول: وفي مدلول الرواية روايات كثيرة باسانيد صحيحة نشير اليها في خلال البحث انشاء الله تعالى .



﴿ خلاصة السورة ﴾

في هذه السورة تقرير الحمد كله لله تعالى في تجاه نعمه الظاهريّة والباطنيّة ورحمته العامة الشاملة ورحمته الخاصة بأهل الايمان والعمل وفيها تقرير لربوبيته العامة تشمل الكون وما فيه وفيها تقرير لسعة رحمته على الوجود اطلاقاً في الدنيا وعليه متصفاً بالايمان وصالح العمل في الدارين ، وفيها تقرير لسلطنته المطلقة يوم الجزاء من غير أن يكون هناك سلطنة اعتباريّة مجازيّة .

وفيها تعليم لعبادالله تعالى بعبادتهم له وحده وإستعانتهم به وحده وطلبتهم منه الهداية والوقاية من الضلالة ومن كل ما فيه غضبه وسخطه .

وان هذه السورة تحتوى رموزاً لكل ما جاء في القرآن الكريم من مواضيع ففيها التوحيد : توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال ، وفيها الثناء التام على الله جل وعلا ، وفيها الاشارة الى رحمته العامة الشاملة والى رحمته الخاصة المقيّدة ، وفيها الاشارة الى اليوم الاخر والحساب والجزاء فيه بالأعمال ، وفيها العبادة لله والاستعانة به جل وعلا ، وفيها الاشارة الى الأمم على إختلافهم من المهتدين منهم والمغضوب عليهم والضالين .

وفي هذه السورة إشارة إلى ملكوت الله تعالى ومافيه من عوالم واجل مما يرون ، وفيها تلقين وتعليم بما يحتاج اليه الانسان في حياته الدنيويّة وفي حياته الاخرويّة ومافيه شقائه وسعادته ومافيه عزّه وذلّته ، وفيها تلقين عن فراغ انفسهم وقلوبهم من غيره فلا يخضعوا لأحد الاّ له وحده ولايبالوا في الحق أحداً إلاّ به لانّه تعالى وحده هو النافع وهو الخالق وهو الرازق وهو الشامل برحمته جميع

الخلق حسب الوجود وهو الشامل برحمته الانسان حسب الايمان والعمل فهم مدينون له جل وعلا في حياتهم ومماتهم وهدايتهم ورزقهم و كيانهم .

وفيها بثّ القوة والاعتماد والكرامة ، وفيها بيان الهداية التكوينية العامة الشاملة لكل خلق بلا اختيار لاحد فيها وبيان الهداية التشريعية بالانسان مع خيار له فيها وبيان الهداية التكوينية الخاصة لمن اهتدى كالشبع الحاصل عقيب الاكل و كالروى عقيب شرب الماء .

و بعبارة اخرى :انّ البلاغة هي براعة استهلال وحسن الابتداء في الكلام وهو ان يأتي المتكلم كلاماً يفهم غرضه من كلامه عند الابتداء .

مثاله في القرآن الكريم هو هذه السورة الفاتحة .

وذلك انّ الغرض الاصيل من إنزال الوحي حفظ اصول الدين تستتبعها فروعه ومعارفه :

مبدئها المعرفة بالله جل وعلا : معرفة بذاته ومعرفة بصفاته ومعرفة بافعاله والى الثلاثة أشار بقوله تعالى : « الله والرحمن والرحيم ورب العالمين » فاذاً يستحق من كان كذلك الحمد والطاعة لذلك .

ثم معرفة المعاد لتحثّه المكلف إلى العمل أشار بقوله تعالى «مالك يوم الدين» ثم العلم بالعمل فأشار إلى أفضله واكبره شأناً لايقبل غيره بدونه وهو العبادة أشار اليها بقوله تعالى : «اياك نعبد» وهي لاتمكن الاّ أن يكون للعبد ثقة واستعانة بالله تعالى أشار إلى ذلك بقوله : «واياك نستعين» .

وذلك لايمكن ان تحمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد أشار اليها بقوله جل وعلا «اهدنا الصراط المستقيم» فاذاً يحتاج الانسان الى من يبينها فتجيىء مسئلة النبوة إليها أشار بقوله : « صراط الذين انعمت عليهم الخ » مع ما فيه من علم القصص والاطلاع على أخبار الامم السابقة ليعلم العباد طريق الهداية والسعادة والضلالة والشقاء .

وان الناس في المعرفة بالله والايمان والعمل على طوائف ثلاث :

طائفـة واصلـون الـى ساحل بحرالمعرفـة وصلـوا إلى عصرالنوروفسحة الكبرياء والجلال فتاهوا فيميدان الصمديّة وبادوا فى عرصة الفردانية واستغرقوا فيالطاعة والعمل .

وطائفـة معاندون مستخفون بأوامرالله تعالى ونواهيه معرضون عنمعرفته واذاذكرالله تعالى وحده اشمأزت قلوبهم فغضب الله تعالى عليهم .

وطائفـة قد بقوا فى ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فكأنّهم قد فقدوا عقولهم وطيرت أرواحهم ويحسبون انّهم يحسنون صنعا .

هذه هيالسورة التى تجب على كـل مسلم مكلّف فى كليـوم وليلة عشر مرّات فياهمّ أركان دينه ليعرف اصولـه ومعارفه وحقائقه ويعرف طريـق الهدى فاهتدى وأبصربه وطرق الضلالة فاجتنب عنها لئلايقع فيالعماية .



مقايسة بين ما يقرؤه المسلم فى صلاته
وما تقرؤه النصارى فى صلاتهم

انّ السورة الفاتحة على ما تقدم مشتملة مع إختصارها وايجازها على جميع المعارف القرآنية وتعرّض على ذلك بعض الاعلام من المفسرين.

وذلك لانّ القرآن الكريم على سعته العجيبة فى معارفه العالية الاصليّة وما يتفرّع عليها من الفروع من أحكام فى العبادات والمعاملات والسياسيات و الاجتماعيات ومن الأخلاق والآداب والسنن ومن الوعد والوعيد والقصص والحكم والامثال والعبر كلها يرجع إلى اصولها الثلاث: التوحيد والنبوة والمعاد و فروعاتها والى هداية العباد إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والاخرة.

وهذه السورة على وجيزتها محتوية على جميعها فىأوجز لفظ وأوضح معنى وعليك أن تقيس ما يتجلّى لك من جمال هذه السورة التى وضعهاالله تعالى فى صلاة المسلمين بما تضعه النصارى فىصلاتهم منالكلام الموجود فىانجيل متى (٦: ٩-١٣) وهو ما نذكره بلفظه العربي: «أبانا الذى فى السموات ليتقدّس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيّتك كما فى السماء كذلك علىالارض خبزنا كفانا اعطنانا اليوم واغفرلنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا ولاتدخلنا فى تجربة و لكن نجنّنا من الشرير آمين».

فتأمّل فى المعانى التى تفيدها الفاظ هذه الجمل بعنوان أنها معارف سماوية وما يشتمل عليه من الأدب العبودى انّها تذكر اوّلا: ان اباهم (وهوالله تقدس اسمه) فى السموات!! ثم تدعو فى حق الاب بتقدس اسمه واتيان ملكوته ونفوذ

مشيئته في الارض كما هي نافذة في السماء ولكن من الذي يستجيب هذا الدعاء الـذي هـو بشعارات الاحزاب الطاغوتية الاستبدادية اشبه ثم تسئل الله اعطاء خبز اليوم ومقابلة المغفرة بالمغفرة وجعل الاغماض عن الحق في مقابل الاغماض .

وماذا هو حقهم لولم يجعل الله لهم حقاً وتسئله أن لايمتحنهم بل ينجيهم من الشرير ومن المحال ذلك فالداردار الامتحان والاستكمال وما معنى النجاة لولا الابتلاء والامتحان .



بحث روائى
فى فضل البسملة

(بسم‌الله الرحمن الرحيم)

١- روى الصدوق رحمة‌الله تعالى عليه فى عيون الاخبار باسناده عن محمّدبن سنان عن الرضا عليه‌السلام قال: انّ بسم‌الله الرحمن الرحيم اقرب إلى إسم‌الله الأعظم من سواد العين الى بياضها.

٢- روى العياشى رضوان‌الله تعالى عليه فى تفسيره عن سليمان الجعفرى قال: سمعت أبا الحسن عليه‌السلام يقول: اذا أتى احدكم اهله فليكن قبل ذلك ملاطفة فانه ابرّ لقلبها واسلّ لسخيمتها فاذا افضى الى حاجته قال: بسم‌الله ثلاثاً فان قدر ان يقرأ أىّ آية حضرته من القرآن فعل والاّ قد كفته التسمية فقال له رجل فى المجلس: فان قرأ بسم‌الله الرحمن الرحيم أوجر به؟ فقال: واىّ آية أعظم فى كتاب الله؟ فقال: بسم‌الله الرحمن الرحيم.

٣- روى الصدوق قدس سره فى جامع الأخبار عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله انه اذا قال المعلّم للصبىّ: قل: بسم‌الله الرحمن الرحيم فقال الصبىّ: بسم‌الله الرحمن الرحيم كتب‌الله برائة للصبى وبرائة لأبويه وبرائة للمعلّم.

٤- وفيه عن ابن مسعود عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله: من اراد ان ينجيه‌الله من الزبانية فليقرء بسم‌الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا ليجعل‌الله كل حرف منها جُنّة من واحد منها.

٥- وفيه عنه أيضا عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: من قرء بسم‌الله الرحمن الرحيم

كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى[١] عنه اربعة آلاف سيئة ورفع له اربعة آلاف درجة .

٦- وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اذا قال العبد عند منامه : بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ملائكتي اكتبوا نفسه إلى الصباح .

٧- وفيه : وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل يأكل الشيطان مع الانسان؟ فقال: نعم كل مائدة لم يذكر بسم الله عليها يأكل الشيطان معهم ويرفع الله البركة عنها ، ونهى عن اكل مالم يذكر عليه بسم الله كما قال الله تعالى في سورة الانعام: «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله».

٨- في الكافي باسناده عن جميل بن درّاج قال : قال ابو عبدالله عليه السلام لا تدع بسم الله الرحمن الرحيم وان كان بعده شعر .

٩- وفيه باسناده عن مفضّل بن عمر قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إحتجز من الناس كلّهم ببسم الله الرحمن الرحيم وبقل هو الله أحد اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك واذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر اليه ثلاث مرات واعقد بيدك اليسرى ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده .

١٠- عن مهج الدعوات عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم اسم من أسماء الله الاكبر وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها .

١١- في الكافي باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : فاذا جعلت رجلك في الركاب فقل : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله والله اكبر .

١٢- في التأويلات النجمية : ان الباء شفوي وكان اول انفتاح فم الذرة الانسانية في عهد « الست بربكم » بالجواب كلمة « بلى » فاختصت الباء بهذه الاختصاصات فجعلها الله تعالى كتابه ومبدأ كلامه وخطابه فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

١٣- في لطائف الاشارات : « ان شجرة الوجود تفرّعت عن البسملة والعالم

كله قائم بها » .

١٤- عن بعض الاعلام كتب فى مرض موته : « البسملة » فى ورق القرطاس ووصى يدفن معه بعد الموت ولما استفسروا منه سرّه قال : انى اجعل هذا القرطاس كتبت عليه البسملة فى يوم الجزاء واقول : الهى انزلت علينا كتاباً افتتح بالبسملة وبشّرت بها من رحمتك الواسعة وعسيت أن تصل رحمتك بى وهذا نسخته فحينئذ أوصل رحمتك الىّ لاخيب اليوم كما لم أخب فى الدنيا .

١٥- فى رواية عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : انّ البسملة فى كتاب الله تعالى كالمفتح للابواب فكما لايمكن فتح القفل الاّ بالمفتاح كذلك البسملة لا يدخل فى قرائة كلام الله المجيد الاّ بها ثم قال :

بسم الله مفتتح الكلام ـ وبسم الله شافية السقام .

انّ البسملة كلمة مقدسة مختصة بشعار المسلمين يستفتحون بها أقوالهم و أعمالهم .

١٦- فى احقاق الحق عن الصادق عليه السلام قال : البسملة تيجان السور .

١٧- فى التوحيد فى حديث طويل عن الصادق عليه السلام قال : وربما ترك بعض شيعتنا فى افتتاح امره « بسم الله الرحمن الرحيم » فيمتحنه الله عزوجل بمكروه لينبّهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

١٨- وفيه فى حديث طويل ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من حزنه امر تعاطاه فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » وهو مخلص لله ويقبل بقلبه لم ينفكّ من احدى اثنتين : إمّا بلوغ حاجته فى الدنيا وإمّا يعدّله عند ربه ويدّخر لديه وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين .

١٩- فى الدر المنثور عن أبى مالك قال : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكتب باسمك اللّهم فلما نزلت : « انه سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » كتب بسم الله الرحمن الرحيم .

۲۰ـ وفيـه عن سعيدبن المسيب قال : كتب رسول‌الله صلى الله عليه وآله إلى[۱] كسرى[۱] وقيصر والنجاشي : أمّا بعد فتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من‌دون‌الله فان تولّوا فقولوا اشهدوا بانّا مسلمون » فلما أتى كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر فقرأه قال : انّ هذا الكتاب لم أره بعد سليمان‌بن داود عليه السلام « بسم‌الله الرحمن الرحيم » .

۲۱ـ في البحـار عن امـيرالمؤمنين عليه السلام عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله عن‌الله تعالى : « كل امر ذى‌بال لم يذكر فيه بسم‌الله فهو أبتر » :



﴿حول البسملة﴾

فى احقاق الحق : بالاسناد عن عبدالله بن الوليد قال : قال محمد بن علي الباقر عليه السلام : من عبد المعنى دون الاسم فانه يخبر عن غائب ومن عبد الاسم دون المعنى فانه يعبد المسمّى ومن عبدالاسم والمعنى فانه يعبد الهين ومن عبدالمعنى بتقريب الاسم إلى حقيقة المعرفة فهو موحّد .

اقول: لايخفى ان هناك اسما ومسمّى وتسمية ومسم .

أمّا الاسم فهو كل لفظ دال على معنى من المعانى بلازمان وأمّا المسمّى فهو المعنى المشار اليه بالاسم وأمّا التسمية فهى قول القائل وأمّا المسمّى فهو القائل .

فمن عبد المسمى المشاراليه بالاسم وجعل الاسم لتقريب معرفة حقيقة المسمّى فهو موحّد على قدر معرفته .

وذلك اذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا المنطق والعقل قاصرين عن اكتناه وصفه وحقيقته وتسميته وادراكه لانّ الحقائق كلّها من تلقاء ذاته جلّ وعلا فهو المدرك حقّاً والواصف لكل شيء وصفاً والمسمى لكل موجود اسماً .

فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسماً ؟ وكيف يقدر المحاط ان يحيط به وصفاً ؟ فنرجع فنصفه من جهة آثاره وأفعاله .

وهى أسماء وصفات إلاّ انّها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر والذات المخبرة عن حقيقته ، وذلك مثل قولنا : اله اى واضع كل شيء ، وخالق اى مقدر كل شيء ، وعزيز اى ممتنع ان يضام وحكيم اى محكم افعاله على النظام و كذلك سائر الصفات والاسماء ، فانّ علمه وقدرته وجوده وحكمته بلانهاية ولايبلغ العقل

أن يصفها ولو وصفها لكانت متناهية .

فعلى كلّ مسلم أن يتبرّك بالبسملة فى قرائته و كتابته وفى أقواله وجميع أفعاله وتلك سنّة نبويّة من خير السنن وخصلة من أجلّ الخصال يثاب بها فى جميع أفعاله المباحة .

ومن هنا يعلم سرّ تكرارها فى السور القرآنية بتكرر أغراضها ، ولا بدّ له أن يعلم أنّه لاثواب إلاّ بصحّة العمل ولاعمل الاّ بالنّية « انّما الأعمال بالنيات » و « انّ لكل امرىء مانوى » وما توجد النية ما ليس فهماً وعلماً بما يقول فليس مجرد التسمية من غير معرفة المسمّى والتوجه اليه عملاً صحيحاً يثاب به وما قوام للتسمية الاّ بما تضمنته من المعانى العالية وحكمته الشريفة وروحها الكاملة وفيها على إجمال معرفة الخالق ورحمته العامة الشاملة ورحمته الخاصة تشعر إلى حسابها والجزاء .

هذا هو الاجمال :

(**بسم الله**) الّذى له تمام العلم و كمال القدرة والحكمة وسع كل شيء علمه وقدرته وحكمته وهوولىّ المؤمنين لا اله الا هو له الاسماء الحسنى والصفات العليا .

(**بسم الله**) الّذى هومالك الملك والمحيط بكل شيء الملك الواحد القهار المنزّه عن كل شائبة نقص ويفعل ما يريد وكلما يشاء ويؤتى ملكه من يشاء وله الخلق والامر .

(**بسم الله**) الّذى له الحجة البالغة وهو الحق المبين الّذى لا كفؤله ولا شريك وكلما سواه فان باطل لا اله الاّ هو الحىّ القيوم وهوعلى كل شىء رقيب .

(**بسم الله**) الّذى هو الغنى الحميد وهو السميع البصير وهوالعزيز الحكيم و هو الغفور الرحيم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويمحو ما يشاء ويثبت له غيب السموات والارض وهو الرب الكريم وهو نور السموات والارض وهو رب العرش العظيم وهو الملك القدوس .

(**بسم الله**) الّذى هو خالق كلّ شىء وهوعلى كلّ شىء وكيل وهوقوىّ

عزيز وهو ذو فضل عظيم وهو شكور حليم وهو رؤف رحيم وهو شاكر عليم وهو على كل شيء حسيب وهو خبير بما كنتم تعملون وهو غني عن العالمين وهو لا يحب الخائنين ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين .

(الرحمن) الذى سبقت رحمته غضبه فعم خلقه بنعمه وهدى الانسان بكتبه ورسله وبالعقل والبرهان فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها .

(الرحيم) الذى خص هداه بمن اهتدى وجنته ونعيمها بمن امن وخص العزة والعيش الهنيئى بمن تولاه وخص السعادة والنجاة بمن أطاعه واتبع الصراط المستقيم وخص الكرامة بمن راقب أمره واجتنب عن نهيه فأنار قلوب من استضاؤا بنوره وهدى من استهدى بهداه واكرم من استكرمه واعز من استعز منه وغفر من استغفر .

وروى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى معانى الاخبار باسناده عن إبن فضال قال : سئلت الرضا عليه السلام عن بسم الله قال : معنى قول القائل بسم الله اى أسم نفسى بسمة من سمات الله عز وجل وهو العبودية قال : فقلت له :ما السمة ؟ قال العلامة .



البسملة

في كل حال

انّ البسملة كلمة مقدّسة مختصّة بشعار المسلمين يستفتحون بها اقوالهم و أعمالهم و أفعالهم جميعها وردت الروايات الكثيرة ترغيباً فيها فنشير الى[1] ما يسعه المقام :

١ـ روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا وضعت المائدة حفّتها أربعة آلاف ملك فاذا قال العبد : بسم الله قالت الملائكة : بارك الله عليكم في طعامكم ثم يقولون للشيطان : أخرج يافاسق لاسلطان لك عليهم فاذا فرغوا فقالوا : الحمد لله قالت الملائكة : قوم أنعم الله عليهم فأدّوا شكر ربّهم واذا لم يسموا قالت الملائكة للشيطان : أدن يا فاسق فكل معهم فاذا رفعت المائدة ولم يذكروا اسم الله عليها قالت الملائكة : قوم انعم الله عليهم فنسوا ربّهم عزوجل .

٢ـ وفيه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدة بين يديه ويسمّي ويسمّون في اوّل الطعام ويحمدون في آخره فترتفع المائدة حتّى يغفر لهم .

٣ـ روى الحميري رضوان الله تعالى عليه في قرب الاسناد باسناده عن الباقر عليه السلام انّ علياً عليه السلام كان يقول : من أكل طعاماً فسمّى الله على اوّله وحمدالله على آخره لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام كائناً ما كان .

اقول: قوله : «كائناًماكان» اىقليلاكان أو كثيراً لذيذاً كان ام غيره واما قوله تعالى : «لتسئلن يومئذعن النعيم» على شموله جميع النعم فمشروط بعدم التسمية والتحميد .

٤ـ روى الصدوق رحمةالله تعالى عليه في العلل باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا جاء المرسلون إلى ابراهيم عليه السلام جاء هم بالعجل فقال : كلوا فقالوا: لانأكل حتّى تخبرنا مائمنه ؟ فقال : اذا اكلتم فقولوا : بسم‌الله واذا فرغتم فقولوا الحمدلله قال : فالتفت جبرائيل الى اصحابه وكانوا اربعة وجبرئيل رئيسهم فقال : حق لله أن يتخذ هذا خليلاً .

٥ ـ وفي الخصال باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : الطعام اذا جمع أربع خصال فقدتم : اذا كان من حلال و كثرت الايدى عليه وسمى الله تبارك وتعالى فى اوّله وحمد فى آخره .

٦ـ روى البرقى رضوان‌الله‌تعالى‌عليه فى المحاسن عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : ضمنت لمن سمّى‌الله تعالى على طعامه أن لايشتكى منه فقال إبن الكواء : يا أمير المؤمنين : لقداكلت البارحة طعاماً فسميّت عليه فآذانى فقال امير المؤمنين عليه السلام : اكلت الواناً فسميّت على بعضها ولم تسمّ على كل لون يالكع ، وقوله : «يالكع» اللئيم والعبد والأحمق ومن لايتّجه لمنطق ولاغيره .

٧ـ وفيه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : فى وصيّة رسول‌الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام : ياعلي إذا اكلت فقل : بسم‌الله وإذا فرغت فقل : الحمدلله فإنّ حافظيك لايبرحان يكتبان لك الحسنات حتّى تبعده عنك . اىحتى تبعد الطعام عنك .

٨ـ روى الطبرسى قدس سرّه فى مكارم الاخلاق عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : اكثروا ذكرالله على الطّعام ولا تطغوا فانّها نعمة من نعم‌الله ورزق من رزقه يجب عليكم فيه شكره وحمده أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها فانّها تزول وتشهد على صاحبها بماعمل فيها من رضى من‌الله باليسير من الرزق رضى‌الله‌عنه بالقليل من العمل . الخبر .

٩ - روى الكراجكي رحمة الله تعالى عليه في كنز الفوائد عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ أباحنيفة أكل معه فلمّا رفع الصادق عليه السلام يده عن اكله قال : الحمدلله رب العالمين اللّهم انّ هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو حنيفة :

يا اباعبدالله أجعلت مع الله شريكا ؟ فقال له : ويلك انّ الله يقول في كتابه : «وما نقموا الاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله» التوبة : ٧٤ .

ويقول في موضع آخر: «ولو انّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله » التوبة : ٥٩ .

فقال ابو حنيفة : والله لكأني ما قرأتهما قطّ .

١٠- في الدر المنثور عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال ابليس يارب كل خلقك بيّنت رزقه ففيم رزقي قال : فيما لم يذكر إسمي عليه .

١١- وروى البرقي رحمة الله تعالى عليه في المحاسن باسناده عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا توضّأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك وإن اكل أوشرب أولبس وكل شيء صنعه ينبغي أن يسمّي عليه فان لم يفعل كان للشيطان فيه شرك .

١٢- وفي تحف العقول : في وصيّة أمير المؤمنين علي عليه السلام لكميل بن زياد :

يا كميل : سم كل يوم باسم الله وقل لاحول ولاقوّة الاّ بالله وتوكل على الله واذكرنا وسم باسمائنا وصلّ علينا وادر بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك تكف شر ذلك اليوم إن شاء الله .

١٣- في إحقاق الحق عن أبي جعفر عليه السلام قال : أشدّ الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال وإنصافك من نفسك ومواساة الأخ في المال .

١٤- في تفسير البرهان في قوله تعالى : «فشاربون شرب الهيم» الواقعة : ٥٥ .

عن عثمان بن عيسى عن شيخ من اهل المدينة قال : سئلت اباعبدالله عليه السلام عن الرجل يشرب الماء ولا يقطع نفسه حتى يروى قال : فقال عليه السلام : وهل اللذة الاّ ذاك قلت : فانهم يقولون: انه شرب الهيم فقال : كذبوا ان شرب الهيم مالم يذكر اسم الله عزوجل عليه .

١٥- قال الصادق عليه السلام : في حديث - : «لاتدعها ولو في شعر» .

اى انك لو اردت قراءة الشعر فابتدإها ببسملة .

فينبغى لكل مسلم في كل فعل وعمل وقول وحركة أن يبدء ببسملة لطرد الشيطان عن نفسه بحيث لو لم تذكر فيها البسملة يشاركه فيها الشيطان .

قال الله تعالى[١] : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والاولاد » الاسراء : ٦٤ .

والى عواقب وخيمة الأمور التى لم تبدء ببسملة اشار بقوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا» طه : ١٢٤ .

وبقوله : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » الزخرف : ٣٦ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « كل امرذى بال لم يبدء ببسملة فهو أبتر» .



﴿ البسملة وتأثيرها ﴾

في تفسير الكشاف : قال امير المؤمنين علي عليه السلام : بسم الله فاتقة للرتوق مسهّلة للوعور مجنّبة للشرور شفاء لما في الصدور .

وفي تفسير الفخر : مرض موسى عليه السلام واشتدّ وجع بطنه فشكى الى الله تعالى فدلّه على عشب في المفازة فاكل منه فعوفي باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال : يا رب اكلته اوّلاً فانتفعت به واكلته ثانياً فازداد مرضي فقال : لانّك في المرّة الاولى ذهبت منّي إلى الكلاء فحصل فيه الشفاء ، وفي المرّة الثانية ذهبت منك إلى الكلاء فازداد المرض أما علمت أنّ الدنيا كلها سمّ قاتل وترياقها اسمي .

كثيراً ما يتّفق لبعض عبيد الملك انّهم اذا اشتروا شيئاً من الخيل والبغال والحمير وضعوا عليها سمة الملك لئلاّ يطمع فيها الاعداء ، فكأنّه جلّ وعلا يقول يا عبدي انّ لطاعتك عدوّاً وهو الشيطان فاذا أخذت بعمل فاجعل عليه سمتي و قل : بسم الله الرحمن الرحيم حتّى لايطمع فيه العدو .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا توضّأت فقل : بسم الله فانّ حفظتك لاتبرح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل : بسم الله فانّ حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب حتى لايبقى منهم أحد .

وإذا ركبت دابّة فقل : بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل

خطوة وإذا ركبت السفينة فقل : بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها .

وفي رواية : انّ قيصر الروم ابتلي بالصدع فعجز الاطبّاء عن معالجته فكتب إلى امير المؤمنين علي عليه السلام :

فأرسل علي عليه السلام طاقية وقال : لابدّ وأن تضع هذه على رأسه فيشفى فاذا وضعها القيصر على رأسه شفي فتعجّب عن ذلك وامر بشقّها فراى فيها قرطاساً كتب فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » فعلم انّ الشفاء ببركة البسملة .

وعن بعض العلماء : اوصى ان تكتب البسملة على كفنه وقال : وذلك اذا قامت القيامة وحشر الناس وحضرنا للحساب فاقول : الهى انت انزلت كتابا بدء ببسملة فعاملنا اليوم بما ابتدأ كتابك به .

وفي تفسير المقتنيات : ان بشر الحافي راى كاغذاً مكتوباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » على الارض فرفعه وطيّبه بالمسك وقيل : بلعه فراى في النوم قائلاً يقول : يا بشر طيّبت إسمنا فنحن نطيّب اسمك في الدنيا والاخرة .

ان الله تعالى امر عباده بذكره جل وعلا في كثير من الايات الكريمة منها : قوله تعالى : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » الانفال : ٤٥ .

جعل غاية ذكره الفلاح وذلك ان كثرة الذكر مع التوجه تفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس البشرية وانتقاشه في الذهن فتنقطع به عنه منابت الغفلة ويورث التقوى الديني الذى هو مظنة الفلاح كما قال تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠ .

ان الله تعالى يريد بنا ان نذكره دائما كي تتصل أعمالنا وأرواحنا به جل وعلا ونستقي من ينبوعه الفياض جميع الكمالات التى يكون بها الانسان انساناً وانّ ذكر الله تعالى حسن على كل حال ولم يستثن الشارع موضعاً لا يذكر فيه اسم الله تعالى حتّى حال التخلي .

وذلك انّ لذكر الله تعالى اثراً عظيماً في ردع النفس عن شهواتها ونزواتها وبه يتفتح القلب الانساني ويذهب عنه صدأ الذنوب والقساوة الناشئة من الظلم و

الاثام فيلين اكثر فاكثر إلى ذكر الله تعالى فى جميع الاحوال .

فيكون مصداق هذه الاية الكريمة :

« الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله ذلك هدى الله يهدى من يشاء » الزمر : ٢٣ .

لان فى ذكر الله تعالى باخلاص انجذاباً روحياً بين العبد والمعبود يشعر به من اتخذ التقوى شعاراً واختلى بربه جوف الليل يريد وجهه بكل انقطاع وابتهال .

وانّ المواظبة على الذكر يؤدّى إلى انشراح الصدر بنور الايمان وهو نور يمنّ الله تعالىٰ به على الذاكرين من عباده الأبرار .

قال : « افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين » الزمر : ٢٢ .

ونستجير بالله القادر المتعال من مرض القلب وقسوته فهما حجابان حاجزان عن رؤية الحق والواقع واساسهما هو الغفلة عن ذكر الله تعالى ، فيظلم ويأثم باجتراء .

قال تعالى : « ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد » الحج : ٥٣ .

فتصير القلوب بالمعاصى والاثام اقسى من الحجارة .

قال تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » البقرة : ٧٤ .

وانّ كثيراً من الناس لايذكرون اسم الله تعالى فى أمورهم فى كل يوم و ليلة مرّة واحدة لإغفالهم الشيطان عنه وهم غافلون .

اغفال الشيطان

عن البسملة

قال الله تعالى : « استحوذ عليهم الشيطان فأنسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا انّ حزب الشيطان هم الخاسرون » المجادلة : ١٩ .

ونحن لانقصر الذكر في البسملة ولكنها من غير مراء اهم ذكر الله تعالى الّذى على كل مسلم أن يذكره جلّ وعلا في قيامه وقعوده وفي اكله وشربه وفي نومه ويقظته وفي قرائته و كتابته وفي سفره وحضره وما اليها من اموره و كم نرى ممن تثقف بثقافة العصر يحسب نفسه قد بلغت مرتبة قاصية من الكمال وهو ألعوبة بيد الشيطان وقد صدّه عن ذكر الله جلّ وعلا وعمّا يوصله إلى عقبى محمودة .

فالشيطان يلعب دوراً خطيراً في إغواء الانسان وإغفاله عن ذكر الله تعالى و جعله من قرينه ، فانّه اوّل عمل يقوم به : هو ابعاده عن ذكر الله جل وعلا وهو يوحي اليه ان ذكر الله خرافة يتلهى به العاطلون والعاجزون ويوحي اليه ان الغربيّين بلغوا ما بلغوا من هذا الرقي المادى دون اللجوّ الى ذكر الله وهل لرجل العصر يومنا هذا من الوقت مع تزاحم الاعمال ليذكر الله تعالى بل هو يستهزىء بالذاكرين الذين يذكرون الله سبحانه في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم ، ويريد باستهزائه ان يجارى المتحضرين بحضارة العصر ويماشي ما هم عليه من اغفال ذكر الله تعالى .

كما ترى ان في ضيافات كبيرة وموائد عامرة يجلس عليها رجال العصر الحاضر لايذكرون الله ولايشكرونه ولعلّ من يريد ذكر الله تعالى وقد بقي لديه

صبابة من الايمان يخجل ممن يتهمه بالرجعيّة اوالخرافة .

قال الله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل » الزخرف : ٣٦ و٣٧ .

وذلك ان ترك الذكر يؤدى الى هجوم الشيطان وهجوم الشيطان يؤدى الى الضلال والاثام باجتراء .

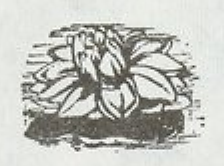
قال تعالى : « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً » النساء : ٣٨ .

فيرافق الانسان ويكون حجاباً حاجزاً دون رؤية الحق ومانعاً عن الاعتراف بالله تعالى و كتبه ورسله واليوم الاخر .

وقد قال رسول الله ﷺ : « لولا انّ الشياطين يحومون الى قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض » ولكن الله تعالى منعنا عن اتباع اغواءت الشيطان وأضا ليله وليس للشيطان سبيل على الذاكرين الصالحين من عباده جل وعلا .

قال الله تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ .

انّ الله تعالى لعظيم رفده وجليل رحمته قد نبّهنا ما للشيطان من عداوة فاحشة على عباده وقد أرانا الله تعالى الطريقة التى بها نتمكّن من التخلص من كيد الشيطان ومكره وهى أن لانعمى ولانغفل عن ذكر الله تعالى واطاعة الله جل وعلا .



حول الرحمة العامة
والخاصة الالهية

(الرحمن الرحيم)

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الأمالي باسناده عن علي بن ميمون الصايغ قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من أراد أن يدخله الله عز وجل في رحمته ويسكنه جنّته فليحسن خلقه وليعط النصفة من نفسه وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الّذي خلقه .

و روى الطوسي قدس سره في أماليه باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله عز وجل رحيم يحبّ كل رحيم .

وروى الصدوق رحمه الله تعالى عليه في الخصال باسناده عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : انّي اعطيت الدنيا بين عبادي فيضاً فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة منهن عشراً إلى سبعمأة ضعف وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضاً فاخذت منه قسراً .

أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا : الصلاة والهداية والرحمة انّ الله عز وجل يقول : «الّذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم» واحدة من الثلاث «ورحمة» اثنتين «واولئك هم المهتدون» ثلاثة ثم قال ابو عبدالله عليه السلام : هذا لمن اخذ منه شيئاً قسراً .

وروى الراوندي رحمه الله تعالى في الدعوات : انه إذا كان يوم القيامة ينادي كل من يقوم من قبره : «اللهم ارحمني اللهم ارحمني» فيجابون : لئن رحمتم

في الدنيا لترحمون اليوم .

وروى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن كليب الصيداوي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا اخوة بررة كما أمركم الله عزوجل .

وروى الحميري قدس سره في قرب الاسناد باسناده عن علي بن ابيطالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انّ لله عباداً خلقوا من رحمته استجابوا لدعوته ودخلوا في مغفرته .

وفيه : باسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام في وصية البني صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام : ياعلي أربع من كنّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنة : من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه .

وفيه : باسناده عن الحسين بن علي عليه السلام عن ابيه علي بن أبيطالب عليه السلام : من آوى اليتيم ورحم الضعيف وارتفق على والده ورفق على ولده ورفق بمملوكه أدخله الله تعالى في رضوانه ونشر عليه رحمته ومن كفّ غضبه وبسط رضاه وبذل معروفه ووصل رحمه وأدّى أمانته جعله الله تعالى في نوره الأعظم يوم القيامة .

وفيه : باسناده عن جرير بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لايرحم الناس لايرحمه الله تعالى .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم وانّ الله يعطى الدنيا من يحبّ ومن لايحبّ ولايعطى الدين الاّ لمن يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبّه والذى نفس محمد بيده لايسلم عبد حتّى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا : وما بوائقه يا رسول الله ؟

قال : غشمه وظلمه ولايكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدّق به فيقبل منه ولايترك خلف ظهره الاّ كان زاده إلى النار انّ الله لا يمحوا السيّء بالسيّء ولكن يمحوا السيّء بالحسن إنّ الخبيث لايمحو الخبيث .

وفي تحف العقول: عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: إنّ هذه الدنيا تعاطاها البر والفاجر وإن هذا الدين لا يعطيه الله الا أهل خاصته.

وفيه: وقال عليه السلام أيضاً: إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ولا يعطي دينه الا من يحب.

وفي امالي بن الطوسي باسناده عن حفص قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه: تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للاخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل.

و في نهج البلاغة قال امير المؤمنين علي عليه السلام: هو الذى إشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته وإتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته.

وذلك انه تعالى مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر وانه أرحم الراحمين فانه شديد النقمة على أعدائه ومع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر وكونه شديد العقاب فانه واسع الرحمة لأوليائه.

وفيه: قال عليه السلام في خطبة له:

ولا يشغله غضب عن رحمة ولا توله رحمة عن عقاب.

اى لا تحدث الرحمة لمستحقها عنده ولها وهو التحير والتردد وتصرفه عن عقاب المستحق.

وذلك لانّ الواحد منّا اذا رحم انساناً حدث عنده رقة خصوصاً اذا توالت منه الرحمة لقوم متعددين فانه تصير الرحمة كالملكة عنده فلا يطيق مع تلك الحال أن ينتقم، وانّ الله سبحانه ليس كذلك لانه ليس بذى مزاج حتى تغلب صفته على صفته الاخرى فلا ينتقم ممن يستحق العقاب برحمته على من يستحقها او يغضب على من يستحق رحمته بسبب غضبه على من يستحق غضبه.

كلام حول الرحمتين :
العامة و الخاصة

(الرحمن الرحيم)

انّ الرحمة في الانسان هي رقة القلب وعطفه على غيره .

ورحمة الله تعالى فهي عطفه وإحسانه ورزقه على خلقه ، أما الرحمن فعطفه تعالى على جميع خلقه من الكافر والمؤمن والبار والفاجر بأن خلقهم ورزقهم وأعطاهم مابه حياتهم الدنيوية وكمالهم .

وأمّا الرحيم فعطفه تعالى وإحسانه على المؤمنين خاصّة بالهداية لاهتدائهم وبالتوفيق للطاعة لعملهم الصالح في الدنيا ولاستكمالهم ، وجزائهم بالجنة ونعيمها لايمانهم وصالح العمل في الاخرة .

وذكر الرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين برحمته الخاصة قال تعالى : «وكان بالمؤمنين رحيما» الاحزاب : ٤٣ .

« وقال : «يختصّ برحمته من يشاء » آل عمران : ٧٤ .

وذلك انّ الدنيا ومافيها من النعم التي تفاض على الخلق كلّه من آثار رحمة الله تعالى قال : « فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها» الروم : ٥٠ .

وانّ الوجود وما ينمو به فهو من آثار رحمة الله تعالى ، فان بالرحمة العامة قامت السموات والارض وانتظم الكون وبهر الوجود ومن الرحمة العامة نور الشمس وضوء القمر وتلألأ الكواكب يأخذ منها كل حيوان وانسان ونبات وجماد كل بحسبه واستعداده وقوابله .

وان الله تعالى هو الذى ساوى بين خلقه وأعطى الانسان مايحتاج فى وجوده من قوى ظاهرية كالعين والبصر والسمع واللسان واليد والرجل وما اليها وقوى باطنية من العقل والشعور والفكر وما اليها ، سواء كان ولد كافر ام ولد مسلم وكان ولد عالم متبحّر ام ولد جاهل بليد وكان ولد سلطان ذى عدد وعدد ام ولد رعيّة ضعيف وكان ولد ابيض جميل ام ولد اسود قبيح وكان ولد سوقى تاجر ام ولد قروى زارع وكان ولد مالك ام ولد مملوك . . .

وهذا معنى قوله تعالى : «ورحمتى وسعت كل شىء» الاعراف : ١٥٦ .

كما اعطاه الولد والمال والدار والمقام والجاه والثرى وما اليها من القوى والقدر من غير دخل الايمان فى ذلك كله آمن ام لم يؤمن أطاع ام يعصى .

قال الله تعالى : «ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسروراً عليها يتكؤن وزخرفاً وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين» الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ .

وقال : «والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الانعام» محمد صلى الله عليه وآله : ١٢ .

وفيهما دلالة على أنّ التمتع من متاع الدنيا ليس على أساس الصفة من الكفر والايمان ومن العلم والجهل ومن السواد والبياض وما اليها . . .

فالرحمة واقعة على الوجود كلّه اطلاقاً .

فالعوالم العلوية من الشمس والقمر والنجوم والافلاك وما اليها كلها والعوالم السّفلية من الهواء والماء والأثير والنور والمال والاولاد والثرى وما ينمو به الجسم ويكمل به الانسان من الكتاب السّماوىّ والرسالة الالهية والارشاد كلها رحمة الهيّة لأن ينتفع بها الانسان وينال بها الى رحمة خاصة اخرى قال تعالى «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» الانبياء : ١٠٧ .

فالانسان فى خيار أن يجعل تلك الرحمة وسيلة لنيله برحمة خاصة الهيّة

فى الدنيا من العزّة والعلو والكرامة وما اليها وفى الاخرة بالجنة ونعيمها أو يجعلها سبب نقمة لنفسه من الذلّة والمعيشة ضنكا فى الدنيا ومن النار والعذاب فى الاخرة.

ولعمرى ان هذه الحياة الدنيا ومتاعها أشبه شىء بمدرسة اسّست على الحق ومهدّت لها اسباب الكمال الانسانى ولها اساتذة خبراء يدرسون الانسان فيها على السواء.

فكم من بليد الاذهان نالوا من العلم بالسعى والجدّ ما نالوا ثم نالوا بجوائزها... وكم من الاذكياء لايميزون للغرور والكسالة الا لف من الباء وحرموا من جوائزها فهناك رحمتان: رحمة عامّة شاملة للتلامذة كلهم ورحمة خاصة لمن احسن درسه فيها فنال من جوائزها... فسابقوا ثم سابقوا..



بحث روائي
حول الحمد

(الحمدلله رب العالمين)

انّ الروايات الواردة في ذلك كثيرة جداً لايسعها المقام فنشير الى نبذة منها

١ـ روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن محمّدبن مروان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّ الاعمال أحبّ إلى الله عزوجل؟ فقال: أن تحمده.

٢ـ وفيه باسناده عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ في ابن آدم ثلاث مأة وستين عرقاً منها مأة وثمانون متحرّكة ومنها مأة وثمانون ساكنة فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرّك الساكن لم ينم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال: الحمدلله رب العالمين كثيراً على كل حال ـ ثلاثمأة وستين مرّة ـ وإذا أمسى قال: مثل ذلك.

٣ـ وفيه باسناده عن أبي مسعود عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال أربع مرات إذا أصبح: «الحمدلله ربّ العالمين» فقد أدّى شكر يومه ومن قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته.

٤ـ في تحف العقول: في وصية اميرالمؤمنين علي عليه السلام لكميل بن زياد:

يا كميل قل عند كل شدّة: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله» تكفها وقل عند كل نعمة: «الحمدلله» تزدد منها وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفرالله يوسع عليك فيها.

وقال: يا كميل: انّك لاتخلوا من نعم الله عندك وعافيته إياك فلا تخل من

تحميده وتمجيده وتسبيحه وتقديسه وشكره وذكره على كل حال .

٥ـ وفيه قال عليه السلام : ثلاث من حافظ عليها سعد : اذا ظهرت عليك نعمة فاحمدالله وإذا أبطاء عنك الرزق فاستغفر الله وإذا أصابتك شدة فاكثر من قول : « لا حول ولاقوة إلاّ بالله » .

٦ـ وفيه قال عليه السلام : حق الله في العسر الرضى والصبر وحقه في اليسر الحمد والشكر .

٧ـ في نهج البلاغة قال اميرالمؤمنين علي عليه السلام في خطبة له :

اللّهم لك الحمد علىٰ ما تأخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمداً يكون أرضى الحمد لك وأحبّ الحمد إليك وأفضل الحمد عندك حمداً يملأ ما خلقت ويبلغ ماأردت حمداً لايحجب عنك ولايقصر دونك حمداً لاينقطع عدده ولايفنى مدده .

انّ الامام علي عليه السلام حمدالله تعالى على الأخذ والإعطاء وعلى العافية والبلاء لانّ ذلك كله لمصالح العباد لايعلمونها فعليهم أن يحمدوه علىٰ كل حال .

ثم أخذ في تفخيم شأن ذلك الحمد وتعظيمه والمبالغة في وصفه إحتذاءً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال : « الحمدلله زنة عرشه الحمدلله عدد خلقه الحمدلله ملأ سمائه وأرضه » .

فقال عليه السلام : « حمداً يكون أرضى الحمد لك » اى يكون رضاك له أوفى و أعظم من رضاك بغيره و كذلك القول في : « أحبّ » و « أفضل » .

وقال عليه السلام : « ويبلغ ما أردت » اى هو غاية ما تنتهي إليه الارادة .

وقال عليه السلام : « لايحجب عنك » لانّ الاخلاص يقارنه والرياء منتف عنه و قال عليه السلام : « ولا يقصر دونك » اى لايحبس اى لامانع عن وصوله اليك وهذا من باب التوسع ومعناه انّه بريء من الموانع عن أثماره الثواب وإقتضائه ايّاه .

٨ـ وفيه في خطبة له :

قال عليه السلام : أوصيكم ايّها الناس بتقوى‌الله و كثرة حمده على آلائه إليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصّكم بنعمة وتداركم برحمة اعورتم له

فستركم وتعرّضتم لأخذه فأمهلكم.

٩- في قرب الاسناد باسناده عن ابن صدقة قال: كان من محامد الصادق عليه السلام: الحمد لله بمحامده كلّها على نعمه كلّها حتّى ينتهي الحمد إلى ما يحبّ ربّي و يرضى قال عليه السلام: وقال أبي رضي الله عنه: إنّ نبيّاً من الأنبياء قال: الحمد لله كثيراً حمداً طيّباً مباركاً فيه كما ينبغي لكرم وجهك وعزّ جلالك فأوحى الله اليه: عبدي لقد شغلت حافظيك والحافظ على حافظيك.

قال - ابن صدقة -: وهذا من محامد أبي عبدالله عليه السلام عند الشيء من الرزق اذا كان تجدّد له: الحمد لله الذي نعمته تغدو علينا وتروح ونظل نهاراً ونبيت فيها ليلاً فنصبح فيها برحمته مسلمين ونمسي فيها بمنّه مؤمنين من البلوى معافين الحمد لله المنعم المفضل المحسن المجمل ذي الجلال والاكرام ذي الفواضل والنعم الحمد لله الّذي لم يخذلنا عند شدّة ولم يفضحنا عند سريرة ولم يسلمنا بجريرة قال: وكان من محامده عليه السلام: الحمد لله على علمه والحمد لله على فضله علينا وعلى جميع خلقه وكان به كرم الفضل في ذلك ما الله به عليم.

١٠- في الخصال باسناده عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: شكر كلّ نعمة وإن عظمت أن تحمدالله عزّ وجلّ.

١١- في أمالي الطوسي عن شدّاد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا اله الاّ الله نصف الميزان والحمد لله يملأه.

١٢- وفيه باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه أمر يسرّه قال: الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصالحات وإذا أتاه أمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال.

١٣- في ثواب الأعمال باسناده عن الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال: الحمد لله كما هو اهله شغل كتّاب السماء قلت: وكيف يشغل كتّاب السماء؟ قال: يقولون: اللّهم انّا لا نعلم الغيب قال: فيقول: اكتبوها كما قالها عبدي وعليّ ثوابها.

١٤- فى مكارم الأخلاق : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء .

١٥- فى الدر المنثور عن عبدالله بن عمر : ان النبى صلى الله عليه وآله قال : ان نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنه : إنى قاصر عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين : آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعن فى كفة و وضعت لا اله الا الله فى كفة لرجحت بهن ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا اله الا الله وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء وأنهاك عن الشرك والكبر .

١٦- فى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس شىء أحب إلى الله من الحمد ولذلك حمد نفسه ليقتدى به فى حمده .



﴿ النعم والحمد ﴾

روى الحميري رضوان الله تعالى عليه في قرب الاسناد باسناده عن إبن صدقة عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال : من راى يهودياً اونصرانياً أومجوسياً أو احداً على غير ملّة الاسلام فقال : الحمدلله الذى فضّلني عليك بالاسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبمحمّد نبياً وبعليّ إماماً وبالمؤمنين اخواناً وبالكعبة قبلةً لم يجمع الله بينه وبينه في النار أبداً .

وروى الصدوق قدس سره في الامالي باسناده عن العيص عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من نظر إلى ذى عاهة أومن قدمثّل به أوصاحب بلاء فليقل سرّاً في نفسه من غير أن يسمعه : الحمدلله الذى عافاني مما ابتلاك به ولو شاء لفعل بي ذلك ثلاث مرّات فانّه لايصيبه ذلك البلاء ابداً .

وفي رواية : عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل الذكر لااله الاّ الله وأفضل الدعاء الحمدلله .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي : قال عمر بن الخطاب لعلي عليه السلام : لااله الاّ الله وسبحان الله والله اكبر قدعرفناها فما الحمدلله قال علي عليه السلام : كلمة أحبّها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحبّ أن تقال .

وروى المجلسي قدس سره في البحار عن سنان بن طريف قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام خشيت أن أكون مستدرجاً قال : ولم ؟ قلت : لأنّي دعوت الله أن يرزقني داراً فرزقني ودعوت الله أن يرزقني ألف درهم فرزقني ألفاً ودعوته أن يرزقني خادماً فرزقني خادماً قال : فأيّ شيء تقول ؟

قال : أقول : الحمدلله قال : فما أعطيت أفضل مما اعطيت .

وفيه : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ الرجل من امتي يخرج إلى السوق فيبتاع القميص بنصف دينار أوبثلث دينار فيحمدالله إذا لبس فما يبلغ ركبته حتى يغفر له .

وفيه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ المؤمن يشبع من الطعام والشراب فيحمدالله فيعطيه الله من الأجر ما يعطى الصائم إنّ الله شاكر يحبّ أن يحمد .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أحسنتم فاحمدوا الله وإذا أسأتم فاستغفروا الله .

وروى الطبرسي رضوان الله تعالى عليه في مكارم الأخلاق عن الصادق عليه السلام قال : ما انعم الله على عبد مؤمن نعمة بلغت ما بلغت فحمدالله عليها إلاّ كان حمدالله أفضل وأوزن وأعظم من تلك النعمة .

وروى الشيخ الطوسي رحمة الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن عبدالله بن بكير عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو انّ الدنيا كلّها لقمة واحدة فأكلها العبد المسلم ثم قال : الحمدلله لكان قوله : ذلك خيراً له من الدنيا وما فيها .

وفي رواية : عن أبي جعفر عليه السلام : إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا شرب الماء قال : الحمدلله الّذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً واجاجاً بذنوبنا .

وفي نهج البلاغة قال امير المؤمنين علي عليه السلام :

إحمد من يغلظ عليك ويعظك لامن يزكّيك ويتملّقك .

وفيه : قال عليه السلام : اذا اردت ان تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد .

وفيه : قال عليه السلام : من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة .

وفيه : قال عليه السلام : من لم يحمدك على حسن النيّة لم يشكرك على جميل العطيّة .

﴿الحمد ومراتبه﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن بكر بن اسحق بن عمّار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لأحد من أصحابه: يا أبا اسحق ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وجهر بحمدالله عليها ففرغ منها حتى يؤمر له بالمزيد.

و روى المجلسي قدّس سرّه في البحار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الشكر للنعم إجتناب المحارم وتمام الشكر قول: «الحمدلله رب العالمين».

ان للحمد مراتب ثلاث:

احدها ـ الحمد القولي وهو على اللسان بالمأثور وثنائه على المنعم على ما أنعمه.

ثانيها ـ الحمد الفعلي وهو إتيان الاعمال البدنية والمالية من العبادات والخيرات إبتغاءً لوجه الله جلّ وعلا.

فكما انّ الحمد واجب على كل انسان باللسان كذلك واجب عليه بحسب مقابلة كل عضو عند كل حال من الاحوال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمدلله على كل حال» وذلك لا يمكن الاّ باستعمال كل عضو وما أنعم الله عليه فيما خلق لأجله وأعطيه أن يصرف في محله المشروع انقياداً لأمره والاجتناب عمّا نهاه عنه إطلاقاً.

ثالثها ـ الحمد القلبي وهو معرفة العبد وليّ نعمه بأنّ هذه النعمة من اين جائت ومتى وصلت اليه نعمة في الدين ونعمة في الدنيا نعمة تحصل بها سعادته وخيره وعزته وصلاحه في الدارين قال تعالى: «وما بكم من نعمة فمن الله» فكمال الحمد الّذي يزيد الرّزق ما كان جامعاً للمراتب الثلاث والإخلال في المراتب هو الاخلال في

تأثير الحمد بلاريب .

وقال بعض الاعلام من المفسرين : ان الحمد من أشباه الاذكار كالتسبيح والتهليل فيكون من المساعى الظاهرة والشكر من أشباه النيّات والأخلاق كالصبر والتفويض والرضا فيكون من المساعى الباطنة وان الشكر يقابل الكفر والحمد يقابل اللوم وان الحمد أعم واكثر والشكر أخص وأقل لقوله تعالى : « وقليل من عبادى الشكور » .

فمعناهما متمايزان ، فان الحمد هو الثناء على أحد بالفعل الجميل وأمّا الشكر فهو الطاعة بجميع جوارحه لرب العالمين سراً وعلانية وهذا هو قول الجمهور : ان الشكر هو صرف العبد جميع ما انعمه الله تعالى عليه فيما خلق لأجله وهو أداء الطاعات ظاهراً وخفاءً واجتناب المحارم كذلك .

وهذا هو الّذى يوجب تعظيم المنعم على مقابلة نعمه على حدّ يمنعه من جفاء حق المنعم و كفرانه بل تعظيم فى مقابل إحسانه .

وأمّا صرف الجوارح وسائر النعم فى محلها المشروع فلامرين : احدهما ـ لدوام النعمة وثانيهما ـ لحصول الزيادة لأن الشكر يقيّد النعم وبه تدوم وإلاّ تزول بلامراء ، لانّ كل صفة اوقوّة مخلوقة لغاية وفائدة فاذا صرفت فى محلها دامت الى أجل مسمّى وإلاّ زالت قبل ذلك قال الله تعالى : « ان الله لايغيّر مابقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم » .

وقال : « و كفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » .

وورد كثيراً « فقيّدوا النعم بالشكر » .

وأمّا الزيادة فلانّ الشيء اذا صرف فى مصرفه الطبيعى يوجب إشتداده وإزدياده قال تعالى : « لئن شكرتم لازيدنكم » .

وقال : « والّذين اهتدوا زادهم هدى » .

ومن المشاهد بين الناس انّ المولى الحكيم اذا راى عبده قد قام بحق نعمته يمنّ عليه بالنعمة الاخرى لما يراه اهلاً لها والاّ فينقطع عنه ذلك .

﴿حمد ومدح وشكر﴾

لافرق بين الحمد والمدح عند المتكلّمين فيقال : حمدت زيداً على أنعامه و مدحته على إحسانه وحمدته على شجاعته ومدحته على حلمه فهما سيّان وكان متعلقهما فعل الانسان ام لا .

وأمّا الشكر فلابدّ أن يقع على النعمة خاصّة ولايصدر إلاّ عن منعم عليه فلا يقال : شكر زيد عمراً لنعمة أنعمها عمرو علىٰ خالد من غير دخل لها فى حال زيد أصلاً ولو سروراً بذلك العمل .

وهم يقولون أيضاً : إنّ الحمد والمدح والشكر لابدّ وأن تكون باللسان مع انطواء القلب على الثناء والتعظيم للحميد والممدوح ولمن يشكره الشاكر فان استعمل شىء من ذلك فى الافعال بالجوارح كان مجازاً ، فتشترط مطابقة القلب للسان فى ذلك كله إذ إنّما الأعمال بالنيات .

وقيل : إنّ المدح أعم من الحمد والحمد أعم من الشكر فانّ المدح يحصل للعاقل ولغيره كمدح الانسان على فضائله ومدح اللؤلؤ على حسن صفائه .

وأمّا الحمد فلابدّ للفاعل المختار علىٰ ما صدر عنه من الانعام والاحسان و أمّا كون الحمد أعم من الشكر فانّ الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الانعام سواء كان ذلك الانعام واصلاً إلى الحامد أم إلى غيره وأمّا الشكر فهو عبارة عن تعظيمه لأجل الانعام الّذى وصل إلى الشاكر وحصل عنده قال الله تعالىٰ : « الحمدلله » ولم يقل المدح لله ايماء بانّ المؤثر فى وجود هذا الكون وما فيه فاعل مختار خلقه بقدرته ومشيئته .

ولم يقل : « الشكر لله » تنبيهاً على أن الله تعالى ينبغى له الحمد والثناء أوصل اليك النعمة ام لم يصل ظاهراً ، فلا يكون تعظيمه بسبب النعمة كما ان العبادة لله تعالى لاتكون طمعاً فى الجنة ولاخوفاً من النار وهى عبادة المخلصين .

قال اميرالمؤمنين عليه السلام : « إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك ولاطمعاً فى جنتك بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك » .

فقوله تعالى : « الحمدلله » معناه ان ماهية الحمد وحقيقته مسلّمة لله تعالى وقال : « واخر دعواهم ان الحمدلله رب العالمين » .

فالحمد هو الثناء على الفعل الحسن الصادر عن إرادة وإختيار كالا تفاق و الا نجاد فلا يقال : أحمدك على طول قامتك بل أمدحك على ذلك .

وان الحمد باللسان وحده فهوإحدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وآله : «الحمد رأس الشكر ما شكرالله عبد لم يحمده » .

فالحمد إحدى شعب الشكر باعتبار المورد وهو اللسان والشكر إحدى شعب الحمد باعتبار المتعلق وهو النعمة .

وقال بعض الاعلام : ان الحميد صفة ذات وان الشكور صفة فعل فلابد للانسان أن يحمدالله تعالى سواء وصلت اليه النعمة املا وقال : « ويهدى الى صراط العزيز الحميد » سباء : ٦ .

وقال : « والله هو الغنى الحميد » فاطر : ١٥ .

وأمّا الشكر ففى تجاه النعم قال : « ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » فاطر : ٣٠ .

وقال : « لئن شكرتم لازيدنكم » . والحمدلله رب العالمين .

﴿العالم وتكونه﴾

(الحمدلله رب العالمين)

قال‌الله تعالى: « ان ربكم‌الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك‌الله رب العالمين » الاعراف: ٥٤.

واعلم: ان العالم هو السماء والارض وما بينهما وما فيهما من الجواهر و الأعراض وعلى هذا المعنى جمهور الموحدين.

روى الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه فى العلل باسناده عن أبى‌اسحق الليثى عن أبى‌جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال ـ فى حديث طويل ـ: **إن‌الله** تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الاشياء لامن شىء ومن زعم ان‌الله عزوجل خلق الاشياء من شيء فقد كفر لانه لو كان ذلك الشيء الذى خلق منه الاشياء قديماً معه فى أزليته وهويته كان ذلك أزلياً بل خلق‌الله عزوجل الاشياء كلها لامن شيء.

اقول: إن الحادث هو الموجود المسبوق بالعدم والقديم هو الذى لم يسبقه العدم وان الدليل على كون كل ممكن حادث هو ان سبق العدم على الوجود دليل على حدوث هذا الوجود.

وذلك لان الضرورة قاضية على أنى مثلاً لم اكن موجوداً فى زمن نوح عليه السلام فالعدم سابق على وجودى فقس على نفسك سائر الممكنات وان كل ممكن ما كان ولايكون وجوده من نفسه بل انما يحتاج فى وجوده إلى موجد أوجده

فان الحادث قبل وجوده كان عدماً محضاً ونفياً صرفاً فلا تأثير للمعدوم لافي نفسه ولا في غيره.

إذ يلزم على الاول تأثير الشيء في نفسه قبل وجود نفسه وهذا محال وعلى الثاني يلزم أن يكون فاقد الشيء معطيه وهذا محال آخر فالحادث لمّا اتصف بالعدم تارة وبالوجود تارة اخرى كان ممكناً فيفتقر في ترجيح وجوده إلى غيره لاستحالة رجحان احد المتساويين على الاخر بلا مرجّح فيكون وجود الحادث من غيره حيث انّ نسبة الوجود والعدم لذات الممكن متساويتان فترجيح أحد المتساويين لايكون إلّا بمرجّح خارج عنهما وهو الواجب القديم الّذى خلق الاشياء من غير سبق وجودها.

وأمّا الدليل على كون الموجد قديماً فانّه لو كان الموجد ايضاً حادثاً لكان في وجوده ايضا مفتقراً إلى موجد آخر الى ان يلزم إمّا الدور وإمّا التسلسل و هما باطلان فلابدّ وأن تنتهى الاشياء الموجودة الى موجد محدث قديم وهو علة الوجود لكل ممكن وهو خارج من دائرة الامكان وهو الذى لايفتقر في وجوده الى غيره وهو الّذى يستحيل عليه العدم اولاً والانعدام اخراً.

روى الطبرسي قدس سره في الاحتجاج عن ابى الحسن الرضا عليه السلام:

دخل عليه رجل فقال له: يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟

فقال: انك لم تكن ثم كنت وقد علمت انّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من مثلك ـ إلى ان قال ـ: إنّى لمّا نظرت إلى جسدى فلم يمكنى فيه زيادة ولانقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة اليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فاقررت به مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب و تصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الايات العجيبات المتقنات علمت أنّ لهذا مقدراً ومنشأً الحديث.

أقول: إنّ هذه السيارات والكواكب الضخمة والّتى هي أسرع السيارات في الدوران على محورها فهذه العلاقات المنظمة توحى الينا انّ هناك يداً قديرة قد انشأت هذه الأفلاك والكواكب بحكمة فائقة ونظام بديع إلى أبعد الحدود.

قال تعالى: « الله الّذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » الروم : ٥٤ .

وهذا دليل على أنّ هذا العالم المتحرك متناهية أزمانه وأعيانه وحركاته و أكوانه وجميع ما فيه .

وكلما غاب عنّا من ذلك فهو يلحق فى النهاية ومن جانب آخر نجد العقل يتعلق بما لانهاية له ولولا ذلك لم يجد العقل دليلاً يفرّق ما بينهما .

فهناك مالا نهاية له وهو أزلىّ ليس بمقصور القوى ولامقدور ولامتجزّىء ولامنقسم فاذا وجدنا بالعقل شيئاً حادثاً له نهاية وشيئاً قديماً لانهاية له مع إستغنائه عن الاشياء الحادثة فيحكم العقل انّ القديم الغنى القادر العليم هو المحدث للاشياء وانّه هو الخالق وهو المبدع للاشياء من غير شىء .

إنّ الاشياء تدل على حدوثها : من دوران الفلك بما فيه وهى سبعة أفلاك وتحرّك الارض ومن عليها وانقلاب الأزمنة واختلاف الأوقات والحوادث الّتى تحدث فى العالم من زيادة ونقصان وموت وبلى واضطرار النفس الى الاقرار بانّ لها صانعاً ومدبّراً قادراً . . .

أما ترى الحلو يصير حامضاً والعذب مرّاً والجديد بالياً وكلّ الى تغيّر و فناء . . .

فالحركة والتغير والزمان من براهين حدوث العالم .

و فى الاحتجاج سئل زنديق أباعبدالله عليه السلام : من أىّ شىء خلق الله الاشياء؟ قال : لا من شىء .

فقال : كيف يجيىء من لاشىء شىء ؟ قال عليه السلام : إنّ الاشياء لاتخلوا امّا أن تكون خلقت من شىء أومن غير شىء فان كان خلقت من شىء كان معه فان ذلك الشىء قديم والقديم لايكون حديثاً ولايفنى ولايتغير ولايخلو ذلك الشىء من أن يكون جوهراً واحداً و لوناً واحداً فمن أين جائت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة فى هذا العالم من ضروب شتّى ومن أين جاء الموت أن كان

الشيء الذى أنشأت منه الأشياء حياً ؟

ومن أين جائت الحياة ان كان ذلك الشيء ميتاً ؟ ولا يجوز أن يكون من حيّ وميّت قديمين لم يزالا لأنّ الحي لايجيىء منه ميّت وهو لم يزل حياً ولايجوز أيضاً أن يكون الميّت قديماً لم يزل لما هو به من الموت لانّ الميّت لاقدرة له ولابقاء .

قال : فمن أين قالوا : إنّ الاشياء ازليّة ؟ قال : هذه مقالة قوم جحدوا مدبّر الاشياء فكذبوا الرسل ومقالتهم والانبياء وما انبأوا عنه وسمّوا كتبهم اساطير ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم انّ الاشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه و هي سبعة افلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت والحوادث الّتى تحدث فى العالم من زيادة ونقصان وموت وبلى واضطرار النفس الى الاقرار بانّ لها صانعا ومدبّراً ألاترى الحلو يصير حامضاً والعذب مرّاً والجديد بالياً و كل الى تغيّر وفناء ؟ قال : فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث الّتى أحدثها قبل أن يحدثها ؟

قال عليه السلام : فلم يزل يعلم فخلق ماعلم . قال : أمختلف هو ام مؤتلف ؟

قال : لايليق به الاختلاف ولاالايتلاف وانّما يختلف المتجزّى ويأتلف المتبعّض فلايقال له : مؤتلف ولامختلف .

اقول : قوله عليه السلام : «ولايخلو ذلك الشيء من ان يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً فمن أين جائت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة» اشارة الى قاعدة : «الواحد لايصدر منه الاواحد» .

ولايخفى انّ هذه النظرية الفلسفية تعنى الواحد المادّى ، غير العالم المختار فيحيل صدور الكثير من الواحد المادّى .

وامّا الواحد الالهى الّذى له العلم والارادة والاختيار غير المتناهية فهذا يصدر منه الكثير حسب ارادته واختياره وبين الواحدين بوناشاسعا بين العلم والحكمة والارادة وأضدادها . . .

ولايخفى الفرق بين بناء الدار وتكوين العالم فتشبيه العالم بالدار باعتبار أن لايمكن البناء بدون البنّاء لافى اصل المادة ، لان بناء الدار تركيب وتأليف من أشياء هي موجودة بأعيانها قائمة بذواتها من التراب والماء والحجارة والجص* والاجر والحديد اوالخشب وماليها . . . وأمّا خلق العالم إحداث وإبداع وإختراع من العدم إلى الوجود والمثال في ذلك هو كلام المتكلم و كتابة الكاتب فان* احدهما يشبه الابداع وهو الكلام والاخر يشبه التركيب وهو الكتابة .

ومن أجل ذلك صار اذا سكت المتكلّم بطل وجدان الكلام واذا امسك الكاتب لايبطل الموجود من الكتابة .

فوجود العالم من الله تعالى كوجود الكلام من المتكلّم فتدبّر واغتنم .



﴿ العالم واصله ﴾

اعلم أنّ هناك طوائف ثلاث :

طائفة تقول : إنّ أصل العالم هو المادّة .

وطائفة تقول : إنّ أصله هو الروح .

وطائفة تقول : إنّ أصله هما معاً ولا رابع هيهنا .

اما الطائفة الاولى فيقولون : اننّا نرى لنا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وشحم ودم وما اليها من الأجزاء والأعضاء ...

ثم نرى الارض التى نعيش على ظهرها وما عليها من الحجر والشجر والماء وما اليها فلاريب ان هذا هو الاوّل وهذا هو الاخر وأمّا الحركات والعقول والشعور والاحساس وما اليها من القوى الخفيّة فكلّها من نتاج هذه المادة وهل الفكر الاّ حركات فى المادة كحركات النمو والذبول وهل الموت والحياة الاّ أحوال تعترى المادة .

واما الطائفة الثانية فيقولون : كلاّ ثم كلا ماهذه المادة لأنّ المادة هل هى الاّ عدم محض وكيف لاتكون عدماً محضاً وقد عرف الناس اليوم انّ العالم لا مادّة فيه وهل المادّة الاّ وهم وكذب صراح ؟

من أين جائت هذه المادة فليس لها وجود ولاشيء عندنا سوى الأثير وهو ليس بمادة والأثير ان هو الاّ عالم أشبه بخيالنا لانحسّ به وانما أدركته عقولنا وهذا الأثير بالحركات المتتابعات فيه المختلفات كثرة وقلة يكون ضوئاً و حرارة وشجراً رحجراً وشمساً وقمراً . . .

فالضوء يحتاج الى حركات في الثانية من (٤٠٠) مليون مليون الى (٧٠٠) مليون مليون .

والجوامد كلّها تحتاج الى نحو ستة آلاف مليون مليون حركة في الثانية هذه هي المادة اولها وآخرها ماهي الاّ حركات في شيء يشبه خيالنا ، فإذن العقل هو المسيطر على هذا العالم فجسمي والاجسام حولي نتائج حركات ظهرت لحواسنا فسمّيناها باسماء مختلفات لاغيروالاّ فهي لاوجود لها ولادوام .

و اما الطائفة الثالثة فيقولون : إنّ الحق انّ هنا مادة وروحاً تدبّرها وانّ العالم كلّه لم يخرج من مادة ومن شيء آخر بحرّ كما وانّ لكل شيء روحاً يناسبه روحاً جمادياً وروحاً نباتياً وروحاً حيوانياً وروحاً انسانياً وروحاً ملكوتياً إمتزجت بأجسام تناسبها لعلاقة أحدهما بالاخر .

حتى ضربهما الشاعر مثل تزاوج المعنى بالكلم في قوله :

و كم معنى بديع تحت لفظ	هنالك مزاوج كل ازدواج
كراح في زجاج او كروح	سرت في جسم معتدل المزاج

والطائفة الاخيرة : هم ثلاث فرق :

الفرقة الاولى : اهملوا أمر الجسم وعكفوا على إصلاح الروح وهم يقولون : انما الانسان هو نفسه وروحه وهي القوّامة عليه والمدبّرة له والحافظة لشكله والساعية لتنميته تدبر احشاءه وتغذى اعضاءه وتتولى شأنه وان هو الاّ عناصر مؤلفة يلحقها الردى ويعروها البلى بعد الموت فالجسم يؤول أمره إلى العدم كما كان عدماً من قبل .

الفرقة الثانية : نبذوا الروح ورائهم ظهرياً كأنّهم لايعيشون واتبعوا في سيرهم امر جسمهم وقالوا : مما الانسان إلاّ الجسم وماالروح إلاّ عرض من الأعراض كسواد الجسم وبياضه وطول قامته وقصره .

وانّ الجسم حامل الروح وحافظها وانّ الجسم جوهر لايفنى الاّ وبالموت هي عرضه .

والفرقة الثالثة : يقولون : إن الجسم والروح هما جوهران مزدوجان وهما عينان لازمان لمعنى الانسان فهم لم يغمطوا الروح حقّها ولم يسلبوا الأجسام حظّها بل راعوا الجانبين ونظموا ادارة الجسم كما اداروا مملكة الروح فادّوا حقهما .

ولايخفى انّ القائلين بالمادة ينكرون ماسواها من الله تعالى والروح والملائكة والشياطين والأجنة . . . بالتمام .

ويقولون : إن المادة تتحرّك من نفسها حيث انّه لاقوّة إلاّ بالمادة ولا مادة بلا قوة .

وبعضهم يقولون : انّ الروح جسم طبيعي ارتقى لم تدركها حواسنا وهم الّذين سمّوا بالماديين وهم متقدمون على القائلين بالروح فقط وهم الّذين سمّوا بالمذهب الروحاني فقط وهم يقولون : أساس الموجودات شيء واحد و هو الروح وهناك نقط روحية لاعدلها و كل نقطة من هذه تسمّى (الذرة الروحية) وهذه الذرة خلقها الله تعالى و كل جوهر فرد مركب من مجموعة من هذه الذرات وعدم قبول الجوهر الفرد للقسمة امر ظاهري لاغير والاّ فهو يقسم الى ما لانهاية له ، لانّه مركب من أرواح حيّة و كل جسم مركب من ذرّات روحيّة وهذا الامتداد الّذى نراه فى الاجسام ناشيء من إجتماع ذرّات روحية وحقائق الاشياء هي هذه الذرّات الروحية وقد جعل الله تعالى تلك الذرات مراكز للقوة ومنحها قوّة ادراكيّة وهي مختلفة الأشكال والأحوال كثيرة التغيّر وهذه الذرات مرآة العوالم الحية .

وهي إن شعرت فهي الحيوان وإن لم تشعر فهي الجماد فكل ذرّة لها جسم وروح والروح هي الحقيقة والجسم مظهرها وان المادة لاوجود لها في الخارج وانما ذلك خيال ولاوجود الاّ للروح والعقل .

﴿ العالم وحدوثه ﴾

روى **الصدوق** رحمة الله تعالى عليه في التوحيد : إن ابن أبي العوجاء حين كلّمه أبوعبدالله عليه السلام عاد اليه في اليوم الثاني فجلس وهو ساكت لاينطق فقال أبوعبدالله عليه السلام: كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه ؟

فقال : أردت ذاك يا بن رسول الله فقال أبوعبدالله عليه السلام : ماأعجب هذا تنكر الله وتشهد أنّي إبن رسول الله ؟ فقال : العادة تحملني على ذلك فقال له العالم عليه السلام : فما يمنعك من الكلام ؟ قال : إجلالاً لك ومهابة ماينطق لساني بين يديك فانّي شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثل ماتداخلني من هيبتك .

قال : يكون ذلك ولكن افتح عليك بسؤال وأقبل عليه فقال له : أمصنوع أنت أوغير مصنوع ؟ فقال عبدالكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع فقال له العالم عليه السلام : فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فبقي عبدالكريم مليّاً لا يحير جواباً وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول : طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن كل ذلك صفة خلقه (صنعة خلقه خ) فقال له العالم عليه السلام : فان كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الامور . . .

فقال له عبدالكريم : سئلتني عن مسئلة لم يسئلني عنها أحد قبلك ولايسئلني أحد بعدك عن مثلها فقال له أبوعبدالله عليه السلام : هبك علمت انك لم تسئل فيما مضى فما علمك أنك لاتسئل فيما بعد ؟ على انك ياعبدالكريم نقضت قولك لانك تزعم

انّ الاشياء من الاوّل سواء فكيف قدّمت وأخّرت ؟

ثم قال : قال : ياعبدالكريم أزيدك وضوحاً أرايت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل : هل في الكيس دينار ؟ فنفيت كون الدينار في الكيس فقال لك قائل : صف لي الدينار و كنت غير عالم بصفته هل كان لك ان تنفي كون الدينار عن الكيس وانت لاتعلم ؟

قال : لا ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : فالعالم اكبر واطول واعرض من الكيس فلعلّ في العالم صنعة من حيث لاتعلم صفة الصنعة من غير الصنعة فانقطع عبد الكريم وأجاب الى الاسلام بعض أصحابه وبقي معه فعاد في اليوم الثالث .

فقال : اقلّب السؤال ؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام : اسئل عما شئت فقال : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال : انّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً الّا واذا ضمّ اليه مثله صار اكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاولى ولو كان قديماً ما زال ولاحال لانّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ولن تجتمع صفة الازل والحدوث والقدم والعدم في شيء واحد فقال عبدالكريم :

هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ماذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الاشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدثها ؟

فقال العالم عليه السلام : انّما نتكلم على هذا العالم الموضوع فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لاشيء أدلّ على الحدث من رفعنا اياه ووضعنا غيره ولكن اجبتك (اجيبك خ) من حيث قدّرت أن تلزمنا وتقول : إنّ الاشياء لودامت على صغرها لكان في الوهم انّه متى ماضمّ شيء الى مثله كان أكبر وفي جواز التغيير عليه حزوجه من القدم ، كما بان في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراثه شيء يا عبدالكريم فانقطع وخزى فلمّا ان كان من العام القابل إلتقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إنّ إبن أبي العوجاء قد أسلم فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لايسلم فلما بصر بالعالم قال :

سيدى ومولاى فقال له العالم : ماجاء بك الى هذا الموضع ؟ فقال : عادةالجسد وسنّة البلد الحديث .

قوله عليه السلام : «فلعلّ في العالم صنعة من حيث لاتعلم صفة الصنعة من غير الصنعة» يعني بذلك انك لاتخلو من حالتين :

احدهما ـ امّا انك تعلم صفة الصنعة و تجدها في نفسك اذاً فاجعل نفسك مصنوعاً .

ثانيهما ـ اولاتعلمها فأنت اذاً في ريب وتتردد : هل توجد في العالم صفة الصنعة ام لا ـ فليس لك أن تنفي عن العالم الصنعة والحدوث ويدعي له الازلية .

فقلب ابن أبي العوجاء السئوال فقال : ما الدليل على حدث الأجسام اذا كنّا في ريب في صفة الصنعة عن غيرها ؟

فأجابه الامام عليه السلام بظاهرتي التركب والتغير في المادة انهما من البراهين القاطعة على حدوثها ، فيستدل بتوارد الحالات على المادة على حدوثها فان الحالات المعتورة على شيء من اكبر البراهين على انّ ذلك الشيء ليس أزلياً لانّ الازلي لاتعرضه صفة الحادث ، ثم أخيراً يستدل بامكان تطور الحالات في المادة على استحالة أزلية المادة فان الازليّ محال أن يعتوره مختلف الحالات إستحالة إتصاف النقيض بنقيضه .

وروى الطبرسي في الاحتجاج : من سئوال الزنديق الّذي سئل أباعبدالله عليه السلام عن مسائل كثيرة ـ إلى أن قال ـ : فأخبرني عمن زعم انّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ويذهب قرن ويجيئ قرن تفنيهم الأمراض والأعراض و صنوف الافات يخبرك الاخر عن الاوّل وينبئك الخلف عن السلف والقرون عن القرون انهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات في كل دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس بصير بتأليف الكلام ويصنّف كتاباً قد حبّره بفطنته وحسّنه بحكمته قد جعله حاجزاً بين الناس .

يأمرهم بالخير و يحثهم عليه و ينهاهم عن السوء والفساد ويزجرهم عنه

لئلايتهاوشوا ولايقتلوا بعضهم بعضاً قال عليه السلام : ويحك ان من خرج من بطن امه أمس ويرحل عن الدنيا غداً لاعلم له بما كان قبله ولاما يكون بعده ثم انه لايخلو الانسان من أن يكون خلق نفسه أو خلقه غيره أو لم يزل موجوداً فما ليس بشيء لايقدر على أن يخلق شيئاً وهو ليس بشيء وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً ، يسئل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه ولو كان الانسان أزلياً لم تحدث فيه الحوادث لان الازلي لاتغيره الايام ولايأتي عليه الفناء مع انا لم نجد بناء من غير بان ولاأثراً من غير مؤثر ولاتأليفاً من غير مؤلف فمن زعم ان أباه خلقه قيل : فمن خلق أباه ؟ ولو أن الاب هو الذي خلق إبنه لخلقه على شهوته وصوره على محبته ولملك حياته ولجار فيه حكمه ولكنه ان مرض فلم ينفعه وإن مات فعجز عن رده ان من استطاع أن يخلق خلقا وينفخ فيه روحاً حتى يمشي على رجليه سوياً يقدر أن يدفع عنه الفساد .

و **روى الصدوق** رحمة‌الله تعالى عليه في الامالي باسناده عن هشام بن الحكم قال : دخل أبوشاكر الديصاني على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال له : إنك احد النجوم الزواهر وكان آباؤك بدورا بواهر وامهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من اكرم العناصر ، وإذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر فخبرني ايها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدث العالم ؟ فقال الصادق عليه السلام : يستدل عليه بأقرب الاشياء قال : وما هو ؟ فدعا الصادق عليه السلام ببيضة فوضعها على راحته ثم قال : هذا حصن ملموم داخله غرقيء رقيق تطيف به فضة سائلة وذهبة مايعة ثم تنفلق عن مثل الطاوس ادخلها شيء ؟

قال : لا ، قال : فهذا الدليل على حدث العالم قال : اخبرت فأوجزت وقلت فاحسنت وقد علمت انا لانقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا ولمسناه بأكفنا أوشممناه بمناخرنا أوذقناه بأفواهنا أو تصور في القلوب بياناً واستبطته الروايات ايقاناً .

فقال الصادق عليه السلام : ذكرت الحواس الخمس وهي لاتنفع شيئاً بغير دليل

كما لاتقطع الظلمة بغير مصباح .

ومن البراهين على حدوث المادة :

قول اميرالمؤمنين علي عليه السلام : « فحيث ان الاجسام لاتخلو من أن تكون مجتمعة أومتفرقة أومتحركة أوساكنة والاجتماع والافتراق والحركة والسكون محدثة علمنا أن الجسم محدث لحدوث ما لاينفك منه ولايتقدمه » فاستدل الامام علي عليه السلام من آثار الحدوث في المادة على إستحالة أزليتها وانها حادثة الذات ، فان الازلي لايتصف ـ ومحال أن يتصف ـ بصفات الحادث لاستحالة الجمع بين المتباينين المتناقضين وإن كان جمعاً بين الصفة والموصوف لان الموصوف لايتصف الا بما يلائمه من الصفات ـ لاما يناقضه كلياً والاجتماع والافتراق من صفات الجسم ـ كالحركة والسكون ـ فانه لااجتماع الا بعد إفتراق ولاإفتراق الا بعد اجتماع ـ وهما حادثان ـ وكذلك لاحركة إلا عن سكون ولاسكون إلا عن حركة ـ و هما حادثان ـ فالمادة اذا حادثة لحدوث ما لاينفك منه من الاحداث . . .

ثم المادة لاتتقدم هذه الاحداث بان كانت متحللة عنها قديماً ثم إتصفت بها إذ لامعنى للجسمية إلا ما تعتوره هذه الحالات أويمكن أن تعتوره وكفى بامكان عروض العوارض الحادثة ـ حكماً على حدوث هكذا المعروض ـ لان الازلي يستحيل فيه عروض الحوادث .

ثم على فرض تقدم المادة على العوارض كان عروضها عليها متأخراً : برهاناً لامرد له على حدوثها فان الأزلي لاتعرضه صفة الحادث .

سئل زنديق جعفر بن محمد عليه السلام : ما الدليل على حدث العالم ؟

قال عليه السلام : وجود الأفاعيل التي دلت على ان صانعها صنعها الا ترى انك اذا نظرت الى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده .

اقول: وذلك ان الأفاعيل حادثة مختلفة منسجمة منظمة : فالفعل يدل على الفاعل ـ وإختلافه على نظمه يدل على حكمته ووحدته وعلمه وسواء في دلالة الفعل على حدوثه أكان الفاعل نفس المادة أم سواها فان عروض الفعل والتغير للمادة

أصدق شاهد على حدوثها لأنّ التغيّر صفة الحادث وهي لاتعرض الأزلي إطلاقاً .

فالفعل مهما كان يدل على أنّه حادث دون مراء .

سئل بعض الملحدين أحد المتكلّمين عن حدوث العالم فقال : هل من دليل على حدوث العالم ؟

قال : الحركة والسكون فقال : الحركة والسكون من العالم فكأنّك قلت : الدليل على حدوث العالم هو العالم فقال له : وسؤالك إيّاى كان عن العالم فاذا جئت بمسئلة من غير هذا العالم جئتك بدليل من غير هذا العالم .



شبهات على حدوث العالم

ودفع

اعلم انّ هناك شبهات لاتبتنى على أساس ولكن لدفعها لابد من ذكرها :

أما الشبهة الاولى : فانّ الماديين يحيلون الحدوث ويعتبرونه وهماً تافهاً لايملك اىّ مقوّم من مقوّمات الفلسفة التجريبية ولا القانون اللاوازية اذهو يقول : «انّ المادة لاتفنى ولاتستحدث» فالمادة لاتحدث من عدم ولاتنعدم .

فيقولون : لاحاجة لنا إلى اله يخلق الكون اذليس هناك مخلوق حتّى نفكّر فيمن خلقه لازليّة الكون واستحالة الحدوث فلاخالق ولامخلوق كما انّ الخالق عند الالهين لايحتاج الى خالق لازليّته .

دفعها : انّ العلوم التجريبية والتحليلات العقلية المبتنية على العلوم تحيل ازليّة المادة .

وأمّا قانون لاوازية فلايمتّ بصلة بالبيئة الفلسفية للكون : ازلية وحدوثا وعلى فرضه نحن الالهيون ابناء الدليل نقتفى أثره حيث يقودنا .

فالماديون أحالوا حدوث الكون حسب قانون لاوازية دون أن يحيلوا ازليته حسب العلوم التجريبية والتحليلات العقلية القاطعة ، فلابدّ لهم من برهان قاطع لامردّ له اوّلاً انّ قانون لاوازية يقصد الجهة الفلسفية فى : «ان المادة لاتستحدث ولاتفنى» ومن دليل علمى عقلى ثانياً على إستحالة حدوث المادة اوالكون ومن برهان قاطع على امكان ازليّة الكون ثالثاً .

وانهم ما أتوا بشيء طوال كلامهم الاّ دعوى إستحالة الحدوث إستناداً الى

قانون جاف لاوازية دون أيّ برهان يملك أيّ مقوّم من مقوّمات العلمية ، مع انّ لاوازية لايعني بقانونه إلاّ البيئة الفيزيائية في تحوّلات المادة لاالفلسفية الّتي تعني حدوثها اوازليّتها ، فانّ لاوازيةعالم فيزيائي لايبحث ـ وليس له ان يبحث ـ عن المادة الاّ من الزاوية الفيزيائية لاالفلسفية .

فهويقول بقانونه : إنّ تلك التقلّبات والتغيّرات الماهويّة في المادة لاتحكم على ذات المادة بالحدوث بعد الزوال ولاالزوال بعدالحدوث وانما الحادث في كل حادثة وتقلّب مادىّ هو الصورة الطارئة على المادة والمادة في اصل ذاتها متحفظة بماهيتها المادية دون الصور الطارئة .

فاذا حدث مولكول «جزيى» من الماء من التركيب : HO٢ فهنا لم ينعدم الذرتان H و O ثم يحدث مولكول الماء فان «المادة لاتفنى ولاتستحدث» وانّما الفاني والحادث هناوهناك : الصور الطارئةعلى المادة حسب التقلبات الكيمياوية والفيزيائية فحسب .

وبعبارة اخرى : انّ العنصر المادى يتحوّل من طبيعة إلى اخرى[١] وينقلب من تركيب الى آخر وتتغيّر بذلك خواصّهما العنصرية وصورها الظاهرة ولايفقد خواصّه الذرية الاولى في حال من الأحوال ولاينقلب من الوجود إلى العدم ثم من هذا العدم إلى الوجود : عوداً للمعدوم إلى الوجود هذا رغم اولئك الّذين كانوا يفكرون في فناء المادة عبر التفاعلات الكيمياوية وحدوثها بعدالفناء كذلك .

وهم كانوا يعتقدون انّ التفاعلات الكيمياوية تؤدّى إلى انعدام اوحدث بعض الاجزاء المادية .

فالفحم عنديحترق ينعدم جزءاً من المادة وكذلك الحديد اوالزئبق عندما يتأكسد تحدث مادة جديدة فاثبت لاوازية لاوّل مرّة : ان التفاعلات الكيمياوية لاتحدث المادة ولاتعدمها فقدحللاكسيد الزئبق الى عنصرين : الزئبق والاوكسجين وقدر كلا منهما فراى انّ وزن المجموع يساوى وزن الاوكسيد قبل الانحلال .

وبالرغم منهم قال لاوازية : «ان المادة لاتحدث من عدم كما انها لاتنعدم» .

ثم انّ لاوازية لوعنى الجهة الفلسفية فى قانونه فكان هوممن يدّعى ازليّة المادة فلابدّ له من برهان دون أن نقتفى أثره على العمياء فنصدقه فنحيل حدوث المادة بلادليل الاّ انّ لاوازية يقول : ...

الشبهة الثانية : ان لم يكن العالم المادى أزليًا وقلنا : انه حادث مخلوق لزم من ذلك بان العالم قدوجد من العدم وان الله خلق الاشياء من عدم وهذا امر محال لايوافقه العلم الحديث .

دفعها: انّ العلوم الحديثة تؤكّدلنا انّه لايمكن وجود شىء من العدم وهذا دليل على وجودالله تعالى، الاّ انّ بعض الأعراض قدتحصل من إنفصال شىء عن شىء آخر كما انّ اتصال شىء يؤدّى إلى وجود أعراض جديدة ولكن العرض ليس بجوهر ولابدّ لوجودها وجود اشياء اخرى قبلاً .

ولاشك انّ الله تعالى قدأبدع الاشياء بقدرته ولولا قدرته والطاقات الّتى أوجدها بقوله : «كن» لما وجد شىء ابداً « انّما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الّذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون» يس : ٨٢و٨٣.

وأمّا كيف قول الله تعالى : «كن» يؤدّى الى إبداع السموات والارض ووجود هذه الطاقات الهائلة الّتى قدا كتشف أخيراً انّها هى الاساس فى تكوّن هذا الكون فهذا ممالم يجعل الله تعالى للبشر مجالاً إلى معرفته .

وقال : « مااشهدتم خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم» الكهف : ٥١ .

وقال: « وما امر نا الاّ واحدة كلمح البصر» القمر : ٥٠ .

وقال : «انا كل شىء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩ .

فحقيق بالكيمياوى المؤمن أن تفيض عيناه بالدموع عندتلاوت الايات الكريمة لما يشاهد تلك التفاعلات بين العناصر بمقادير معيّنة واتجاهات ثابتة تؤدّى إلى وجود هذا الكون المملؤ بالعجائب والغرائب . . .

قال : «ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» الملك : ٣٠ .

انّ الطاقات التى أوجدهاالله بقولـه : « كن » اىان الطاقـات والقوى التى اوجدهاالله تعالى بارادته ومشيئته تكدست حسب النظريات الأخيرة فى علم الفيزياء فكانت مادة ، وانّ هذه المواد شكلت كما يشاءالله هذه العوالم .

اذ علم ان : F = MC = 2 : الطاقة الكامنة فى كتلة ماتساوى مربع سرعة الضوء مضروباً فى تلك الكتلة ، والطاقة هى فى المصطلح : الانرژى .

فسبحان من منح هذه الطاقات هـذه العوالم بعظيم قـدرته ورتبها خير ترتيب وليس لهذا الانسان مع عقله وقواه الخفية والظاهرة المحدودة وقابلياته المحدودة أن يعرف كيف انالله بقوله : « كن » يوجد هذه الطاقات فانّ نسبة قابلية الانسان المحدودة فى جميع الحقول الى قدرةالله تعالى كنسبة $\frac{ب}{\infty}$.

ومآل هـذه النسبة : الصفر فأنى للصفر أن يفهم اللانهايـة فهما تاما ويقف على كيفية خلقالله تعالى الخلق وإنقلاب إرادته جلّ وعلا إلى طاقـات هائلة وانّ هـذه الشبهة إن دلّت على شىء فانّما تدلّ على نفس متحجّرة وكبروغرور وطيش وانسحاب للعقل والفطرة .

إذا كان الانسان لايقـوى على معرفـة نفسه ولايتمكن من ان يتعرف الى حقيقة النفس اوالروح « ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربـى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » الاسراء : ٨٧ .

فأنّى له ان يعرف خلق الروح وخـالقها وخلق الكون وما فيه معرفة تامّة اذا كان الانسان لايقوى على معرفة حقيقة الجاذبية الارضية اوحقيقة القوة الكهربائية او حقيقة الالكترون فأنى له ان يعرف حقيقة خالق الجـاذبية وخـالق الضوء و الكهربائية وخالق الالكترون .

وهل ترى انّ المتناهى وهو هذا الانسـان فى مقدوره ان يحيط باللامتناهى وهوالله تعالى .

ومن غير مراء انّ ما خلقالله تعالى من عوالم تكاد لاتعدّ ولاتحصى وقد علم انـه تتشكل فى الكـون كرات جديدة وتبيد اخرى وانّ العلم الحديث ليعترف

بالعجز عن الاحاطة بما أودع الله من خواص وقوانين رياضية ومعادلات رصينة تربط حوادث الكون وأجزاؤه بعضها ببعض .

وان علم البشر بالنسبة لهذا العلم النهائى : (الخواص والقوانين الكونية) شيء ضئيل جدا : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مدداً » الكهف : ١٠٩ .

وان علم الله تعالى الّذى وضع هذه الخواص والقوانين لايتناهى ولايحاط به وان علم البشر كلّه بالنسبة إلى العلم المودع فى هذا الكون يكون هو صفراً فان نسبة المحدود الى غير المحدود صفر .

فكيف يقدر هذا البشر المحدود أن يرى خلقه ويشهد خلق الكون ويعرف خالق الكون معرفة تامّة وأن يحيط به إحاطة كاملة وهو فى الحضيض فبعظمة هذا الكون الذى لايمكن ان يوصل الى غوره بالكفر والخيال هذا الكون الذى فيه من النجوم ما لايصل شعاعها الينا الا بعد عشرات الالاف من الملايين من السنين الضوئية ـ السنة الضوئية هى عشر مليون مليون كيلومتر ـ وهذا الكون اللانهائى الواسع الأرجاء نتعرف الى عظمة خالقنا ونحن الاصغر غير المتناهى فى الصغر بالنسبة الى ما خلق الله من عوالم .

هذا هو الانسان وهذه هى العوالم .

فلا يستحى المادّيّون لو ارادوا أن خالق تلك العوالم فى تحاليلهم الكيمياوية او تجاربهم الفيزيائية اوبعين مجردة اومجهزة بمكبرة وغيرها ، وان الله سبحانه هو الّذى لايحدّه مكان ولازمان وهو خالق الكون وما فيه .

الشبهة الثالثة : انّ كل موجود لابدّ له من مكان يستقرّ فيه ولابد له من زمان يقع فيه وان العلوم الطبيعية الحاضرة تقول : بأن المادة موجودة فى الزمان والمكان .

اذن ليس فى الامكان ان نتصور وجود الخالق الازلى خارجاً عن الزّمان والمكان .

دفعها : انّ الله تعالى غنى عن الزمان والمكان لانّه ليس بمادة وقد كان

موجوداً من الازل دون أن يكون له ابتداء .

وهو الذى أوجد وأبدع الزمان والمكان ، ولامراء انّ المكان والزمان مفهومان يتفرعان عن المادة ، ولولا خلق الله تعالى السموات والارض والقمر لما كان هنالك زمان ولامكان وانّ الله تعالى موجود فى كل زمان ومكان وعندما نقول : انّ الله جلّ وعلا لازمانى ولامكانى نقصد بذلك انّه لايشبه سائر ما خلق من الموجودات بسبب احتياج هذه الموجودات كلّها إلى زمان ومكان ، اى انّ المكان لايحيط به و لاالزمان يحويه فلا يكون له سبحانه ظرفاً لانّه تعالى هو خالق هذين الظرفين (الزمان والمكان) على أنّ تطبيق ما يقال عن المحدود على غير المحدود (اللانهائى) وهو الله تعالى من الغباوة والقساوة بمكان وهو هراء لافلسفة .

وقد قال اميرالمؤمنين علي عليه السلام : « من قال : فيم ؟ فقد ضمّنه ومن قال : علام ؟ فقد أخلى منه ، كائن لاعن حدث ، موجود لاعن عدم ، مع كل شيء لابمقارنة وغير كل شيء لابمزايلة ، فاعل لابمعنى الحركات والالة » .

وفى الكافى : انه سئل اميرالمؤمنين عليه السلام : أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءً وارضاً ؟ فقال عليه السلام : « أين » عن مكان الله ولامكان .

و فيه : قال الرضا عليه السلام : هو ايّن الاين بلا أين و كيّف الكيف بلا كيف فلا يعرف بالكيفوفيّة ولابأينونيّة ولايدرك بحاسّة ولايقاس بشيء .

و فيه : سئل يهودىّ رسول الله صلى الله عليه وآله : أين ربك ؟ قال صلى الله عليه وآله : هو فى كل مكان وليس فى شيء من المكان المحدود قال : و كيف هو ؟ قال : و كيف أصف ربّى بالكيف والكيف مخلوق والله لايوصف بخلقه .

فالزمان والمكان من عوارض المادة حدثا معها ولم يسبق أحدهما الاخر فالزمان والمكان مفهومان إستمراريان لوجود المادة فما كانا قبل وجودها ، فاذا لم تكن مادة فلا زمان ولامكان وكان الله تعالى ولم يكن معه شيء .

العلوم الحديثة

واستحالة ازلية مادة العالم

انّ العلوم التجريبيّة تشهد على حدوث مادة الكون وتحيل ازليتها رغم ما يدّعي الماديون من دون ايّ برهان من استحالة حدوث المادة.

١- علم الكيمياء يحيل ازلية المادة :

يقول جون كليفلاند كوثران - دكتوراه من جامعة كورنل رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث اخصائي في تحضير التر ازول وفي تنقية التنجستين - : وتدلنا الكيمياء على انّ بعض المواد في سبيل الزوال اوالفناء ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والاخر بسرعة ضئيلة وعلى ذلك فان المادة ليست أبديّة ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازليّة اذ انّ لها بداية - ولأنّ كل ما له نهاية فله بداية لامحالة حيث النهاية علامة المحدودية والازلي الابدائي لاحدّ له - وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم : على أنّ بداية المادة لم تكن بطيئة او تدريجية بل وجدت بصورة فجائية وتستطيع العلوم ان تحدّد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه المواد وعلى ذلك فان هذا العالم المادى لابدّ أن يكون مخلوقا وهو منذ ان خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددّة ليس لعنصر المصادفة بينهامكان فاذا كان هذا العالم المادى عاجزاً عن ان يخلق نفسه او يحدد القوانين التي يخضع لها فلابدّ أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادى . . »

٢- علم الفيزياء يحيل ازلية المادة :

يقول : ادوارد لوثر كيسيل - اخصائي فيعلم الحيوان والحشرات - حاصل

على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا - استاذ علم الحياة ورئيس القسم بجامعة فرنسيسكو متخصص في دراسة اجنة الحشرات والسلامند والحشرات ذوات الجناحين - : « يرى البعض انّ الاعتقاد في ازليّة هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود اله ازليّ ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارة - المعبّر عنه بقانون « ترموديناميك » اى الحرارة والحركة وقد يسمى بقانون : « انتروبى » - يثبت خطأ هذا الرأى فالعلوم تثبت بكل وضوح : ان هذا الكون لا يمكن ان يكون ازليّاً فهناك انتقال حراريّ مستمر من الاجسام الحارة إلى الاجسام الباردة ولايمكن ان يحدث العكس بقوّة ذاتيّة بحيث تعود الحرارة فترتدّ من الاجسام الباردة إلى الاجسام الحارة .

ومعنى ذلك : ان الكون يتجّه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الاجسام وينضب فيها معين الطاقة ويومئذ لن تكون هناك عمليّات كيمويّة او طبيعيّة ولن يكون هناك اثر للحياة نفسها في هذا الكون .

ولمّا كانت الحياة - ولاتزال - قائمة - لايعنى بذلك ازليّة الحياة بل طول بقائها - ولاتزال العمليّات الكيموية والطبيعة تسير في طريقها فانّنا نستطيع أن نستنتج : انّ هذا الكون لايمكن أن يكون أزليّاً والاّ لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود .

وهكذا توصلت العلوم - دون قصد - إلى انّ لهذا الكون بداية وهى بذلك تثبت وجود الله لانّ ماله بداية لايمكن ان يكون قد بدء نفسه ولابد من مبدىء او محرّك اوّل اومن خالق هوإلا له (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السماوات والارض بل لايوقنون) ولايقتصر ما قدمته العلوم على اثبات : انّ لهذا الكون بداية - والواقع : ان الكون لايزال في عمليّة انتشار مستمر تبدأ من مركز نشأته واليوم لابد لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة الخلق أيضاً وهى فكرة تستشرف على سنن الطبيعة لانّ هذه السنن انّما هى ثمرة الخلق ولابدّ لهم أن يسلّموا بفكرة الخالق الّذى وضع قوانين هذا الكون لانّ هذه القوانين ذاتها مخلوقة وليس

من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق : هو الله !

وما أن أوجد الله مادة هذا الكون والقوانين التي تخضع لها حتى سخرها جميعا لاستمرار عملية الخلق عن طريق التطور » .

ويقول فرانك ألن ـ ما جستر و دكتوراه من جامعة كورنل استاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا من سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٤٤ م ، اخصائي في أبصار الألوان والبصريات الفيسيولوجية وانتاج الهواء السائل وحائز على وسام تورى الذهبي للجمعية الملكية بكندا ـ : « اذ نحن والماديون نشترك في الاذعان بازلية مّا في الكون فإمّا أن ننسب الازلية إلى عالم ميّت وإمّا أن ننسبها إلى اله حيّ يخلق وليس هنالك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين اكثر مما في الاخر و لكن قوانين « الديناميكا الحرارية » تدل على ان مكوّنات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانّها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض : هي الصفر المطلق ـ الصفر المطلق لا يعني الصفر المشهور بل هو الصفر الذي يفقد كافة درجات الحرارة والحركة الجزئية (المولكولية) والذرية (الأتومية) وما اليهما وفي هذه المرحلة تنعدم المادة اطلاقا فانها تلازم الحركة كينونة فمن هذه الجهة قوانين الديناميكا الحرارية تحكم بفناء المادة ذاتية الاّ أن تستمد مما ورائها : من الازلي المجرد اللانهائي ـ ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة ـ يعني الحياة المادة وهي وجود المادة ـ ولامناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عند ما تصل درجة حرارة الاجسام الى الصفر المطلق بمضي الوقت .

أمّا الشمس المحرقة والنجوم المتوهّجة والارض الغنية بأنواع الحياة فكلّها دليل واضح : على انّ اصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو اذاً حدث من الاحداث ومعنى ذلك : انه لابدّ لاصل الكون من خالق ازلي ليس له بداية ـ عليم محيط بكل شيء ـ قويّ ليس لقدرته حدود ولابد أن يكون هذا الكون من صنعه » .

ويقول رسل تشارلز آرنست ـ اخصائي علم الأحياء والنبات حاصل على

درجـة دكتـوراه من جامعة منيسوتا استاذ فى جامعة فرانكفـورت بالمانيا عضو الاكاديمية باندياتا مؤلف الكثير من البحوث البيولوجية ـ : « لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر لنا : كيف نشأت الحياة من عالم الجمادات ؟ فذهب بعض الباحثين إلى أنّ الحياة قد نشأت من البروتوجين اومن الفيروس أو من تجمّع بعض الجزئيّات البروتينية الكبيرة وقد خيّل الى بعض الناس انّ هذه النظريات قد سدّت الفجوة التى تفصل بين عالم الاحياء وعالم الجمادات .

ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلّم به : هو انّ جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادّة الحيّة من غير الحيّة قد بائت بخذلان وفشل ذريعين »

ويقول بيتروا ستونر ـ الحاصل على درجـة دكتـوراه فى الفلسفة من جامعة كاليفرنيا ـ : « إنّى قبل الشروع فى تدريس سفر التكوين كنت أعتقد : انّ المادة ازليّة أبديّة وان كنّا نستطيع أن نغيّر شكل المادة الا انّ الحالة الثانية ايضا مادة وهكذا كانت عقيـدة الكثيرة من العلماء فما أن اكتشفت الطاقة الذرية تبيّن : أن المادة يمكن أن تبـدّل إلى الطاقة والطاقة إلى المادة لذلك اصبحت فرضيّة الخلقة وحدوث العالم من الضروريات الواضحة العلميّة نجـد كثيراً من الاشياء حاسب العلم عمر تكونّها وحدوثها : كالارض والاحجار الشهابية والقمر والشمس و . . عمر العـالم بأجمعه وعلى التقريب نجـد عمر الكـون زهاء ستة بلائين عاماً » .

٣ـ علم النجوم يحيل ازلية المادة :

يقـول ايرفنج وليام نو بلوتشى ـ استـاذ العلوم الطبيعية حـاصل على درجـة الدكتـوراه من جامعة ايورا اخصائى الحياة البرية فى الولايـات المتحدة : « علم الفلك يشير إلى انّ لهذا الكون بداية قديمة وانّ الكون يسير إلى نهاية محتومة وليس مما يتفق مع العلم : أن نعتقد انّ هذا الكون أزلىّ ليس له بداية اوأبـدىّ ليس له نهاية فالكون قائم على أساس التغيّر وفى هذا الرأى يلتقى العلم بالدين » .

ويقول دونالدروبرت كار استاذ الكيمياء الجيولوجية حاصل على الدكتوراه

من جامعة كولومبيا اخصائى فى تقدير الاعمار الجيولوجية باستخدام الاشعائات الطبيعية - : « يستخدم فى الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الارض بدرجات متفاوتة من الدقة ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة إلى حد كبير وهى تشير الى ان الكون قد نشاء منذ نحو خمسة بلائين وعلى ذلك فان هذا الكون لايمكن ان يكون أزليّا ولو كان كذلك لما بقيت فيه اى عناصر اشعائية ويتفق هذا الرأى مع القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية » .



العالم بين الحدوث والقدم

روى الطبرسي رضوان الله تعالى عليه في الاحتجاج : ان ابن أبي العوجاء سئل الصادق عليه السلام عن حدث العالم فقال : ماوجدت صغيراً ولا كبيراً إلا اذا ضم اليه مثله صار أكبر وفي ذلك زوال وإنتقال عن الحالة الاولى ولو كان قديماً مازال ولاحال لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعدعدمه دخول في الحدث وفي كونه في الازل دخول في القدم ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحد الحديث . . .

ان الماديين يقولون : إن السلب قائم في وجه الايجاب وهما سائدان في المادة ويسعان كافة مجالاتها .

يقول استالين : «ان نقطة الابتداء في الديالكتيك ـ خلافا للميتافيزية : هي وجهة النظر القائمة على أن كل اشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية لأن لها جميعا جانباً سلبياً وجانباً ايجابياً ـ ماضياً وحاضراً ـ وفيهما جميعاً عناصر تضمحل اوتتطور» .

ويقول ماو تسي تونغ : «إن قانون التناقض في الاشياء ـ اى : قانون وحدة الأضداد هو القانون الأساسي الأهم في الديالكتيك المادي» .

ويقول لينين : «الديالكتيك بمعناه الدقيق هو دراسة التناقض في صميم جوهر الاشياء» .

ويقول كيدروف: « نفهم بكلمة المنطق الشكلي المنطق الذي يرتكز فقط على

قوانين الفكر الأربعة : الهوية والتناقض والعكس والبرهان ـ والذى يقف عند هذا الحد أمّا المنطق الديالكتيكى فنحن نعتبر انّه علم الفكر الذى يرتكز على الطريقة الماركسية المميّزة بهذه الخطوط الأساسية الاربعة : الاقرار بالترابط العام ـ وبحركة التطور ـ وبقفزات التطور ـ وبتناقضات التطور».

اذاً فجمع المتناقضين اى النفى والاثبات يعمّ كافّة مجالات الكون ـ فامكانية الجمع بينهما سائدة فى الكون اطلاقاً.

فلعلّ الكون بين الازليّة والحدوث لايجدهما تماماً ولايفقدهما تماماً فهو ازلىّ من جهة وحادث من جهة اخرى والحاجة إلى الخالق ليست إلاّ للحادث من كافة الجهات.

اجيب عنه : إن بين التناقض المحال وهذا الّذى يسمّونه تناقضاً ـ وليس تناقضا ولا من المحال بل هو أساس المادة المبتنية على جهتى النفى والاثبات فى حاق ذاتها ـ انّ بين هذين التناقضين بوناً شاسعاً ـ كما بين المحال والضرورى الوجود ـ فالتناقض السائد فى صميم جوهر الاشياء المادية ممّا لابدّ منه فى كيانها وجوهر ذاتها ـ اذ ان المادة ـ مهما كانت ـ انّها مركبة من شحنتى الموجبة والسالبة ـ فى أدقّ اجزائها الّتى تحمل جوهرية المادة ـ وهذا ليس تناقضاً ولامحالاً، وإليهما أشار تعالى[١] بقوله : «ومن كل شيء خلقنا زوجين» الذاريات : ٤٩.

وانّما التناقض المحال أن يكون مورد السلب والايجاب شيئاً واحداً فالشحنة السالبة محال أن تحمل الايجاب بنفس ماتحمل السلب وكذلك العكس بالنسبة للشحنة الموجبة.

وأخيراً إذا تساءلنا هؤلاء الذين يتأكدون من التناقض فى صميم جوهر الاشياء : أصحيح أن يقال : وكذلك عدم التناقض سائد فى صميم جوهر الاشياء ـ بالمعنى الّذى هو سائد فيها ؟ فهل انّهم يصدقون الجمع بين هاتين القضيتين ـ ام يتأكدون من الناحية الايجابية ـ وينكرون الناحية السلبية ـ كما يقول استالين : «ان نقطة الابتداء فى الديالكتيك الخ . .»

فانه يتأكد اولاً من نفي التناقض «خلافا للميتا فيزية» ثم من ايجابه ـ حسب زعمه : ان الفكرة الميتافيزية تتنافى وهكذا تناقض .

فهؤلاء اعتبروا المقارنة بين شحنتي السلب والايجاب في أجزاء المادة تناقضاً ـ رغم انه من الضروري ـ ثم قنطروها ـ زعم تناقضها لاثبات عدم استحالة التناقض المحال ايضاً رغم ان في التناقض المحال شروطاتلحق .

واقع التناقض ـ المزعوم :

يقول المادي : نحن نجد مجمع المتناقضين ومنفاهما نجدالجمع بينهما في الليل والنهار وهما متباينان متناقضان ـ نجدهما موجودين لوقت واحد ـ بل وفي كافة الساعات الأرضية ـ حسب إختلاف الافاق ـ نتيجة لما أوضحه العلم من كروية الارض وحركتها الوضعية والإنتقالية !

ونفي النقيضين نجده في المعدوم فانه يفقد وصفي الأزلية والحدوث كليهما .

اذاً : فما علينا أن نحتمل حمل الكون لكلا الازلية والحدوث أوفقده لكليهما ؟

شروط التناقض المستحيل :

اجيب عنه : إن الليل والنهار في افقين والازلية والحدوث في المعدوم انهما ليسا متناقضين إنما التناقض هنا بين الازلية والحدوث في موجود واحد : شخصي او كلي وهناك بين الليل والنهار في افق واحد لوقت واحد .

ومما لامراء فيه ان في تحقق التناقض شروطاً تسعة كلها تدور حول وحدة المصداق الذي يحيل فيه النقيضان : إجتماعاً وإرتفاعاً .

الوحدات التسعة في التناقض :

١ ـ وحدة الموضوع ٢ـ المحمول ٣ـ المكان ٤ـ الزمان ٥ ـ الشرط ٦ـ الاضافة ٧ـ الجزء والكل ٨ـ القوة والفعلية ٩ـ الحمل .

فاول الشروط أن يكون مجمع النقيضين ومنفاهما موضوعاً لاحدهما فحسب حتى يستحيل قبول النقيض الاخر او نفيهما معاً والعدم ليس موضوعاً لواحد من وصفي الازلية والحدوث حتى يعتبر جمعهما فيه اوانتفائهما عنه محالاً .

إذ انهما من أوصاف الموجود فالمعدوم ليس موضوعاً للأزليّة: حتّى يمتنع عن الحدوث ولاموضوعاً للحدوث حتى يمتنع عن الأزليّة: إمتناع الجمع بل يمتنع أن يتصف المعدوم المطلق بشيء من الوصفين لنفس الامتناع إجتماع النقيضين إذ ان العدم والوجود والمعدوم والموجود متناقضان فكيف يمكن الجمع بين العدم وبين شيء من أوصاف الوجود ومنها الازلية والحدوث؟

فكما ان العدم والوجود متناقضان كذلك أحدهما مع أوصاف الاخر وأوصاف كل مع أوصاف الاخر . . .

فالمعدوم المطلق: لا أزلي ولاحادث ، لانّه معدوم فلا يتصف بشيء من الوصفين فضلاً عنهما معاً فان فيه تناقضين.

١- تناقض وصفي الموجود والمعدوم ٢- تناقض هذين الوصفين اجتماعاً - مهماكان وأما الليل والنهار في فرض إختلاف الأفق فهما يفقدان شرط وحدة المكان والافق وأمّا هما في افق وزمان واحد فمستحيلان من غير مراء.

والازليّة والحدوث من أوصاف الكائن فانّه لايخلو من أحدهما: فالكائن إمّا ان له بداية فهو حادث «لم يكن ثم كان» أو ليست له بداية اطلاقاً: لازمنيا ولادهريا ولا.. فهو ازلي إذاً فبين الازلية والحدوث في الكائن بينونة الايجاب والسلب، كل ماكان امره دائراً بين الايجاب والسلب مع الحفاظ على الوحدات التسعة - استحال جمعهما فيه معاً اونفيهما معاً عن موضوع واحد لايتحمل الا احدهما.

إذاً فمن المحال إتّصاف كائن ما بكلا الازليّة والحدوث أو خلوّه عن كليهما فاذا سئلت المادى: هل يقال لك: انت موجود ومعدوم لحالة واحدة أو أنت أنت وغيرك لوقت واحد؟

فهو يجيبك: كلاّ فانه مستحيل.

فقل إذاً له: فالمحال محال أينما حلّ وليست الاستحالة هنا وهناك الاّ في الجمع بين السلب والايجاب لموضوع واحد يضمّ كافة الوحدات التسعة.

اذاً فمحال أن يتصف الكون باجمعه بكلا الوصفين المتناقضين او يخلو عن كليهما.

فإمّا انّه أزلىٌّ كلّه أوحادث كلّه أو انّ بعضه أزلىٌ والبعض الاخر حادث صدر منه .

فمقالات الماديين المنكرين لما ورائها ـ لا تملك ايّة برهنة مهماكانت ضئيلة إلاّ دعاوى ودعايات وخرافات يزخرفون بها خرافة اصالة المادة للبسطاء .

وان دعوى كون العالم بين الازلية والحدوث كدعوى ازلية العالم تماما لا برهان لها اىّ برهان لا عقلياً مجرداً ولا حسّيّاً تجريبيّاً إلاّ توهماً وخرصاً وظناً .

قال الله تعالى : «وقالوا ما هى الاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون» الجاثية : ٢٤ .



﴿ الحكمة وخلق العالم ﴾

ماأظن انساناً لايسئل نفسه عن ذلك أظهر السؤال ام لم يظهر مسلماً كان ام كافراً عالماً كان ام جاهلاً مذكراً كان ام مؤنثاً مدنياً كانام بدوياً.

ومن هنا كان السؤال عن ذلك اكثرمن الاسئلة التى تسئل عنها.

وهناك للماديين شبهات رسخت فى بعض الأذهان الجامدة فلا بدّ لنا البحث ههنا إجمالاً، وأمّا تفصيله ففى محله انشاءالله تعالى.

فاعلم أنّ كثيراً من الايات الكريمة الشريفة تصرح أنّ الحكمة فى خلق الكون وما فيه ومن تسخير الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والجبال والبحار ومن إثمار الاشجار وإجراء العيون ومن إرسال الرسل وإنزال الكتب كل ذلك لنيل الانسان بالكمال وظهورما أودعه الله تعالى فيه وهذا الانسان فى خيار بين إطفاء نور ما فيه من الإستعداد للكمال الانسانى فينقلب خاسراً وبين إضائته فينال بما ينال.

ومن الاسف انهذا الانسان الّذى خلق الله له الكون ومافيه وسخّره له جميعاً وهومعرض عن الله تعالى وآياته فينحط عن درجة الحيوانية عوضا عن رتبة الكمال الانسانى الّتى هى فوق رتبة الملائكة ولذلك امروا بسجدة صاحبها.

منها: قال الله تعالى: «ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الّذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا» آل عمران: ١٩٠و١٩١.

منها: قال تعالى: «خلق السموات والارض بالحق - والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل

اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ـ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون ـ هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون والقى في الارض رواسى أن تميد بكم وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون ـ الهكم اله واحد فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ـ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ـ والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ـ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون» النحل : ٣ـ٨١ .

ومنها : قال « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات : ٥٦ .

ومنها : قال « وهو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملاً » هود : ٧ .

ومنها : قال : «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً »الملك : ٢ .

ومنها:«وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا»ص:٢٧ .

قال الله تعالى فيهم : « ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا » الفرقان : ٤٤ .

يقول المادى : لوكان لهذا العالم خالق لكان له هدف وغاية من هذا الخلق ولكنا لانفهم القصد والغاية من هذا الخلق .

منهم : (هودسن تونل) الأمريكي وهو يقول : «ان القمر يدور حول نفسه مرة حين يكمل حركته الانتقالية حول الارض وهو يوجه جهة واحدة منه نحو الارض

ـ ألسنا محقين لو سئلنا عن السبب ؟ فلاقصد ولاغاية من ذلك اذ لو كان هناك قصد ظهر لنا وبان » .

ومنهم : (بوخنر) الآلماني المادي المعروف هو يقول : «لو كان لهذا العالم خالق لعلمنا الغاية من وجود هذا الفضاء الوسيع (السماوات) والغرض من سبح الانجم والسيارات فيه ولاستفادت أرضنا من الأنجم السيارة في المنظومة الشمسية و حيث لانستفيد ولانعلم الغاية من ذلك اذن ليس هنالك خالق خلق الاشياء تحت غاية معيّنة » .

نعم ما قال بعض الظرفاء : ان دليل الجاهل كلمة (ليس) ودليل المنكر حرف النفي (لا) قال الله تعالى : « وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » الجاثية : ٢٤ .

وليس ما يتقاوله الماديون من الشبهات امراً جديداً وإنّما هذه الشبهات هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت من ابليس في الخليفة الحقة الانسانية مصدرها استبداده واختياره الهوى في معارضته الامر .

وانشعبت منها شبهات وشبهات نشير اليها انشاءالله تعالى في موضوع (شبهات شيطانية) فهل ينبغي لهذا الانسان أن يركبه الغرور ويترك ما فيه كماله وعزّه وخيره وصلاحه ويذر ماله ان يسير به في عوالم الملكوت وفي ساحات القدس وفي عوالم الاطمئنان والحبور ما لايمكن أن يقاس بافراح هذا العالم المادي وما يترشح من المادة الصماء .

ويدع عبادة ربّه هذه العبادة التي تأخذ بمجامع قلبه وتأتيه اليقين .

« واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر : ٩٩ .

فطوبى لمن عرف لماذا خلق وعلم لما خلق الكون وما فيه فازداد معرفة بالله جلّ وعلا وحقق الغاية الرفيعة التي خلق هو لاجلها .

وهو الله تعالى يقول : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات : ٥٦ .

وفي حديث القدسي يقول مخاطباً لابن آدم : « خلقت الاشياء لاجلك و خلقتك لأجلي » .

وفى النهج قال اميرالمؤمنين على عليه السلام فى خطبة له :

سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وانهاراً وزروعاً وثماراً ثم ارسلت داعياً يدعو اليها الخطبة .

قوله عليه السلام : « خلقت دارا » يعنى الجنة « وزروعاً » اى وغروسا من الشجر قوله عليه السلام : « ثم ارسلت داعيا » يعنى الانبياء عليهم السلام .

و فيه : قال عليه السلام :

لم تخلق الخلق لوحشة ولااستعملتهم لمنفعة ولايسبقك من طلبت ولايفلتك من أخذت ولاينقص سلطانك من عصاك ولايزيد فى ملكك من اطاعك ولايردّ امرك من سخط قضائك ولايستغنى عنك من تولّى عن امرك كل سرّ عندك علانية و كل غيب عندك شهادة انت الأبد فلا أمدلك وانت المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد فلا منجى منك الاّ اليك بيدك ناصية كل دابّة واليك مصير كل نسمة .

سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصغر عظيمة فى جنب قدرتك وما أهول ما نرى من ملكوتك وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما أسبغ نعمك فى الدنيا وما أصغرها فى نعم الاخرة .

اقول : ان الامام علي عليه السلام يذكر انالله تعالى لم يخلق الخلق لاستيحاشه وتفرّده ولااستعملهم بالعبادة لنفعه ولايطلب أحداً يفوته ولايأخذ احداً يستطيع ان يفلت بحيلة من الحيل .

وقوله عليه السلام : « كل سر عندك علانية » اى لايختلف الحال عليه فى الاحاطة بالجهر والسر لانه عالم لذاته ونسبة ذاته إلى الامور كلها سواء ، « انت الابد فلا امدلك » اى الازل والأبد لاينفكّان عن وجوده تعالى .

و فيه قال عليه السلام فى خطبة له :

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولاتخوّف من عواقب زمان ولااستعانة على ندّ مشاور ولاشريك متكاثر ولاضدّ منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون .

عوالم
غير عالمنا هـذا

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الخصال باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لقد خلق الله عزوجل في الارض منذ خلقها سبعة عوالم ليس فيها من ولد آدم خلقهم من أديم الارض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه ثم خلق الله عزّ وجلّ آدم أبا هذا البشر وخلق ذريته منه لا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من أرواح الكفار العصات منذ خلقها عزّ وجلّ .

لعلكم ترون انه إذا كان يوم القيامة وصير أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة وصير أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار انّ الله تبارك وتعالى لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه بلى والله ليخلقن بالله خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم ارضا تحملهم وسماء تظللهم .

أليس الله عزوجل يقول : «يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات» ابراهيم :٤٨.

وقد قال عزوجل : «افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد» ق : ١٥ .

وفي التوحيد باسناده عن جابر بن يزيد قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : « أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد » قال : يا جابر تأويل ذلك ان الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عالماً غير هذا العالم وجدد خلقاً من غير فحولة

ولاناث يعبدونه فيوحدونه .

وخلق لهم أرضا غير هذه الارض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى انّما خلق الله هذا العالم الواحد و ترى[1] انّ الله لم يخلق بشراً غيركم بلى[1] والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت فى آخر تلك العوالم وأولئك الادميين .

وفى الدر المنثور : عن الحكم عن بعض ائمة الكوفة قال : قام ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقصد نحوهم فسكتوا فقال : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها أين تجيىء ؟ ومن أين تذهب ؟ وتفكرنا فى خلق الله فقال: كذلك فافعلوا تفكّروا فى خلق الله ولاتفكّروا فى الله فانّ لله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خاق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين .

قيل : يارسول الله من ولد آدم هم ؟ قال : مايدرون خلق آدم عليه السلام ام لم يخاق ، قيل : يانبى الله فأين ابليس عنهم ؟ قال : لايدرون خاق ابليس ام لم يخلق .

وفيه : عن ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن فى المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم انتم ؟

قلنا : نتفكر فى الشمس كيف طلعت و كيف غربت ؟ قال : احسنتم كونوا هذا تفكروا فى المخلوق ولاتفكروا فى الخالق فان الله خلق ما شاء لماشاء وتعجبون من ذلك .

انّ من ورائها سبع بحار كل بحر خمسمأة عام ومن وراء ذلك سبع ارضين يضيىء نورها لاهلها ومن وراء ذلك سبعين الف أمة خلقوا على أمثال الطير هو وفرخه فى الهواء لايفترون عن تسبيحة واحدة ومن وراء ذلك سبعين الف أمة خلقوا من ريح فطعامهم ريح وشرابهم ريح وثيابهم من ريح وآنيتهم من ريح ودوابهم من ريح لا تستقر حوافر دوابهم الى الارض الى قيام الساعة اعينهم فى صدورهم .

ينام احدهم نومة واحدة ينتبه وعند رأسه رزقه ومن وراء ذلك ظل العرش وفى ظل العرش سبعون الف أمة مايعلمون ان الله خلق آدم ولا ولد آدم ولا ابليس

ولا ولد ابليس وهوقوله تعالى : «ويخلق مالاتعلمون» النحل : ٨ .

اقول : ان الكون يطلق على ما نشاهده وما لانشاهده من الاجرام العلوية التى تسبح فى الفضاء .

ولاريب انّ الكائنات على سعتها و كثرة أجرامها ليست محدودة كمانراها بل انّ ورائها ظلمات فوق ظلمات وانوار فوق انوار غير متناهية بالنسبة الينا واليها اشار تعالى بقوله : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة » المعارج : ٤ .

وبقوله : « ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدّون» السجدة : ٥ .

لاتطيش العلماء سهامهم ولايضلّ سعيهم ولايظنون التنافى والتناقض بينهما بل هم يعلمون علماً ليس بالظن بان المقام ليس مقام تحديد اليوم بالف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وانما يراد مدة عظيمة عبّر عنها بما نعقله وانّ يومنا هذا(٢٤) ساعة وهذا مبنى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب اكبر من ارضنا وان السموات سبعة يبلغ بعض ايامه (٢٤) ساعة وبعضها الف سنة وبعضها خمسين الف سنة .

وانّ نسبة الكرة الارضية وما فيها من الجماد والنبات والحيوان والانسان بالنسبة إلى العوالم السماوية كنسبة فرد من هذه الانواع بالنسبة الى ما فى الارض جميعاً او كنسبة حبّة واحدة من الحنطة بالنسبة الى جميع الحنطة على مافى الارض .

وان النظريات التى توسّس لحلّ مشكلة النظام الشمسى اوتكوّن العوالم التى خلقها الله تعالىٰ بقدرته وقدّر فيها اقواتها فى هذا العالم الرحيب من مجرات لاتعدّ :

مجرات فى كل منها ملايين النجوم وملايين الشموس التى تبعد عنّا مسافات لاتقدر بملايين الاميال على ماثبت أخيراً هى نظريات مضطربة قلقة تعدّل من حين لاخر كلما عثروا على ظاهرة لايمكن أن تفسر على النظرية الموضوعة ذلك لأنّ الانسان لم يقف بعد على جميع ما أودع الله تعالى من قوانين فى علم

الميكانيك السماوى .

وماوضع من خواص تكاد لاتتناهى فى العناصر والأجسام . وهذه النظريات محاولات علمية تكشف عن بعض ما أودع الله جل وعلا من قوانين ميكانيكية وخواص طبيعية فى هذا الكون الرحيب .



الملكية الحقيقية والاعتبارية

(مالك يوم الدين)

اعلم أنّ الملكيّة عبارة عن إضافة حاصلة بين المالك والمملوك وهي عبارة اخرى عن الجدة غاية الامر انّ الجدة الحقيقيّة والواجدية الواقعية مخصوصة بمن له ملك السموات والارض فان الله جلّ وعلا هو الّذى يقدر على الايجاد والاعدام فهو الواجد الحقيقي والتعبير عن هذه الجدة بالاضافة الاشراقية يرجع الى هذا المعنى .

ومن غير مراء انّ من أعلى مراتب الجدة هذه الواجدية ونظيره في الانسان واجدية نفسه للصور العلميّة ، فانّها توجد بنفس انشاء النفس لها وتنعدم في هذا الصقع بنفس إعدامها .

فاحاطتنا بمنشئات انفسنا نظير ملكية الله سبحانه وقدرته وعلمه وأمّا الملكية الاصطلاحية الّتى هى من إحدى المقولات فهى اضعف رتبة وانزل درجة من الجدة الحقيقيّة .

وأمّا الجدة الاعتبارية فهى أضعف من المرتبتين السابقتين ولكن لها نحو تحقق في عالم الاعتبار وتكون هى منشأ للاثار وتتبدّل بها الأموال .

كما في قوله تعالى : «تؤتى الملك من تشاء» آل عمران : ٢٦ .

إيذان بانّ مالك الحقيقي هو الله تعالى بحيث يؤتى بمن كانت مشيّة الله جلّ وعلا على إيتائه لائقاً بذلك أم امتحاناً أو تعذيباً لغيره من الناس فمالكيّة غيره

تعالى إعتبارية مجازيّة بدلالة لفظ الايتاء وفى لفظ : «من» يعم العقلاء تنبيه بمنال الملك وإن لم يكن اهلاً له كما انّه تعالى قد يؤتى العزّة الظاهرة بمن لايليق بذلك امتحاناً له أوتعذيبا لغيره .

ولايخفى انّ الملكية الاعتبارية تستقيم بين العبيد ومواليهم مثلاً فيمايملكه الموالى منهم وأمّا مالايتعلق به الملك من شئون وجود العبيد ككونه ابن فلان و كونه طويل القامة اوقصيرها و كونه أسود أوأبيض فلا يتعلق به الملكية فتبعّضت ملكية العبيد لمواليهم فيكون شيء منهم ملكا لهم وشيء اخر غير مملوك لهم كما انّ لهم تصرفاً فيهم من البيع والاستخدام وليس لهم فيهم تصرف من وجه آخر كقتلهم بغير حق وامّا الملكية الحقيقية التى هى لله وحده فعلى خلاف هذا النعت فلا يشوب ملكه ملك من غيره ولاتسلب منها شيء ولاتتبعّض فما سوى الله تعالى ملك له جل وعلا فى جميع شئونه فهوتعالى مالك على الاطلاق من غير شرط و لاقيد .

ولامراء انّ الملكية الاعتبارية كلّها حادثة بحدوث أسبابها من الوراثة أو الكسب والتجارة أوالهبة والحيازة وماليها من الأسباب وتزول بزوال نفسها أوبموت صاحبها وأمّا الملكية الحقيقية فثابتة لله تعالى .

وفى تفسير القمى عن عبيدبن زرارة قال : سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول : إذا أمات الله اهل الارض لبث كمثل ماخلق الله الخلق ومثل ما اماتهم واضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ماخلق الله الخلق ومثل ما أمات أهل الارض وأهل سماء الدنيا والسماء الثانية واضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ماخلق الله الخلق ومثل ما أمات أهل الارض وأهل سماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة واضعاف ذلك فى كل سماء مثل ذلك واضعاف ذلك .

ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ماخلق الخلق ومثل ذلك كله و اضعاف ذلك ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ماخلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم أمات اسرافيل ثم لبث ماخلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم يقول الله عزّوجلّ :

« لمن الملك اليوم » فيرد على نفسه : « لله الواحد القهار » أين الجبارون ؟ أين الذين ادعوا معي الها اخر ؟ أين المتكبرون ونحوهم ثم يبعث الخلق .

قال عبيد بن زرارة فقلت : ان هذا الامر كائن طولت ذلك ؟ فقال : ارايت ما كان هل علمت به فقلت : لا ، قال : فكذلك هذا .

فملك الله تعالى حقيقي ناشىء عن إحاطته القيومية بجميع الموجودات وهذه الاحاطة بذاتها منشأ صدق مالك وملك على الله جل وعلا .

ومن ذلك يتضح ان نسبة مالك إلى الزمان إذا لم تصح في غير الله تعالى فلا يلزمها عدم صحتها فيه تعالى فهو مالك للزمان كما هو مالك لغيره .

ولا يخفى ان مالكيته تعالى ليوم الدين صفة ثابتة له لاتختص بزمان دون زمان .



العبد والعبودية والعبادة
وحقيقتها

(اياك نعبد)

العبد - إطلاقاً - الانسان حرّاً كان أم رقيقاً ذكراً كان أو انثى وإذا اضيف إلى غيرالله تعالى فيراد به المملوك ، وجمع الاوّل : عباد وجمع الثاني عبيد .

والعبودية - إطلاقاً - نصب العبد نفسه في مقام المملوكية لله جل وعلا والالتزام بشرائع دينه وتوحيد الله تعالى في عبادته .

والعبادة - إطلاقاً - الطاعة وغاية التذلل والخضوع لدى الله سبحانه وحده ، ومآلها هو الشعور بأنّ السلطة الغيبيّة التي هي وراء الأسباب العامة الموهوبة من الله تعالى لعباده كافة هي لله وحده ، « وما لي لاعبد الذي فطرني » يس : ٢٢ .

ولذلك يفتخر علي اميرالمؤمنين عليه السلام ان يعبد من له تلك السلطة المطلقة و هو يقول : « إلهي كفاني فخراً أن تكون لي ربّاً و كفاني عزّاً أن اكون لك عبداً أنت كما اريد فاجعلني كما تريد » .

ومن غيرمراء انّ العبودية لمن له هذه السلطة الغيبيّة هي عين الحرّية .

كتب أرسطو إلى الاسكندر : « و كن عبداً للحق فان عبدالحق حرّ » فلابد للعبد في حريته أن يعبد من له الصفات العليا فاذا هو عبد للحق تكون في عبوديته له حرّية .

روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من عبدالله بالتوهم فقد كفر ومن عبدالاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبدالاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه

فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فاولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً .

اقول : إنّ الروايات الواردة في عبادة علي بن أبيطالب عليه السلام ورؤيته الله سبحانه التي ستقرأها قريباً تؤيّد ذلك .

وقوله عليه السلام : « من عبدالله بالتوهم فقد كفر » أي من غير معرفة بالله تعالى وغير يقين في وجوده وصفاته أو بأن يتوهمه محدوداً مدركاً بالوهم .

ولاريب انّ كل محدود ومدرك بالوهم فهو غيرالله تعالى فمن عبده كان عابداً له وهو كافر .

انّ الله تعالى ينهى الإنسان عن العبودية لمن يكون فقيراً في غناه وعاجزاً في قدرته وجاهلاً في علمه فضلاً عما لاينفع ولايضرّ من الجماد وما اليه .

قال الله تعالى : « إذ جائتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألاّ تعبدوا إلاّ الله » فصلت : ١٤ .

وقال حكاية عن يوسف عليه السلام : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ذلك الدين القيم » يوسف : ٣٩ و ٤٠ .

وقال : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم » يس : ٦٠ و ٦١ .

وقال : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا تعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » سباء : ٤٠ و ٤١ .

وقال في اليهود : « وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » المائدة : ٦٠ .

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « قال أفتعبدون من دون الله ما لاينفعكم شيئاً ولايضركم افّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » الانبياء : ٦٦ و ٦٧ .

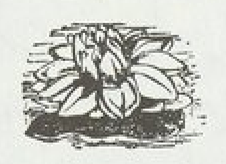
وبالجملة : انّ العبادة فعل إختيارى مناف للشهوات البدنية تصدر عن نيّة يراد به التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة .

وقولنا : فعل إختيارى يخرج منه الفعل التسخيرى والقهرى ويدخل فيه الترك الذى هو على سبيل الا ختيار فانّ الترك ضربان : ضرب على سبيل الا ختيار وهو فعل وضرب هو العدم المطلق لا إختيار معه بل هو عدم الا ختيار وهو ليس بفعل .

وقولنا : مناف للشهوات البدنية يخرج منه ماليس بطاعة وأمّا الأفعال المباحة كالأكل والشرب والجماع فليس بعبادة من حيث انّها شهوة ولكنها قد تكون عبادة إذا تحرى بها حكم الشريعة .

وقلنا : لابدّ من أن تصدر العبادة عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى لانها إن خلت عن نية أو صدرت عن نية لا للتقرب بل مرائة فلن تكن ايضاً عبادة .

وقلنا : طاعة للشريعة لأنّ من أنشاء من نفسه فعلاً ليس بشائع فى الشريعة لم يكن عبادة وإن قصد به التقرب إلى الله جلّ وعلا فالعبادة إذاً فعل يجمع تلك الأوصاف كلّها .



«الفطرة و العبادة»

إعلم أنّ الشعور - بأنّ السلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب العامة الموهوبة للانسان هي لله وحده - يحثّ الإنسان أن يعبده وحده .

قال الله تعالى حكاية عن رجل أبرز هذا الشعور : «ومالي لا أعبد الذي فطرني» يس : ٢٢ .

وليس هذا يختص بالانسان بل الأمر شامل لكل ذي شعور بتجريد المعنى كما يعطيه قوله تعالى : «إن كل من في السموات والأرض إلاّ آتي الرحمن عبداً» مريم : ٩٣ .

انّ العبادة لما سوى الله ملكاً كان أم عجلاً شيطاناً كان أم جنّاً حجراً كان أو خشباً على أيّ نحو من العبادة على خلاف الفطرة التي فطر عليها ذوا الشعور من قبيل إجراء الماء على خلاف المسيل .

انّ العبادة لغير الله جل وعلا - إطلاقاً - على خلاف ما يقتضيه خلق الجن والانس قال الله تعالى : «وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون» الذاريات : ٥٦ .

إنّ العبادة لما عدا الله سبحانه ليست هي إلا ناشئة عن الجهل والحمق .

قال الله تعالى آمراً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله : «قل أفغير الله تأمروني أعبد أيّها الجاهلون» الزمر : ٦٤ .

فمن له عقل وشعور ولم يطفأ نور فطرته بالجهل والحمق وما يستتبعهما من الكفر والعصيان فله دين وعبادة وجنة ونعيم .

روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي : باسناده عن إسحق بن عمار

قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من كان عاقلا كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة.

وفيه: عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ماعبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال: قلت: فالذى كان في معاوية؟

قال: تلك النكراء! تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

وفيه: باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال: هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم انّي امرت ان اخيّرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم:

يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين فقال آدم: انّي قد إخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدين: إنصرفا ودعاه فقالا: ياجبرئيل انا امرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال: فشأنكما وعرج.

فالانسان إمّا أن يستقيم على فطرته التى فطره الله تعالى عليها فيعرف الهه الواحد ويتخذه رباً ويعترف له وحده بالعبودية ويستسلم لشرعه وحده ويتنفر عن ربوبية من سواه فيشمأز أن يتلقى شريعة سواه، فحينئذ يجد اليسر في الاتصال بربه والسهل في عبادته والوضوع في علاقاته به.

قال الله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاّ على الخاشعين» البقرة: ٤٥.

وقال: «فامّا من اعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى» الليل: ٥ ـ ٧.

وإمّا أن يتحير في دروب الجاهلية والوثنية ومعاويجها تتلقاه في كل درب ظلمة ويصادفه في كل ثنية وهم تطلب إليه طواغيت الجاهلية والوثنية لعبادتها تارة بالخضوع والخشوع عندها، واخرى بالاضحية والفداء لديها لارضائها وهو لا يعرف حكمتها.

ولقد جاء الإسلام بالتوحيد ليوحد السلطة الّتى تدين العباد لتحرير الناس بذلك من العبودية بعضهم لبعض ومن عبوديتهم لشتّى الالهة والأرباب ولتحرير

الضمير البشرى من أوهام الوثنية ولرد كرامة العقل البشرى إليه ويطلقه من ربقة الالهة .

ومن هنا حارب الإسلام الوثنية فى كل صورها وأشكالها وتتبعها فى دروبها ومنحنياتها سواء فى أعماق الضمير أم فى شعائر العبادة أو فى أوضاع الحياة وشرائع الحكم والنظام المنتزعة من الاوهام المتراكمة فى ظلمات العقل والضمير .

قال الله تعالى : «اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» الانبياء :٦٧

وههنا نكتة :

وهى انه لو كان للانسان أن يتبع الشيطان لكان له أن يتبعه قبل استكباره فانه كان قبل ذلك يعبد الله تعالى وحده على ما ورد فيه فلما ذا ترك قبل واخذ بعد ولو كان للانسان أن يتبع إطلاقاً لكان له أن يتبع الملائكة إذ امتثلوا أو امر الله تعالى وهم كانوا كثيرين ، وقد كان الشيطان واحداً فلما ذا ترك الكثير وأخذ الواحد .



الحكمة
و تشريع العبادة

ان الله تعالى لم يكلّف الناس بعبادته لينتفع بها انتفاع الموالى باستعباد عبيدهم وانتفاع الملوك باستخدام خدمهم فان الله سبحانه غنى عن العالمين ولا يؤد بهم ويشقّهم بها وقد قال تعالى : « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » البقرة : ١٨٥ .

بل كلّفهم ليزيل أنجاسهم وأمراضهم النفسيّة ويزكّيهم ويطهّرهم وقال : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلّى » الاعلى : ١٤ و ١٥ .

وقال : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون » المائدة : ٦ .

فبذلك يمكنهم أن يحصّلوا لهم حياة أبديّة وسلامة باقيّة ونعمة سرمديّة فان من ولد يكون ميتاً بالاضافة الى أصحاب الدار الاخرة وفاقداً للعين التى بها يعرفهم والسمع الذى به يسمع تحاورهم واللسان الذى به يخاطبونه و يخاطبهم و العقل الذى به يعقلهم ، فليس تلكم الحياة والعين والسمع ما للانسان فى الحياة الدنيا و كيف يكون كذلك وقد نفى الله تعالى ذلك عن الكفار وجعلهم أمواتاً وصمّاً وبكماً وعمياً فان الانسان له قوة على تحصيل تلك الامور فى ابتداءِ أمره وان أهمل نفسه فاتت عنه تلك القوة أو ضعفت بحيث لايمكنه بعد قبول ذلك كالفحم اذا صار رماداً فلا يقبل بعد ذلك ناراً .

فمن استمر فى كفره وأصرّ فى فسقه وتمادى فى نفاقه صار إمّا ميّتاً أو مريضاً أو أصمّ لايقبل الشفاء ، ولذلك قال الله تعالى فيمن ثكل هذه القوة : « انك

لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم » النمل : ٨٠ و ٨١ .

وقال : « صم بكم عمى فهم لايعقلون » البقرة : ١٧١ .

وقال : « في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت » محمد صلى الله عليه وآله : ٢٠ .

وقال : « إنما المشركون نجس » التوبة : ٢٨ .

وقال تعالى فى المؤمنين : « لينذر من كان حياً » يس : ٧٠ .

وقال فيهم : « اولى الأيدى والأبصار » ص : ٤٥ .

فمن إستفاد الحياة والصحة والطهارة قبل أن تبطل عنه تلك القوى أعنى قبول ذلك فصار حياً سميعاً بصيراً طاهراً وحصّل زاداً كما أمره الله تعالى بقوله : «وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى» البقرة : ١٩٧ .

واهتدى بالدليل الموصوف بقوله تعالى : «وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض إلاّ إلى الله تصير الامور » الشورى : ٥٢ و٥٣ .

وائتمر له تعالى بقوله : «سابقوا إلى مغفرة من ربكم» الحديد : ٢١ .

وإقتدى بالموصوفين بقوله سبحانه : «يسارعون فى الخيرات» آل عمران :١٣٣

فجدير أن يفلح فيحصل له هذه السعادة كما قال الله جل وعلا «لعلكم تفلحون» المائدة : ٣٥ .

﴿ العبادة وأقسامها ﴾

روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ العبادة ثلاث (العباد ثلاث خ) : قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عزوجل حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة .

وفي نهج البلاغة : قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التّجار وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وانّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار .

وذلك لأنّ العبادة لرجاء الثواب نوع تجارة ومعاوضة وانّ العبادة لخوف العقاب بمنزلة من يستجدي لسلطان قاهر يخاف سطوته أشار اليها بقوله عليه السلام : « عبادة العبيد » أي لخوف السوط والعصا فلولاهما لما أطاعوه وهي كمن يعتذر إلى إنسان خوف أذاه ونقمته لا لأنّ ما يعتذر منه قبيح لا ينبغي له فعله .

وهذه العبادة ليست عبادة نافعة .

وأمّا العبادة لله تعالى شكراً لأنعمه فهي عبادة نافعة لأنّ العبادة شكر مخصوص فإذا أوقعها العبد على هذا الوجه أوقعها الموقع الّذي وضعت عليه كمن أحسن بوالديه شكراً لما ربّاه وما أحسنا به وبهما وجوده وهما أصلاه ، لاطمعاً لأموالهما ولاخوفاً من ضربهما .

وقال الامام علي عليه السلام في موضع آخر : «الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك (في جنتك خ) ولكن وجدتك أهلاً (قابلاً خ) للعبادة فعبدتك » .

وروى الصدوق : رحمة الله تعالى عليه في الأمالي باسناده عن يونس بن ظبيان قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : إنّ الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع ، وآخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي رهبة ولكني اعبده حباله عزوجل فتلك عبادة الكرام وهو الأمن لقوله عزوجل : « وهم من فزع يومئذ آمنون » ولقوله عزوجل : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » فمن أحبّ الله أحبّه الله ومن أحبّه الله عزوجل كان من الامنين .

وفي رواية : انّ عابداً إعتزل وعبدالله تعالى سبعين سنة فأرسل الله تعالى اليه ملكا فقال : ان عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولاتجاهد فاجاب العابد :

ان الّذي عليّ هو العبودية وأنّي لاأزال أفعل ماعليّ فأمّا القبول وعدم القبول فموكول إلى المعبود ، فرجع الملك فقال الله : بم أجاب العابد ؟ فقال : أنت أعلم يارب انه قال : كذا و كذا فقال الله تعالى : إرجع إليه وقل له : قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك .

فينبغي أن يكون هذا هو قصارى جهد العابدين ونهاية مطامح أبصار المطيعين . وفي الختام لايخفى انّ العبادة في الاسلام شكلاً وتوقيتاً على أقسام :

منها : الصلاة التي يأتيها المسلم المكلف ليلاً ونهاراً على صورتها الخاصة .

ومنها : الصوم الّذي يجب على كل مسلم مكلف مع شرائطه الخاصة .

ومنها : الحج للمستطيع على كيفيته الخاصة ، وغيرها من العبادات وبالنظر الى التوقيت .

منها : ما يجب في كل يوم وليلة كالصلوة .

ومنها : ما يجب في كل سنة بايام مخصوصة وهو صوم شهر رمضان .

ومنها : مايجب في العمر وهو الحج للمستطيع وكل ذلك ركن من أركان الخمسة للاسلام على ما ورد عن رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :

« بني الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية » .

﴿العبادة و افضلها﴾

روى الكلينى رضوان الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن عيسى بن عبدالله قال : قلت لأبى عبدالله عليه السلام جعلت فداك ما العبادة؟ قال : حسن النية بالطاعة من الوجوه التى يطاع الله منها . . الحديث . .

اقول : قوله عليه السلام . « حسن النية بالطاعة » يعنى انّ العبادة الصحيحة المقبولة هى ما يكون مع النية الحسنة الخالصة من شوائب الرئاء والسمعة وغيرها .

وقوله عليه السلام : « من الوجوه التى يطاع الله منها » أى لاتكون مبتدعة بل تكون مأخوذة عن الدلائل الحقة والآثار الصحيحة أو تكون تلك الطاعة مستندة إلى البراهين الواضحة ليخرج منها طاعة أئمة الضلالة بل تكون على طريقة الائمة اهل البيت عليهم السلام ، لأنّهم الوجوه التى يطاع الله جل وعلا منها لإرشادهم و هدايتهم .

وروى الطبرسى: رحمة الله تعالى فى الاحتجاج :

قال **علي** عليه السلام : فسلونى قبل أن تفقدونى فقام إليه رجل من أقصى المجلس فقال : يا أميرالمؤمنين دلّنى على عمل ينجينى الله به من النار ويدخلنى الجنة !

قال : إسمع ثم إفهم ثم إستيقن قامت الدنيا بثلاث : بعالم ناطق مستعمل لعلمه وبغنى لايبخل بماله على أهل دين الله وبفقير صابر .

فاذا كتم العالم علمه وبخل الغنى بماله ولم يصبر الفقير على فقره فعندها الويل والثبور وكادت الارض أن ترجع إلى الكفر بعد الايمان .

أيها السائل لاتغترنّ بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة و

قلوبهم متفرقة فانما الناس ثلاث : زاهد وراغب وصابر .

أمّا الزاهد : فلا يفرح بالدنيا إذا أتته ولايحزن عليها إذا فاتته وأمّا الصابر: فيتمنّاها بقلبه فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لعلمه بسوء العاقبة و أما الراغب : فلا يبالى من حلّ أصابها أم من حرام .

وروى الصدوق قدس سره فى الأمالى باسناده عن سيد شباب أهل الجنة الحسين عن سيد الأوصياء علي عن سيد الأنبياء محمّد صلّى الله عليه وآله قال : لاتنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم و كثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل انظروا إلى صدق الحديث وأداء الامانة .

وفى النهج : فى الحكم المنسوبة إلى أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال :

أفضل العبادة الإمساك عن المعصية والوقوف عند الشبهة .

وفى الكافى : باسناده عن الحسن بن الجهم قال : سمعت أباالحسن عليه السلام يقول : إنّ رجلاً فى بنى إسرائيل عبدالله أربعين سنة ثم قرّب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه ما أتيت إلاّ منك وما الذنب إلاّ لك قال : فأوحى الله تبارك وتعالى اليه ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة .

وفيه: باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولاتكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبتّ الذى لاسفراً قطع ولاظهراً ابقى .

وفيه باسناده عن عمرو ابن جميع عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا علي ! انّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغّض إلى نفسك عبادة ربك فان المنبتّ يعنى المفرط لاظهراً أبقى ولاأرضاً قطع فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً .

وفى نهج البلاغة : قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام فى خطبة له :

لامال أعود من العقل ولاوحدة أوحش من العجب ولاعقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولاقرين كحسن الخلق ولاميراث كالأدب ولاقائد كالتوفيق ولاتجارة

كالعمل الصالح ولازرع كالثواب ولاورع كالوقوف عند الشبهة ولازهد كالزهد فى الحرام ولاعلم كالتفكر ولاعبادة كاداء الفرائض .

وفى الكافى :باسناده عن أبى حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس .

وفيه : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أفضل العبادة إدمان التفكر فى الله وفى قدرته .

وفيه : باسناده عن معمر بن خلاّد قال : سمعت أباالحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنّما العبادة التفكر فى أمرالله عزوجل .

وفيه : باسناده عن ربعى قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه : انّ التفكر يدعو الى البرّ والعمل به .

وفيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : ألا اخبركم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنّط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخّص لهم فى معاصى الله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره ألا لاخير فى علم ليس فيه تفهّم ألا لاخيرفى قرائة ليس فيها تدبّر ألا لاخير فى عبادة ليس فيها تفكّر .

وفى تحف العقول : قال الرضا عليه السلام : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وانّما العبادة كثرة التفكر فى امرالله .

وفيه : عن الحسن العسكرى عليه السلام مثله ، إلاّ انّ فيه «ليست» بدل «ليس» .

وفى نهج البلاغة : من الحكم المنسوبة الى أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال :

لقد سبق الى جنّات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاةً ولاصياماً ولا حجّاً ولا اعتماراً ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصحّ ورعهم وكمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالخطوة ورفيع المنزلة .

وفيه : قال عليه السلام :

المتعبّد على غير فقه كحمار الرحا يدور ولايبرح .

﴿العابد وخصاله﴾

إنّ المستفاد من الايات الكريمة في خصال العابد حقّاً امور :

١ـ أكل الحلال فلا يأكل العابد ما فيه شبهة الحرمة فضلاً عن الحرام .

٢ـ الشكر الدائم لله تعالى على ما أنعمه عليه من نعمه .

٣ـ طلب الرزق من الله جل وعلا والاقتصاد في عيشه .

٤ـ كثير العبادة والمناجاة لربه .

٥ ـ الإخلاص في عبادته لله سبحانه فلا يرائي فيها و لا يشرك بعبادة ربه احدا .

٦ـ الخشية من الله تعالى .

٧ـ الاجتناب عن المحارم .

قال الله تعالى[1] : « يا أيّها الّذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون إنّما حرّم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما اهلّ به لغير الله » البقرة : ١٧٢ و١٧٣ .

وقال : « فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ـ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام » النحل : ١١٤ ـ ١١٦ .

و قال : « ان الّذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عندالله الرزق واعبدوه واشكروا له » العنكبوت : ١٧ .

و قال : « والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » الفرقان : ٦٧ .

و قال : « و عباد الرحمن الّذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والّذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً والّذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً انها سائت مستقراً ومقاماً » الفرقان : ٦٣ ـ ٦٦ .

و قال : « وما امروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » البينة : ٥ .

و قال : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » الكهف : ١١٠ .

و قال : « ألم يأن للّذين آمنوا أن يخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق ـ و كثير منهم فاسقون » الحديد : ١٦ .

فأخرج الله تعالى من لم يكن لقلبه خشوع من زمرة المومنين .

و قال : « قد أفلح المؤمنون الّذين هم فى صلاتهم خاشعون والّذين هم عن اللغو معرضون والّذين هم للزكاة فاعلون والّذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » المؤمنون : ١ ـ ٨ .

وقال : « انّما المؤمنون الّذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » الانفال : ٢ .

وقال : « والّذين لا يدعون مع الله الهاً اخر ولايقتلون النفس التى حرّم الله الاّ بالحق ولا يزنون » الفرقان : ٦٨ .

وفي حديث المعراج : قال امير المؤمنين علي عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خاطبنى الله عز وجل ليلة المعراج :

يا أحمد هل تدرى متى يكون العبد عابداً ؟ قلت : لا يارب ، قال : اذا اجتمع فيه سبع خصال : ورع يحجز عن المحارم ، وصمت يكفّه عما لايعنيه ، وخوف يزداد كل يوم من بكائه ، وحياء يستحيي منّي في الخلاء ، واكل

ما لا بدمنه ، ويبغض الدنيا لبغضى لها ، ويحبّ الأخيار لحبّى اياهم .

يا احمد ! ليس كل من قال : أحبّ الله أحبّنى حتى يأخذ قوتاً ويلبس دوناً وينام سجوداً ويطيل قياماً ويتوكّل علىّ ويبكى كثيراً ويقلّ ضحكاً ويخالف هواه ، ويتخذ المسجد بيتاً والعلم صاحباً والزهد جليساً والعلماء أحبّاء والفقراء رفقاء و يطلب رضاى ويفرّ من العاصين فراراً ويشغل بذكرى اشتغالاً ويكثر التسبيح دائماً ويكون بالوعد صادقاً وبالعهد وافياً ويكون قلبه طاهراً وفى الصلاة زاكياً وفى الفرائض مجتهداً و فيما عندى من الثواب راغباً ومن عذابى راهباً ولأحبائى قريباً وجليساً .

يا أحمد ! لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض ويصوم صيام أهل السماء والأرض ويطوى من الطعام مثل الملائكة ولبس لباس العارى ثم أرى فى قلبه من حب الدينا ذرّة أو سعتها أو رئاستها أو حليّها أو زينتها لايجاورنى فى دارى ولانزعنّ من قلبى محبّتى ، وعليك سلامتى ورحمتى والحمد لله رب العالمين .



﴿ العبادة و آثارها ﴾

ان الغرض الأصيل من العبادات والطاعات هو تصفية وجه الذات والمحاذات بالقلوب الصافية شطر نور الحق الالهى خلف زجاجة العبادة ، فانها كالمرآة المصقولة التى يحاذى بها وجه النير الأعظم وتوازى شطر الحق فتجلى بها وجه ربك ذو الجلال والاكرام مع كونها صاقلة للقلوب .

فكل من صحت نسبته بالعبادة والطاعة إلى الله جل وعلا إنعكس نور الحق منها فيه ويقع عليه ضوء معرفه الله تعالى واليقين .

يقول الله تعالى مخاطباً لرسوله الأعظم ﷺ تعليما لنا و قصداً علينا : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر : ٩٩ ، فضوء المعرفة واليقين يستتبع العبادة الصحيحة لا إطلاقاً .

ومن لم تصح نسبته بها إليه سبحانه فليس له طمأ نينة ، وانما هو ينقلب بانقلاب الأحوال فلا أثر لهذه العبادة فيه أصلاً .

قال الله تعالى فيها ومن يأتيها ويأتى بها : « ومن الناس من يعبدالله على حرف فإن أصابه خير إطمأن و إن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين » الحج : ١١ .

فلا بد للعبادة الصحيحة من الأثر فى تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب النفس والأثر إنما يكون عن الروح والشعور وهو منشأ التعظيم والخضوع .

فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا الاثر فهى كصورة الانسان ليست بانسان فان التمثال ليس بممثل .

ان الله تعالى أنبأنا عن آثار العبادة وخاصة الصلاة بقوله : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » العنكبوت : ٤٥ .

وبقوله : « ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » المعارج : ١٩ ـ ٢٢ .

ولقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والألفاظ ساهين عن معناها وأسرارها المؤدى غايتها بقوله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » الماعون : ٤ و ٥ .

فسماهم مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ولم يلاحظوا بما فعلوه بل عادتهم باتيان هذه الصورة لما فعلوا آبائهم وليس لله شيء في تلك الصور ولذا ورد في الحديث : « إن من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً و انها تلف كما يلف الثوب البالي ويضرب بها وجهه » .

وعن بعض العلماء الاتقياء : انه كان اذا قرأ في الصلاة : « اياك نعبد » فغشي عليه فسئل عن ذلك فقال : نقول : « اياك نعبد » ونعبد أنفسنا و نطيعها في أمرها متى تأمرنا وإلى أين تقودنا وتحملنا وما تشتهيه .

في تحف العقول : من مواعظ المسيح عليه السلام .

بحق أقول لكم : إن الدابة إذ لم ترتكب (يعني لم تركب) ولم تمتهن ولم تستعمل لتصعب ويتغير خلقها و كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت وتتبعها دؤوب (يعني تعب) العبادة تقسو وتغلظ ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ، كذلك لايغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة فاسرعوا إلى بيوتكم المظلمة فانيروا فيها .

كذلك فاسرعوا الى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة كيف يطيق حمل الأثقال من لايستعين على حملها أم كيف تحط أوزار من لايستغفر الله منها أم كيف تنقى ثياب من لايغسلها و كيف

يبرأ من الخطايا من لايكفرها أم كيف ينجو من غرق البحر من يعبر بغير سفينة وكيف ينجو من فتن الدنيا من لم يداوها بالجد والاجتهاد وكيف يبلغ من يسافر بغير دليل وكيف يصير إلى الجنة من لايبصر معالم الدين وكيف ينال مرضاة الله من لايطيعه وكيف يبصر عيب وجهه من لاينظر في المرآة بحق أقول لكم: انه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذّه مع ما يجده من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لايلتذ بالعبادة ولايجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال.

وفي تفسير سهل بن عبدالله التستري: قال عبد الواحد: كنت مع أيوب السختياني فراى حمالاً يحمل الحطب فقلت: هل لك برب؟ فقال: أمثلي يسئل عن ربه؟ فقلت له: إن كان لك خالق كما تزعم فلم اشتغلت بالحطب؟ فأشار الرجل إلى السماء فصار الحطب ذهباً فتعجّبنا منه لذلك ثم قال: اللّهم لاحاجة لي إلى هذا فتحوّل الذهب حطباً كما كان فقلنا له ما حملك على هذا فقال: لأنّي عبد فأحمل هذا كي لاأنسى نفسي.

أقول: إذا صار العبد عبداً فلايكون مثل هذا بعيداً نعم هذا بعيد عمن لم يكن عبداً قال الله تعالى: «عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي».

وفي التحف: قال الامام أبوالحسن العسكري عليه السلام في حديث: «ومن أطاع الله يطاع».

وفي المناقب لابن شهر آشوب:

ان علي بن الحسين عليه السلام كان قائما يصلّي حتى وقف ابنه محمد الباقر عليه السلام وهو طفل إلى بئر في داره بالمدينة بعيدة القعر فسقط فيها فنظرت إليه امّه فصرخت واقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث وتقول:

يابن رسول الله غرق ولدك محمد وهو لاينثني عن صلاته وهو يسمع اضطراب ابنه في قعر البئر فلما طال عليها ذلك قالت: ـ حزناً على ولدها ـ ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت رسول الله؟ فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها الاّ عن كمالها وإتمامها ثم أقبل عليها وجلس على أرجاء البئر ومدّ يده إلى قعرها وكانت لاتنال الاّ برشاء

طويل ، فأخرج إبنه محمداً عليه السلام على يديه يناغي ويضحك لم يبتل له ثوب ولا جسد بالماء فقال : هاك يا ضعيفة ! اليقين بالله فضحكت لسلامة ولدها وبكت لقوله عليه السلام : يا ضعيفة اليقين بالله فقال : لاتثريب عليك اليوم لوعلمت أنّي كنت بين يدي جبّار لوملت بوجهي عنه لمال بوجهه عنّي أفمن يرى راحماً بعده .

أقول : ان البحث مستقصى في آثار العبادة في الصلاة والصوم انشاء الله تعالى ، فانتظر .



﴿ العبادة والاخلاص ﴾

قال الله تعالى : « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » البينة : ٥ .

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الامالي : باسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم اني أجمع لك الخير كله في أربع كلمات واحدة منهن لي وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فامّا التي لي فتعبدني ولاتشرك بي شيئاً وأمّا التي لك فاجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه وأمّا التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليّ الاجابة وأمّا التي فيما بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك .

ان الخلوص : هو حصول الشيء من غير شائب فيه من غيره كخلوص الذهب من الشائب .

والاخلاص لله تعالى مقام عظيم جداً وهو تنزّه الأفعال عن الرياء وألّا يمازج العبادة امر لايكون لله سبحانه ولهذا كان بعض الصالحين يصبح من طول العبادة نعباً قشفاً فيكتحل ويدهّن ليذهب بذلك أثر العبادة عنه .

وفي احقاق الحق عن جابر الجعفي قال : قال لي محمد بن علي عليه السلام : يا جابر انّي لمحزون واني لمشتغل القلب قلت : ولم حزنك وشغل قلبك ؟ قال يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه الحديث . . وهذا معنى كلمة التوحيد « لا اله الاّ الله » .

فأخبر الله تعالى عباده ان الالوهية خاصّة به جل و علا دون ما سواه من الالهة الموهومة والأنداد المصنوعة .

فلا تصلح العبادة الاّ له وحده لإنفراده بالربوبية وتفرده بالألوهية وان كلما دونه فهوملكه وان كل ما سواه فهوخلقه لاشريك له في سلطانه وملكه .

فاذا كان كذلك فلا تصلح العبادة لغيره إذ كل ما سواه فهو عباده فعلى المماليك إفراد الطاعة لمواليهم و صرف خدمتهم لهم .

ولاريبة انّ من شرائط تأثير العبادة في النفس البشرية هو الاخلاص فيها كما انّ من شرائط قبولها هو الاخلاص .

وإنّما الاخلاص فيها أن لايشغل قلبه بغيرالله تعالى وأن لايطلب بما يعمل جزاءً ولاشكوراً كإخلاص الوالدين في تربية الأولاد فانّهما لايطلبان فيها جزاءً ولاشكوراً لأنهما قد علما أنّ تربية الأولاد على ما تقتضيه الفطرة التي أودعهاالله تعالى في الانسان والحيوان .

وكإخلاص العبيد الصالحين في خدمة مواليهم من غير خوف الضرب وطلب العوض منهم بل انّهم يخدمون لهم لأنّهم مواليهم وهم عبيدهم .

وانّ صورالاعمال في الواقع أعراض ، جواهرها مقاصد العمّال وعلومهم و اعتقاداتهم ومتعلقات هممهم ونياتهم فاذا كانت الجواهر فاسدة فلا ثبات للأعراض قال الله تعالى مخاطباً لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تنبيهاً لنا : « لئن أشركت ليحبطن عملك » الزمر : ٦٥ .

وفي بعض التفاسير : ان امرأة الفرزدق لما قرب وفاتها اوصت أن يصلى عليها الحسن البصري فلما صلى عليها ودفنت قال الحسن للفرزدق يا أبافراس ما الذي اعددت لهذا الامر ؟ قال : شهادة أن لا اله الاّ الله .

فقال الحسن : هذه عمود فاين الطنب ثم قال : أن عمود الخيمة لاينتفع به الاّ مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة .

أي انّ الشهادة بغير إخلاص فيها كالعمود بلااطناب لاينتفع منه صيفاً وشتاءً

من الحر والبرد .

وفى رواية : ان عيسى بن مريم عليه السلام مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم وراى عليهم آثار العبادة فقال : ماذا تطلبون ؟ فقالوا : نخشى عذاب الله فقال : هو اكرم من ان لايخلصكم من عذابه ثم مر بقوم آخرين فرأى عليهم تلك الاثار العبودية عليهم اكثر فسئلهم فقالوا : نعبده طلباً للجنة و الرحمة منه تعالى فقال : هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ، ثم مر بقوم ثالث وراى آثار العبودية عليهم أكثر فسئلهم فقالوا : نعبده لأنه الهنا ونحن عبيده لالرغبة ولالرهبة فقال : أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون .

ومن غير مراء ان الانسان إذا أخلص نفسه لله جل وعلا أخلص الله تعالى نفسه سبحانه له فعندئذ لاسبيل للشيطان أن يغويه وهو مخلص لله تعالى .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : « قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » ص : ٨٢ و ٨٣ .

فليس لقلب المخلص محلاً لاغواء الشيطان إذ هو لايشتغل بغيرالله تعالى فاذا ألقى إليه الشيطان حبائله وتزييناته عاد ذاكراً لله تعالى مقرباً منه جل وعلا فلا سبيل لغيره تعالى أن يسكن فيه فهو مع الله تعالى والله معه واذاً يتمكن أن يفعل ما لايقدر غيره من العصاة .

وفى بعض التفاسير : روى ان إبليس لعنه الله تمثل لرسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وبيده قارورة ماء فقال : أبيعه بايمان الناس حال النزع فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكت أهل بيته فأوحى الله تعالى إليه انى أحفظ عبادى المخلصين فى تلك الحال من كيد الشيطان كما أحفظهم فى غيرها من حياتهم فى الدنيا .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أخلص العبادة لله أربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً » أى مطبوع القلب .

على امير المؤمنين عليه السلام
وعبادته

انّ الروايات الواردة وكلمات أعلام العامة فى ذلك كثيرة جداً فنشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ روى الصنعانى فى (الطبقات المعتزلة ص ٨٧) ما لفظه :

عن الباقر عليه السلام انه قال : اعتق علي عليه السلام ألف عبد وكان يصلّى فى اليوم والليلة ألف ركعة .

رواه الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية ص ٣٦٤ ط بمبئى) .

٢ـ روى الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٤٥ ط لاهور) عن أبى وقاص قال : كان لعلىّ بيت فى المسجد كان يتعبّد فيه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ـ روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٢٠ فى الحكم المنسوبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام رقم ٦٦) مالفظه : قال له ـ يعنى أميرالمؤمنين علي عليه السلام ـ عثمان فى كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبى بكر وعمر : أبو بكر وعمر خير منك فقال عليه السلام : أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما .

٤ـ روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ١ ص ١٥ ط سنة ١٣٧٨ هـ) ما لفظه : وذكر احمدبن يحيى البلاذرى وعلى بن الحسين الاصفهانى : انّ قريشاً أصابتها أزمة وقحط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّيه : حمزة والعباس : ألا نحمل ثقل أبى طالب فى هذا المحل فجاؤا إليه وسئلوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم .

فقال : دعوا لى عقيلاً وخذوا من شئتم ـ وكان شديد الحب لعقيل ـ فأخذ

العباس طالباً وأخذ حمزة جعفراً وأخذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وقال لهم: قد إخترت من إختاره الله لي عليكم علياً قالوا: فكان علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ كان عمره ست سنين.

وكان ما يسدى إليه صلوات الله عليه من إحسانه وشفقته وبرّه وحسن تربيته كالمكافاة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به حيث مات عبدالمطلب وجعله في حجره وهذا يطابق قوله عليه السلام: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين و قوله عليه السلام: كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ صامت ما اذن له في الانذار والتبليغ وذلك لأنّه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبيه وهو إبن ستّ فقد صحّ انه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ست تصحّ منه العبادة اذا كان ذا تمييز على أنّ عبادة مثله هي التعظيم والاجلال وخشوع القلب واستحذاء الجوارح اذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة - الى قال ابن أبي الحديد - وأمّا العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلّم الناس صلاة الليل وملازمة الاوراد وقيام النافلة.

وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفّين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً و شمالاً فلا يرتاع لذلك ولايقوم حتى يفرغ من وظيفته وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وأنت اذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزّته والاستحذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أيّ قلب خرجت و على أيّ لسان جرت.

رؤية الله سبحانه
وعبادة على امير المؤمنين عليه السلام

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في التوحيد باسناده عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء حبر الى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان.

قوله عليه السلام: «حقائق الايمان» أي أركانه من التصديق بالله تعالى ومعرفته والمعرفة بصفاته وأفعاله ولرؤية الله سبحانه بالقلوب مراتب بحسب درجات الايمان والمعرفة قوة وضعفاً.

وروى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أباجعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أباجعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لايعرف بالقياس ولايدرك بالحواس ولايشبه بالناس موصوف بالايات معروف بالعلامات لايجور في حكمه ذلك الله لااله الا هو قال: فخرج الرجل وهو يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

قال محمد بن طلحة الشافعي من أعلام العامة في (مطالب السئول ص١٦):

«وكان قد قطع عنه ـ علي عليه السلام ـ ما يشغله عن الله تعالى ورفع الحجاب عن قلبه وذهب بقلبه إلى ربه وصرف وجهه اليه تعالى».

وروى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٤٦ ط اسلامبول) ما لفظه : عن جعفر الصادق عليه السلام قال في حديث : ولقد كان أميرالمؤمنين علي عليه السلام يعمل عمل رجل كأنّه ينظر الى الجنة والنار .

وفي رواية قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام : « ما رايت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله ومعه وبعده » هذا غاية ما يبلغ الانسان من معرفة ربه إذا كان قد بلغ من طهارة النفس مرتبة من مراتب الكمال ، ومن مثل علي عليه السلام في ترويض النفس وتكميلها فقد كان يغمى عليه مرات في جوف الليل من خوف الله جل وعلا .

وفي رواية : سئل ذعلب اليماني علياً عليه السلام : هل رأيت ربك ياأميرالمؤمنين؟ فقال : أفأعبد ما لا أرى فقال : و كيف تراه ؟ فقال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين متكلم لابروية مريد لا بهمّة صانع لابجارحة لطيف لايوصف بالخفاء كبير لايوصف بالجفاء بصير لايوصف بالحاسة رحيم لايوصف بالرقة .

تعنو (تذل) الوجوه لعظمته وتجب (تضطرب) القلوب من مخافته .

وفي رواية : قال الحسين بن علي عليه السلام مخاطباً لربه :

سبحانك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل إليك عميت عين لاتراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً .

وفي رواية : سئل زنديق أباعبدالله الصادق عليه السلام :

كيف يعبدالله الخلق ولم يروه ؟ قال عليه السلام : رأته القلوب بنور الايمان وأثبتته العقول بيقظها اثبات العيان وأبصرته الأبصار بمارأته من حسن التركيب وأحكام التأليف ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها واقتصرت العلماء على مارأت من عظمته دون رؤيته .

قال الزنديق : أليس هو قادراً أن يظهرلهم حتى يروه و يعرفوه فيعبد على يقين ؟

قال الامام عليه السلام : ليس للمحال جواب (الا انه محال لاتتعلق بهالقدرة) .

وفي الكافي : باسناده عن يعقوب بن إسحق قال : كتبت إلى أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام اسئله : كيف يعبد العبد ربه وهولايراه ؟ فوقع عليه السلام : يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يرى قال : وسئلته : هل راى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ؟ فوقع عليه السلام ان الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما احب .

اقول : إختلفت الاراء في رؤية الله سبحانه فذهبت المشبهة و الكرامية إلى جوازرؤيته سبحانه فيالدنيا والاخرة في الجهة والمكان لأن سبحانه عندهم جسم .

و ذهبت الأشاعرة إلى جواز روية الله سبحانه في الاخرة منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان .

وأمّا الشيعة الامامية الاثنى عشرية فهم ذهبوا إلى ما ذهب أئمتهم أهل بيت الوحي والنبوة صلوات الله عليهم من إمتناع رؤية الله سبحانه فيالدنيا والاخرة وتصرح على ذلك آيات كثيرة قرآنية والأخبار الشريفة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام نوردها فيمحلها المناسب إنشاءالله تعالى وتؤيد ذلك الأدلة العقلية العديدة .

منها : ان من تدبّرفيالرؤية بنور العقل عرف انها لاتتصور الا أن يكون المرئي فيجهة ومكان ومسافة خاصة بينه وبين رائيه ولابد و أن يكون مقابلاً لعين الرائي وذلك كله ممتنع على الله سبحانه عند أهل التوحيد .

منها : ان الرؤية إمّا أن تقع على الله سبحانهكله فيكون مركباً محدوداً متناهياً محصوراً يشغل فراغ الناحية المرئي فيها فتخلوا منه بقية النواحي وإمّا أن تقع على بعضه فيكون مبعضاً مركباً متحيّزاً و كل ذلك مما يمنعه العقل ويبرأمنه أهل التوحيد .

منها : من غير مراء ان كل متصور لابد أن يكون محسوساً أو متخيلاً من اشياء محسوسة أو قائماً في نفس المتصور بفطرته التي فطر عليها ، فالأول

كالأجرام و ألوانها المحسوسة بالبصر و كالحلاوة و المرارة و ما اليها من المحسوسات بالذائقة .

والثاني كقول القائل : أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ونحوه مما تدركه المخيلة مركبا من عدة اشياء أدركه البصر .

والثالث كالألم واللذة والراحة والعناء والسرور والحزن ونحوها مما يدركه الانسان من نفسه بفطرته .

تعالى الله عما كانوا به يصفون .

و في الاحتجاج عن يونس بن ظبيان قال : دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام قال : أرأيت الله حين عبدته ؟ قال : ما كنت أعبد شيئاً لم أره قال : فكيف رأيته ؟ قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لايدرك بالحواس ولايقاس بالناس معروف بغير تشبيه .



الامام الحسين بن على سيد الشهداء عليه السلام و عبادته

أورد جماعة من أعلام العامة فى عبادة سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على بن أبيطالب صلوات الله عليهم وآلاف التحية والثناء روايات كثيرة بأسانيد عديدة فى كتبهم نشير إلى نبذة منها :

١- روى إبن الصباغ المالكى فى (الفصول المهمة ص ١٨٣ ط الغرى) ما لفظه : « انّه اى الحسين بن علي عليه السلام كان إذا قام للصلاة يصفر لونه فقيل له : ما هذا نراه يعتارك عند الوضوء ؟ فيقول : ما تدرون بين يدى من اريد ان اقيم » .

٢- روى الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ج ١ ص ١٥٢ ط الغرى) عن شريح القاضى قال : دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا الحسين بن علي عليه السلام فيه ساجد يعفر خدّه على التراب وهو يقول : سيّدى ومولاى ألمقامع الحديد خلقت أعضائى أم لشرب الحميم خلقت أمعائى إلهى لئن طالبتنى بذنوبى لاطالبنّك بكرمك ولئن حبستنى مع الخاطئين لأخبرنّهم بحبّى لك سيدى ! إنّ طاعتك لا تنفعك ومعصيتى لاتضرّك فهب لى ما لاينفعك واغفر لى ما لايضرك فانك أرحم الراحمين .

٣- روى إبن عبد ربه الاندلسى فى (عقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٠ ط مصر) ما لفظه:

قيل لعلى بن الحسين : ما كان أقلّ ولد أبيك قال : العجب كيف ولدت له كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرّغ للنساء .

رواه إبن حجر الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص ١٩٨ ط الميمنية بمصر)

وأبو الفداء إسمعيل صاحب بلدة حماة فى (المختصر فى اخبار البشر ج ١ ص ١٩١ ط مصر) .

٤- روى ابن الجوزى فى (صفة الصفوة ج ١ ص ٣٢١ ط حيدرآباد) عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : حجّ الحسين بن على رضى الله عنه خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه .

رواه إبن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٧ ط القاهرة) و الشعرانى فى (مختصر تذكرة القرطبى ص ١٢٠ ط مصر) وبا كثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص ١٨٣) وغيرها من الروايات لايسعها المقام ونختم البحث بذكر نبذة ماورد عنه عليه السلام فى العبادة والطاعة .

١- فى تفسير الامام عليه السلام قال الحسين بن على عليه السلام : « من عبدالله حق عبادته أتاه الله فوق أمانيه و كفايته » .

٢- فى الوافى فى خطبة له عليه السلام .

قال : « اوصيكم بتقوى الله فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عمّا يكره إلى ما يحب « ويرزقه من حيث لا يحتسب » فاياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه فان الله تبارك وتعالى لا يخدع ولا ينال ما عنده إلّا بطاعته .

٣- فى العلل قال الحسين بن علي عليه السلام :

أيّها الناس اتقوا الله جل ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال رجل : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابى أنت وامّى فما معرفة الله ؟ قال : معرفة أهل كل زمان امامهم الذى يجب طاعتهم .

اقول : وذلك لانّ معرفة الله تعالى لا تمكن إلّا عمن كان عليها وهم أئمة الحق عليهم السلام .

و فى دعائه عليه السلام يوم عرفة :

اللّهم هذا ثنائي عليك ممجّداً وإخلاصي لذكرك موحّداً وإقراري بالائك معدّداً وإن كنت مقرّاً أنّي لم احصها لكثرتها وسبوغها وتظاهرها وتقادمها إلى حادث مالم تزل تتعهّدني (تتغمّدني خ) به معها منذ خلقتني وبرأتني من أوّل العمر من الاغناء من بعد الفقر وكشف الضر وتسبيب اليسر ودفع العسر وتفريج الكرب والعافية في البدن والسلامة في الدين ولو رفدني على قدر ذكر نعمتك جميع العالمين من الاولين والاخرين ما قدرت ولا هم على ذلك تقدّست وتعاليت من رب كريم عظيم رحيم لاتحصي الائك ولايبلغ ثناؤك ولا تكافى نعمائك صلّ على محمد وآل محمد واتمم علينا نعمك واسعدنا بطاعتك . الدعاء .

وفي الاقبال : في دعائه عليه السلام يوم عرفة :

قال الحسين بن علي عليه السلام : إلهى أنا الفقير في غناى فكيف لا أكون فقيراً في فقرى إلهى أنا الجاهل في علمى فكيف لأكون جهولاً في جهلي - إلهي منّي ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك إلهى وصفت نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفى إلهى إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنّة عليّ ، وإن ظهرت المساوى منّي فبعدلك ولك الحجّة عليّ - أنت الذاكر قبل الذاكرين وأنت البادى بالاحسان قبل توجّه العابدين وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الطالبين .

وفي البحار: قال رجل للحسين بن علي عليه السلام : عظني يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا رجل عاص ولم اقدر على ترك المعصية .

فقال عليه السلام : إفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت ، فأوّل ذلك : لا تأكل رزق الله واذنب ماشئت ، والثاني : اخرج من ولاية الله واذنب ما شئت ، والثالث : أطلب موضعاً لا يراك الله و اذنب ماشئت ، والرابع : اذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت ، والخامس : اذا ادخلك مالك في النار فلا تدخل في النار واذنب ما شئت .

وفيه : قال الحسين بن علي عليه السلام في حديث :

ولا تطلب من الجزاء الا ّ بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا ّ بما نلت من طاعة الله الحديث .

وفى المناقب : انه قيل للحسين بن علي عليه السلام : ما أعظم خوفك من ربك ؟ قال : لا يأمن يوم القيامة الا ّ من خاف الله فى الدنيا .



علی بن الحسین زین العابدین عليه السلام وعبادته

أورد فی ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة بأسانيد عديدة نشير الى ما يسعه المقام :

١ـ روى محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل ص٨١ ط تهران) قال : ونقل عن أبي الزبير محمد بن أسلم المكي انّه قال : كنا عند جابر بن عبدالله فأتاه علی بن الحسين ومعه إبنه محمد وهو صبيّ فقال علي لابنه محمد : قبّل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبّل رأسه ، فقال جابر : من هذا ؟ وكان قد كفّ بصره فقال له علي : هذا إبني محمد فضمّه جابر إليه وقال : يا محمد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ عليك السلام فقالوا لجابر : كيف ذلك يا أبا عبدالله ؟ فقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين فی حجره وهو يلاعبه فقال : يا جابر يولد لابني الحسين إبن يقال له علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلى ابن يقال له محمد يا جابر ان رأيته فاقرأه مني السلام .

وفی بعض الروايات مذيل بقوله صلى الله عليه وآله : واعلم ان بقاك بعد ذلك اليوم قليل فما لبث جابر بعد ذلك اليوم الا بضعة عشر يوماً حتى توفّی .

كما رواه ابن الاثير فی (المختار فی مناقب الأخيار ص ٣٠ ط الظاهرية بدمشق) وفی بعض منها « وان لاقيته فاعلم ان بقاك فی الدنيا قليل فلم يعش بعد ذلك الاّ ثلاثة أيام » .

كما رواه ابن الصباغ المالكی فی (الفصول المهمة ص ١٩٧ ط الغری) .

٢ـ روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) قال:

وكان علي بن الحسين عليه السلام قد جهد في العبادة ما لا يفعله بعده أحد فدخل إبنه أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام فرآه قد اصفرّ لونه من السهر والجوع ومصّت عيناه من البكاء وصارت جبهته كركبة البعير وانخرم أنفه من كثرة السجود وورمت ساقاه وقدماه من طول القيام في الصلاة.

فيقول الباقر عليه السلام: لم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال فبكيت رحمةً عليه واذا هو يفكر فالتفت اليّ بعد حينة من دخولي فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي اميرالمؤمنين عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يطيق عبادته.

٣ـ روى باكثير الحضرمي في (وسيلة المآل ص ٣١٣ ط الظاهرية بدمشق) وبرز ـ أي علي بن الحسين ـ يوماً إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده قد سجد على حجارة خشنة قال مولاه: فوقفت حيث أسمع شهيقه وبكائه فوالله لقد أحصيت عليه ألف مرّة وهو يقول:

«لا اله الاّ الله حقاً حقاً لا اله الاّ الله تعبّداً ورقاً لا اله الاّ الله ايماناً وتصديقاً» ثم رفع رأسه من سجوده وانّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه فقال له مولاه: يا سيدي أما آن حزنك أن ينقضي وبكائك أن يقلّ؟

فقال له: ويحك انّ يعقوب بن اسحق بن إبراهيم كان نبياً إبن نبي وله إثناعشر إبناً فغيّب الله تعالى واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغمّ وذهب بصره من إبكاء وابنه حيّ في دار الدنيا وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة وعشرين من أهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقلّ بكائي؟!!

٤ـ روى محمد بن طلحة الشافعي الشامي في (مطالب السئول ص ٧٧ ط تهران) قال:

وقيل: كان سبب لقبه زين العابدين انّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجدّه فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت اليه فجائه

الى إبهام رجله فالتقمها فلم يلتفت اليه فألمه فلم يقطع صلاته فلما فرغ منها وقد كشف الله تعالى له فعلم أنّه شيطان فسبّه واطمه فقال : أخس يا ماعون فذهب وقام الى تمام ورده فسمع صوتاً ولايرى قائله وهو يقول :

أنت زين العابدين ثلاثاً فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباله وأمّا لقبه ومزاياه وصفاته فكثيرة .

٥ ـ روى الحاكم النيشابورى فى (المستدرك ج ٣ ص ١٠٨ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن الزبيربن سعيد القرشي قال : كنّا جلوساً عند سعيدبن المسيب فمرّ بنا عليّ بن الحسين ولم أر هاشمياً قطّ كان أعبد لله منه .

٦ـ روى إبن الصباغ المالكى المصرى فى (الفصول المهمة ص ١٨٥ ط الغرى) قال :

وجلس إلى سعيد بن المسيّب فتى من قريش فطلع عليّ بن الحسين عليه‌السلام فقال القرشي لإبن المسيب : من هذا يا أبامحمد ؟ فقال : هذا سيّد العابدين على بن الحسين .

٧ـ روى الشيخ مصطفى رشدى إبن الشيخ إسمعيل الدمشقى فى (الروضة الندية ص ١٢ ط الخيرية بمصر) ما لفظه :

أبو محمد زين العابدين عليّ الأصغر ويلقّب بالسجاد لكثرة عبادته كان إماماً وفضله لاينكر وهماماً مناقبه و كراماته جلّت أن تعدّ أو تحصى[١] .

٨ـ قال الزبيدى فى (تاج العروس ج ٩ ص ١٥٦ ط القاهرة) :

ذوالثفنات هو لقب أبى محمد علي بن الحسين بن علي المعروف بزين العابدين والسجاد لقّب بذلك لأنّ مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته رضى الله تعالى عنه وإليه يشير دعبل الخزاعى :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
ديار عليّ والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات

٩ـ قال الراغب الاصبهانى فى (محاضرات الادباء ج ١ ص ٣٤٤ و ج ٤ ـ

ص٤٧٩ ط مكتبة الحياة ببيروت) :

قال عمر بن عبدالعزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين : من اشرف الناس ؟ فقيل : أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الاسلام فقال : كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي فان أشرف الناس من أحب كل انسان أن يكون منه ولا يحب أن يكون من أحد وهذه صورته .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار .

ونختم البحث بذكر بعض ما ورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

روى المفيد قدس سره في الارشاد باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزله السنبلة .

أقول : لنحافته وضعفه .

و روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في العلل باسناده عن أبي حازم انه يقول : ما رايت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى خرج بجهته وآثار سجوده مثل كركرة البعير .

و في الخصال : باسناده عن محمد بن حمران عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام كانت له خمس مأة نخلة وكان يصلّي عند كل نخلة ركعتين الحديث . .

العبادة فى الدنيا
و التنعم بنعيم الجنة فى الاخرة

إذا تدبرنا فى الايات القرآنية والروايات الشريفة الصحيحة الواردة فى الاعمال والجزاء بها وفى الجنة والمتنعمين بنعيمها لا نجد آية ولا رواية صحيحة أن يدخل أحد فى الجنة و يتنعم بنعيمها إلاّ بالايمان والعبادة لله وحده والتقوى وصالح العمل.

وقد صرحت الايات الكريمة كثيرة انّ كل من يتبع غير سبيل المؤمنين العابدين المتقين الصالحين فقد حرمت عليه الجنة وهو خالد فى النار كافراً كان أم منافقاً مجرماً عاصياً.

وأمّا مسئلة الشفاعة وشمولها لمن فالبحث مستقصى فى محلها إنشاء الله تعالى.

قال الله تعالى: « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين » التوبة: ١١١ و ١١٢

وقال: « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم: ٦٣.

وقال: « ونودوا أن تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون » الاعراف: ٤٣.

وقال: « يوم لاينفع مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم و ازلفت الجنة للمتقين وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل

ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون »
الشعراء : ٨٨ _ ٩٥ .

وقال : « من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة وماواه النار وماللظالمين من أنصار » المائدة : ٧٢ .

وقال : « ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتّح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين » الاعراف : ٤٠ .

و قال : « و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وسائت مصيراً » النساء : ١١٥ .

وقال : « وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نارجهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » التوبة : ٦٨ .

وقال : « ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » غافر : ٦٠ .

وقال : « ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً » النساء : ١٤٠ .

وقال : « ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها أبداً » الجن : ٢٣ .

وغيرها من الايات :

وأمّا الروايات فكثيرة جداً لايسعها المقام فنكتفى باثنتين منها :

احدهما _ روى الكلينى رضوان الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن أبى جميلة قال : قال ابوعبدالله عليه السلام : قال الله تبارك وتعالى : يا عبادى الصديقين تنعّموا فى الدنيا فانكم تتنعّمون بها فى الاخرة .

رواه الصدوق فى الامالى و ذكر بدل (فى الاخرة) (فى الجنة) .

وذلك لأنّ الصديقين العابدين يلتذّون بعبادتهم لله وحده وهى عندهم أعظم اللذات الروحانية ، كما فى الكافى باسناده عن عمرو بن جميع عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه

وباشرها بجسده وتفرّغ لها فهو لايبالى على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر .

أقول : إنّ العشق هو الافراط فى المحبة إطلاقاً ، وفى المقام أى من أحبّ العبادة حبّاً مفرطاً من حيث كونها وسيلة إلى التقرب من الله جل وعلا الذى هو المطلوب الحقيقى .

ثانيهما ـ روى السيوطى فى الدر المنثور عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل مما يسمى بالحديث القدسى انه قال : يا عبادى ! انّى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .

يا عبادى ! كلكم ضالّ إلاّ من هديته فاستهدونى اهدكم ، يا عبادى ! كلكم جائع الاّ من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ، يا عبادى ! كلكم عار الاّ من كسوته فاستكسونى اكسكم ، يا عبادى ! انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى اغفر لكم ، يا عبادى ! انكم لن تبلغوا ضرّى فتضرّونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى ! لو انّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى ! لو أنّ أوّلكم وآخركم و إنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو انّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل إنسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندى إلاّ كما ينقص المخيط إذا دخل البحر (أى إلاّ كما تنقص الابرة من ماء البحر إذا غمست فيه واخرجت منه و المراد انه لاينقص بذلك من ملكه شىء) ، يا عبادى ! إنّما هى أعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه .

ونختم البحث بذكر نكتة قيمّة عن بعض العبّاد الصالحين .

وذلك ان بعض الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد فى العبادة فقيل له :

انك تتعب نفسك وتوقعها فى المشقة ، فقال كم عمر الدنيا ؟ فقيل : سبعة آلاف سنة فقال : و كم مقدار يوم القيامة ؟ فقيل : خمسون الف سنة فقال : لو عمر المرء بعمر الدنيا لحق له أن يجتهد فى العبادة لهذا اليوم الطويل فانه أسهل بالنسبة إليه .



كلام فى موجبات الاعراض عن العبادة و سلب التوفيق

ان البحث فى المقام على أمرين :

أحدهما ـ فيما يوجب إعراض الناس عن العبادة لله جل وعلا .

ثانيهما ـ فيما يوجب سلب توفيق العبادة من الانسان .

أما الاول : فهو الاستكبار الذى أبرزه الشيطان يوماً أمره الله تعالى لآدم عليه السلام فأبى واستكبر واتبعه أقوام كثيرون فى طوال الاعصار .

ولكنهم جاوزوا عن ذلك فانه لم يسجد لآدم عليه السلام وهم لايعبدون الله ولا يسجدون له جل وعلا ، وانه ترك السجدة والعبادة لله ولغيره وهم تركوا العبادة والسجدة لله تعالى ولكنهم يعبدون ويسجدون لغيرالله من الشمس والقمر والملوك والبقر والأخشاب والحجر من الاصنام ، فكان التابع أحر و أحد من المتبوع .

قال الله تعالى : « ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » غافر : ٦٠ .

و قال : « و من يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » النساء : ١٧٢ .

و قال : و إذا قيل اسجدوا للرحمن قالوا و ما الرحمن أنسجد لما تامرنا وزادهم نفوراً » الفرقان : ٦٠ .

وقال : « واذا ذكرالله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » الزمر : ٤٥ .

وأما الثاني : فهو الذنب والعصيان فعلى الانسان أن يقلع عن الذنب كي لاتترا كم الذنوب فتسود قلبه فلا يبصر الواقع والحق فلا يعبد الله تعالى بعد ما كان يعبده .

في الدر المنثور : عن إبن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم و المعاصي ان العبد ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيىء له ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم » قد حرموا خير جنتهم بذنبهم .

وفي البرهان : بالاسناد عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق وتلا هذه الاية :

وفي الكافي : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته .

اقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أقبح الفقر بعد الغنا » إذا أسرف الغني في غناه فصار فقيراً أو ترك الكسب أو المراد التعيش بعيش الفقراء بعد حصول الغنا .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وأقبح الخطيئة بعد المسكنة » بأن يذنب ويعصى الله سبحانه بعد ما كان فقيراً من قبل .

فلما اغناه الله تعالى سلك مسالك العصاة ونسي حاله السابقة .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته » بسبب إرتكابه الذنب والعصيان فيسلب منه توفيق العبادة لذلك .

ومن غيرمراء أن الذين استكبروا عن عبادة ربهم والذين عصوا الله سبحانه فسلب عنهم توفيق العبادة فهم يعبدون كلما تشتهيه أنفسهم من العجل والطواغيت والاصنام وما إليها وأخيراً يتبعون ويتشكلون باشكال من غيرفهم .

قال الله تعالى : « أفرايت من اتخذ إلهه هواه ـ وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » الجاثية : ٢٣ و ٢٤ .

الهوى و الاستكبار
عن العبادة

انّ الاستكبار هو وليد الهوى فمن اتبع هواه يستتبعه الاستكبار ومنه الاستكبار عن العبادة لله تعالى ومن استكبرعنها فهو عبيد الهوى الذى اتخذ إلهه هواه قال الله تعالى : « أفكلما جائكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم » البقرة : ٨٧ .

و قال : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » النساء : ١٣٥ . أى تميلوا عما تقتضيه الفطرة .

وقال : « أرايت من اتخذ إلهه هواه » الفرقان : ٤٣ .

فاذاً يعبد كلما تهوى النفس البشرية من العجل و الطاغوت والشيطان والاصنام والشمس والقمر وما إليها من الطاعة لأهل المعاصي والضلالة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما عبد معبود في الارض مثل الهوى » .

روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قدمات أهلها وطيرها ودوابّها فقال : أما انّهم لم يموتوا إلاّ بسخطة ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا ، فقال الحواريّون : يا روح الله و كلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها فدعا عيسى عليه السلام ربه فنودى من الجوّ : ان نادهم فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الارض فقال : يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب : لبيك يا روح الله و كلمته .

فقال : ويحكم ما كانت أعمالكم ؟ قال : عبادة الطاغوت وحبّ الدنيا مع

خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب فقال : كيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : كحب الصبي لامه إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا، قال : كيف كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي قال : كيف كان عاقبة أمركم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية فقال : وما الهاوية ؟ فقال : سجين قال : وما سجين ؟ قال : جبال من جمر توقد عليها إلى يوم القيامة .

قال : فما قلتم وما قيل لكم ؟ قال : قلنا ردنا إلى الدنيا فنزهد فيها قيل لنا : كذبتم قال : ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا روح الله انهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد واني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل العذاب عمني معهم فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري اكبكب فيها أم أنجو منها فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المذابل خير كثير مع عافية الدنيا والاخرة .

وفي احقاق الحق : قال الامام سيدالشهداء الحسين بن علي أبيطالب عليه السلام : « اتقوا هذه الأهواء التي جماعها الضلالة وميعادها النار » قال الله تعالى في أهلها مخاطباً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله : « أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أويعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » الفرقان : ٤٤ .

ومن بعض مصاديق الاية الكريمة مايستفاد مما رواه إبن كثير الدمشقي في تفسيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ان الله ينهاك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق وينهاك أن تقتل ولدك وتغذ كلبك الحديث .

ترك العبادة
والخروج عن الانسانية

لاريب لعاقل فضلاً عن فاضل انّ انسانية الانسان هى بالعقل ولو ارتفع عنه لخرج عن كونه إنساناً حكماً وإن كان إنساناً صورة فلا يكون عند الارتفاع الاّ شبحاً ماثلاً أو صورة ممثلة ومن هنا يرتفع عنه التكليف .

ومن غير مراء انّ العقل لايكون عقلاً إلاّ بعد إهتدائه بالشرع كما تقدم ولذلك نفى الله تعالى العقل عن الكفار لماتعروا عن الهداية بالشرع فى غير موضع من كتابه منها :

قوله تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمٌ بكم عمى فهم لايعقلون » البقرة : ١٧١ .

وقوله : « واذا ناديتهم إلى الصّلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون » المائدة : ٥٨ .

وقوله : « انّ شر الدواب عندالله الصمّ البكم الذين لايعقلون » الانفال : ٢٢.

وقوله : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » البقرة : ١٧٠ .

والاهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالى فالانسان اذاً فى الحقيقة هو الذى يعبدالله ولذلك خلق اذقال : « وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » الذاريات:٥٦ .

وقال : « وما امروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة » البينة : ٥ .

فكل ما أوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان فى حكم المعدوم و لذلك كثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصاً كقولهم للفرس الردى[١] : ليس هذا بفرس ، وللانسان : ليس هذا بانسان .

ويقال : فلان لاعين له ولا أذن له اذا بطل فعل عينه وأذنه وان كان شبحهما باقياً ، وعلى هذا قوله تعالى : « صم بكم عمى » فيمن لم ينتفع بهذه الاعضاء فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التى لاجلها خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل انسانيته ومن تركها فقد انسلخت منه الانسانية على هذا التحليل العلمى القرآنى فصار حيواناً بل أدون من الحيوان كما قال الله تعالى فى وصف الكفار : « ان هم الاّ كالانعام بل هم أضلّ سبيلاً » الفرقان : ٤٤ .

وقال : « ان شر الدواب عندالله الصم البكم الذين لايعقلون » الانفال : ٢٢ .

فلم يرض الله سبحانه أن يجعلهم أنعاماً ودواب حتى جعلهم أضل منها و جعلهم من أشرارها وأخرج كلامهم عن جملة البيان .

فقال تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت الاّ مكاء وتصدية » الانفال : ٣٥ .

تنبيهاً على أنّهم كالطيور التى تمكو وتصدّى ونبّه تعالى بنكتة لطيفة على أنّ الانسان لايكون انساناً الاّ بالدين ولاذا بيان الاّ بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية والمعارف القرآنية .

فقال تعالى : « الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ١ـ٤.

حيث ابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينهما ، وكان الوجه على متعارف الناس أن يقول : خلق الانسان وعلمه البيان و علمه القرآن فان ايجاد الانسان بحسب نظرنا مقدم على تعليم البيان وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن لكن لما لم يعد الانسان إنساناً ما لم يتخصص بالقرآن ابتداء بالقرآن ثم قال خلق الانسان تنبيهاً على ان بتعليم القرآن جعله انساناً على الحقيقة ثم قال : علمه البيان تنبيهاً على انّ البيان الحقيقى المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف العطف منه .

وجعل كل جملة بدلاً مما قبلها لاعطفاً على أنّ الانسان ما لم يكن عارفاً برسوم العبادة ومتخصصاً بها لايكون انساناً وان كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لايكون بياناً .

ان تسئل : فعلى ماذكر لايصح أن يقال للكافر وتاركى العبادة انسان وقد سماهم الله تعالى انساناً فى كتابه ؟

والجواب : نعم انهم انسان على تعارف الناس ولكن قضية العقل والشرع تقتضى أن لايسموا به إلاّ مجازاً ما لم يوجد منهم العقل المختص بهم وان سمّوا بانسان على تعارف العامة وليس ذلك بمنكر فان كثيراً من الاسماء يستعمل على وجه فيبين الشرع ان ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم : الغنى فانهم استعملوه فى كثرة المال وبيّن الشرع انّ الغنى ليس هو بكثرة المال قال رسول الله ﷺ : ليس الغنى بكثرة المال وانما الغنى غنى النفس .

فأشار إلى أنّ الغنى ليس هو كثرة المال وان استعمله على ما هو متعارف الناس كقوله تعالى : « ومن كان غنياً فليستعفف » النساء : ٦ ، اى كثير الاعراض فاستعمله على ما هو متعارف .

وقال بعض العلماء : قول من قال : الانسان هو الحىّ الناطق الميت صحيح وليس معناه ما توهمه كثيرمن الناس من انه من الحياة الحيوانية والموت الحيوانى والنطق الذى هو فى الانسان بالقوة وانما اريد بالحى من كان له الحياة المذكورة فى قوله تعالى : « لينذر من كان حيّاً » .

واريد بالنطق البيان المذكور بقوله تعالى : « علّمه البيان » .

واريد بالميت من جعل قوته الشهوانية والغضبية مقهورتين على مقتضى الشريعة فيكون حينئذ ميتاً بالارادة حيّاً بالطبيعة ، كما قيل : مت بالارادة تحى بالطبيعة كما عليه الحيوان .

تـرك العبادة لله تعالى[١]
وعذاب الدارين

قال الله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون » الزخرف : ٣٦ و ٣٧ .

و قال : « ومن اعرض عن ذكرى فان لـه معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى » طه : ١٢٤ .

و قـال : « ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخـرين » غافر : ٦٠ .

وقال : « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا » الجن : ١٧ .

وقال : « ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم » هود : ٢٦.

روى الكليني : رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن عمرو بن يزيد عن ابى عبدالله عليه السلام قـال : فى التوراة مكتوب يـا ابن آدم تفرّغ لعبادتى أملاء قلبك غنى ولا أكلك الى طلبك وعليّ ان أسدّ فاقتك واملاء قلبك خوفاً منّى وان لا تفرّغ لعبادتى أملاء قلبك شغلا بالدنيا ثم لا أسدّ فاقتك وأكلك الى طلبك .

وفى بعض التفاسير : ان ملكا شابّا فى بنى اسرائيل قـال : انى اجـد فى الملك لذّة فلا ادرى أكذلك يجده الناس ام انا اجده؟ فقالوا له : كـذلك يجده الناس قال : فمـا ذا يقيمه و يـديمه ؟ قالـوا : يديمه و يقيمه لـك ان تطيع الله ولا تعصيه .

فدعا من فى بلده من العلماء والصلحاء وقال لهم : كونوا بحضرتى ومجلسى

فما رايتم من طاعة الله منى فامرونى وما رأيتم من المعصية فازجرونى عنها فعل ذلك فاستقام له الملك اربعمأة سنة .

ثم ابليس اتاه يوما على صورة رجل وقال له : من انت ؟ قال الملك : رجل من بنى آدم قال ابليس : لو كنت من بنى آدم لمتّ كما يموت بنو آدم ولكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل فى قلبه شيء ثم صعد المنبر فقال : ايها الناس انى اخفيت عليكم أمراً حان ولزم اظهاره وهو انى ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بنى آدم لمت ولكنى اله فاعبدونى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان و قال : اخبره انى استقمت له ما استقام لى فتحوّل من طاعتى الى معصيتى فبعزّتى وجلالى لا سلّطنّ عليه بخت نصر ولم يتحوّل عن ذلك فسلّطه عليه فضرب عنقه واوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب .

وفى تفسير القمى فى قوله تعالى : « يلق اثاما » الفرقان : ٦٨ .

قال : الاثام واد من اودية جهنم من صفر مذاب قدّامها حدّة فى جهنم يكون فيه من عبد غيرالله ومن قتل النفس التى حرم الله وتكون فيه الزناة .



بحث علمي اجتماعي
في الاستعانة بالله تعالى

(واياك نستعين)

قال الله تعالى ذلك تعليماً لعباده ، ولايخفى انّ الاستعانة على ضربين وقد مرّ البحث في التفسير والتأويل ففي الرجوع إليه والتدبر فيه فوائد جمّة .

ولا ريب انّ للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وقد أوضح الله تعالى له مواردهما أمراً ونهياً في كتابه الكريم وبلسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن لما كان عدوّ بالمرصاد يدعو الانسان إلى ترك ما أمره الله تعالى به وإرتكاب ما نهى الله جل وعلا عنه فلا بد للعبد أن يستعين بالله تعالى فيفعل المأمور به ويترك المنهى عنه فقوله تعالى تعليماً لنا : « اياك نستعين » لايقصر الاستعانة في العبادة والصلاة والطاعة وإن كانت الاستعانة فيها استعانة في غيرها بالمآل بل الاستعانة إطلاقاً هي زيادة في القوة على إتيان ما يريده الانسان وترك ما لايريده في جميع شئون حياته الاسرية الداخلية والاجتماعية الخارجية على ما يوافقه التشريع ، وفي تقارن الاستعانة من الصبر تنبيهاً على التلازم كثيراً مالا يخفى ، ونطلب من الله القادر المنان القوة والتأييد لاداء أو امره وترك محارمه ومكارهه .

روى الطبرسي رضوان الله تعالى عليه في مكارم الأخلاق في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري في حديث طويل :

يا أباذر ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله عزوجل بهنّ ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك

في الشدة ، وإذا سئلت فاسئل الله عزوجل وإذا إستعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلو انّ الخلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتب لك ما قدروا عليه ولوجهدوا ان يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك ماقدروا عليه ، فان استطعت أن تعمل لله عزوجل بالرضى في اليقين فافعل وإن لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وإن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانّ مع العسر يسراً الحديث . .

وروى الشيخ الطوسي قدس سره في أماليه باسناده عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد حاجة فاذا هو بالفضل إبن العباس قال : فقال : احملوا هذا الغلام خلفي فاعتنق رسول الله صلى الله عليه وآله من خلفه على الغلام ثم قال : ياغلام خف الله تجده أمامك يا غلام خف الله يكفك ما سواه ، وإذا سئلت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وله انّ جميع الخلائق اجتمعوا على أن يصرفوا عنك شيئاً قد قدّر لك لم يستطيعوا ولو انّ جميع الخلائق اجتمعوا على أن يصرفوا إليك شيئاً لم يقدّر لك لم يستطيعوا .

واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان اليسر مع العسر وكل ما هو آت قريب ، انّ الله يقول : ولو انّ قلوب عبادى اجتمعت على قلب اشقى عبدلى ما نقصني ذلك من ساطاني جناح بعوضة ولو انّ قلوب عبادى اجتمعت على قلب اسعد عبد لي ما زاد ذلك في سلطاني جناح بعوضة ولو انّي اعطيت كل عبد ما سئلني ما كان ذلك الاّ مثل إبرة جائها عبد من عبادى فغمسها في البحر وذلك انّ عطائي كلام وعدتي كلام وانما أقول لشيء : كن فيكون .

وفي رواية : انّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : يا موسى لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسوا قلبك و قاسي القلب مني بعيد ، وكن خلق الثياب جديد القلب تخفى على أهل الارض وتعرف في أهل السماء واقنت بين يدىّ قنوت الصابرين وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهاربين من عدوه واستعن بي على ذلك فاني نعم العون ونعم المستعان .

وفى رواية : انّ رسول الله ﷺ كان بعد غزوة تحت شجرة وحيداً فحمل عليه مشرك بسيف وقال : من يخلصك منى ؟ فقال النبى ﷺ : الله تعالى فسقط المشرك و السيف فاخذه النبى ﷺ فقال : من يخلّصك منى ؟ فقال : لا أحد ثم أسلم .

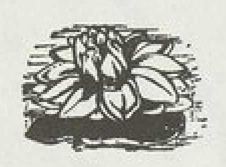
وفى رواية : انّ زيدبن ثابت خرج مع رجل من مكة الى الطائف ولم يعلم انه منافق فدخلا خربة وناما فأوثق المنافق يدى زيد و أراد قتله فقال زيد : يا رحمن أغثنى فسمع المنافق قائلاً يقول : ويحك لاتقتله فخرج المنافق ولم ير أحداً ثم وثم ففى الثالثة قتله فارس ثم حلّ وثاقه وقال : أنا جبرئيل كنت فى السماء السابعة حين دعوت الله .

فقال الله تعالى : ادرك عبدى فالله ولىّ الّذين آمنوا .

فلا بد لكل مسلم من الاستعانة بالله تعالىٰ فى كل حال على جميع شئون حياته .

قال الله تعالى : « استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » الاعراف : ١٢٨ .

وقال : « فصبر جميل والله المستعان » يوسف : ١٨ .



بحث علمى

فى الهداية والاهتداء

(اهدنا الصراط المستقيم)

وهذا تعليم من الله جلّ وعلاً ايضاً لعباده .

ولايخفى انّ النفس البشرية قد تلقت فى تكوينها الاولى الاحساس بالخير والشر قال الله تعالى : « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٧ و ٨ . أى طريقى الخير والشر فالانسان بما هو إنسان محكوم على ما تميله اليه فطرته أوعقله الباطنى قبل بعثة الرسل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : العقل نور القلب يفرق بين الحق والباطل .

وقال عليه السلام : العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان .

وقال الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » الاعراف : ١٧١ .

وقال تعالى : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين » يس : ٦٠ ، « وان اعبدونى هذا صراط مستقيم » يس : ٦١ .

فان الله تعالى غرس أسس التوحيد والعبادة لله وحده والاحساس بالخير و الشر فى النفس الانسانية عملاً بسنة الكمال .

ولكن النفس لو تمادت فى غيّها وضلالها ولم ترتدع بنداء الفطرة تكون محكومة لشيطانها وتنحرف لظلمات فى نفسها جائتها من ناحية الذنوب وعدم القيام بمعطيات الفطرة « وهديناه النجدين » قال بعض الصلحاء : ألا انهما طريقا الخير والشر ولكنا جعلنا طريق الشر احبّ الينا من طريق الخير قال اميرالمؤمنين

علي عليه السلام: « وقد بصّرتم إن أبصرتم وقد هديتم إن اهتديتم » فالذين لايقبلون الهداية فهم الذين ضلّوا عنها لانها ضلّت عنهم.

قال بعض الحكماء:

متى أحسست بانك قد اخطأت واردت الاّ تعود ايضا فتخطىء فانظر إلى أصل في نفسك حدث عنه ذلك الخطأ فاحتل في قلعه وذلك انك إن لم تفعل ذلك عاد فثبت خطأ آخر.

وقد قيل: إنّ البدن الخالي من النفس تفوح منه رائحة النتن كذلك النفس الخالية عن الاهتداء وكما انّ البدن الخالي من النفس ليس يحس ذلك بالبدن بل الذين لهم حسّ يحسّونه به كذلك النفس العديمة للاهتداء ليس تحس به تلك النفس بل يحسّ به من اهتدى.

وقد قيل لبعض الحكماء: ما بال الناس ضلّوا عن الحق؟ أتقول: انهم لم تخلق فيهم قوة معرفة؟ فقال: لابل خلق لهم ذلك ولكنهم استعملوا تلك القوّة على غير وجهها وفي غير ما خلقت له كالسّمّ تدفعه إلى إنسان ليقتل به عدوّه فيقتل به نفسه.

ان الله تعالى غرس في الانسان اصول المعارف الالهية ونصب له أيضاً الأدلّة ومكّنه بما أكمل له من العقل من الهداية قال تعالى: « وهديناه النجدين » البلد: ١٠. وقال: « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة » الانفال: ٤٢.

فلا عذر لمن انحرف عن الصراط السوي وتبع هواه قال الله تعالى: « أفمن كان على بينة من ربه كمن زيّن له سوء عمله واتبعوا أهوائهم » محمد صلى الله عليه وآله: ١٤.

قال امير المؤمنين علي عليه السلام

رحم الله امرأً سمع حكما فوعى ودعي إلى رشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجى راقب ربّه وخاف ذنبه قدّم خالصاً وعمل صالحاً اكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً و رمى غرضاً وأحرز عوضاً كابر هواه و كذّب مناه جعل الصبر مطيّة نجاته والتقوى عدّة وفاته ركب الطريقة الغرّاء ولزم المحجّة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزوّد

من العمل .

فلنا أن نسلك الصراط المستقيم ونجتنب عن الطرق المعاويج ليس فيها إلا الضلالة والهلاكة ، فلا عذر لمتعذر إن ضل عن طريق الهدى ودخل فى سبيل الردى ، ونستجير بالله القادر المنان من مرض القلب وقسوته فانهما حجابان حاجزان عن رؤية الحق والواقع وعن السلوك فى طريق الفضائل وهما داعيان الانسان إلى الباطل وإلى السلوك فى سبل الرذائل .



الانسان و هداية
طريقى الفضيلة و الرذيلة

إنّ الله تعالى هدى الانسان طريقى الفضيلة والرذيلة على ما أودعه فيه وقال : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » البلد : ٨ ـ ١٠ .

حقاً « انّ النفس لأمّارة بالسوء » يوسف : ٥٣ .

ولكن الانسان قادر على أن يحكم على أهوائه : « وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى » النازعات : ٤٠ .

وإنّ الناس وإن لم يكن كلهم يمارسون هذا التأثير على أنفسهم ولكن منهم من يفعل ذلك لاهتدائه بهدى الله تعالى كما قرّره رسول الله الاعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قوله : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه » ففى الانسان قوة باطنة لا تقتصر على نصحه وهدايته فحسب بل انّها تأمره بما أراد الله تعالى منه وتنهاه عما لا يريده منه .

كما فيه قوة باطنة تدعوه إلى خلاف ذلك فتأمره ما لا يريده الله تعالى منه وتنهاه عما يريده الله تعالى منه إذ قال : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا » الطور : ٣٢ .

والامر إذن أمر اختيار يرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيىء لملكاتنا العليا أو السفلى ، ويؤدّى بها الانسان عبادته لخالقه أو يتركها فاذاً إمّا ان يبقى متحيّراً لا يفعل شيئاً و إمّا أن يلجأ إلى كل ضرب من ضروب التخيل والاوهام فتتراكم فيه ضروب الشكوك وصنوف الضلال .

فلا بد لكل انسان الرجوع الى الوسيله الفريدة التى تجعل الانسان يسلك

سلوكا مطابقاً لفطرته وهي طريقة الانبياء ومن اليهم الذين ما انحرفت فطرتهم ونالوا ما نالوا من الفوز والفلاح .

فالناس كلهم محتاجون في سلوكهم على ما تقتضيه فطرتهم على وجه التحديد الى قاعدة صالحة للتطبيق على فطرتهم ويستطيع كل منهم في الحالات السهلة أن يجد تلك القاعدة مسجلة بصورة ما في ضميره أشار تعالى الى تلك القاعدة بقوله : « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » .

فلا بدلهم أن يتوجهوا إلى ذلك النور البديع لتهدى ضمائرهم فلا يقعون في ظلام مهلكة وفي تلك القاعدة وفي ذلك النور وفي هذا الطريق سعادة النفس وهدايتها وكما لها اذ في هذا الصراط المستقيم صلاحية كاملة وبصيرة نافذة ليس فيه ظلام ولاضلال فلنا أن نقتبس من ذلك النور نورنا وأن نتوجه الى هذا الطريق لهداية ضمائرنا وليس هنالك سوى نور واحد محض وغير محدود وهو العقل الالهى لا خطأ فيه الذى أعطاه الله انبيائه ورسله والمعصومين يجب على كل انسان أن يتخذ هذا العقل وسيلة هداية كاملة لنفسه فتكون في ثقة تامة .

وقد سئل كثيراً : انّ العقل إذا كان هادياً لماذا تكون بعده الرسالة ؟ .

والجواب : لابد وأن يكون المقياس ثابتاً ليقاس ويتشخص به الحق والباطل ، و انّ الرسالة مقياس ثابت لا خطأ فيها و أمّا العقل فليس له ثبات مع إختلافه في التصور والتصديق ، مع أنّ العدو لبالمرصاد قال الله تعالى : « لايقومون الاّ كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » البقرة : ٢٧٥ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا انّ الشيطان يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : « ان للشيطان لمّة بابن آدم و للملك لمّة فامّا لمّة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأمّا لمّة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله

من الشيطان الرجيم ».

ثم قرأ ﷺ : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ».

فمن الخواطر ما هو أصل السعادة ومنها ما هو أصل الشقاء ، فلنا الاهتداء بهدى من لا خطأ فيه .

قال الله تعالى : « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » الانعام : ٩٠ .



الاهتداء

بهدى رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى آمراً برسوله صلى الله عليه وآله وسلم : « قل إنّنى هدانى ربّى إلى صراط مسقيم ديناً قيّماً ملة إبراهيم حنيفاً » الانعام : ١٦١ .

وقال : « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم » الشورى : ٥٢ .

وفى نهج البلاغة : قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام فى خطبة له :

« واقتدوا بهدى نبيّكم فانه أفضل الهدى واستنّوا بسنّته فانها أهدى السنن وتعلّموا القرآن فانه أحسن الحديث وتفقّهوا فيه فانه ربيع القلوب واشتفوا بنوره فانه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فانه أنفع القصص وانّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لايستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهوعندالله ألوم .

قوله عليه السلام فى العالم الذى لايعمل بعلمه : « بل الحجة عليه أعظم » لأنّه يعلم الحق ولايعمل به أويكتمه فالحجة عليه أعظم من الحجة على الجاهل وإن كانا جميعاً محجوجين أمّا أحدهما فبعلمه والاخر فبتمكّنه من أن يعلم .

وقوله عليه السلام : « و الحسرة له ألزم » لأنّه عند الموت يتأسّف ألاّ يكون عمل بما علم والجاهل لايأسّف ذلك الأسف .

وقوله عليه السلام : « وهوعند الله ألوم » أى أحق أن يلام لأنّ المتمكن عالم

بالقوة وهذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد .

وأمّا قوله تعالى[١] : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » البقرة : ٢٧٢ .

وقوله : « انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » القصص : ٥٦ .

وقوله : « وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم أن تسمع الاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » الروم : ٥٣ .

وقوله : « أفانت تسمع الصم وتهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين » الزخرف : ٤٠ .

فلا ينفى كونه صلى الله عليه وآله وسلم مهدياً على ما زعم بعض من ليس له ذوق التفسير نعم ان الايات تنفى كونه صلى الله عليه وآله هادياً لهؤلاء الناس الذين اتخذوا إلههم هواهم لا إطلاقاً كما زعم بعضهم والجواب إجمالاً انّ الهداية باعتبار على قسمين :

أحدهما ـ هداية تشريعية وهى الدلالة والارشاد إلى الخير والسعادة وهى للانبياء عليهم السلام ومن ناب منابهم بلا مراء .

قال الله تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » الانبياء : ٧٣ .

فعلى الانبياء عليهم السلام الارشاد والدلالة الى ما فيه الكمال الانسانى والحثّ على الفضائل والنهى عن الرذائل .

ثانيهما ـ هداية تكوينية خاصة وهى التوفيق الى طريق الخير والسعادة بالاهتداء كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ، وليست هذه الاّ لله تعالى واليها أشار بقوله تعالى : « والله بالمهتدين » القصص : ٥٦ .

وقال : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » الاسراء : ٩٠ .

على أنّ هذه الهداية تحصل لاهتدائهم بسببه ، والاّ كان القرآن هدى للناس كلهم باعتبار أنّه يرشدهم إلى الحق سواء حصل الاهتداء أم لا .

قال الله تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس » البقرة : ١٨٥ .

الاهتداء

بهدى الامام امير المؤمنين على عليه السلام

إنّى إكتفيت بما ورد فى ذلك ما لا مراء لاحد فيه إلاّ من كان فيه مرض وغرض .

ففى نهج البلاغة قال علي بن أبيطالب عليه السلام فى خطبة له :

« ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنى لم أردّ على الله ولاعلى رسوله ساعة قطّ ولقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال وتتأخر الأقدام نجدةً أكرمنى الله بها .

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن رأسه لعلى صدرى ولقد سالت نفسه فى كفّى فأمررتها على وجهى ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعوانى فضجّت الدار و الأفنية : ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعى هينمة منهم يصلّون عليه حتى واريناه فى ضريحه فمن ذا أحق به منّى حيّاً وميتاً فانفذوا على بصائركم ولتصدق نيّاتكم فى جهاد عدوّكم فوالذى لا اله الاّ هو انّى لعلى جادّة الحق وانهم لعلى مزلّة الباطل » .

قال ابن أبى الحديد فى الشرح :

والظاهر انه يرمز فى قوله عليه السلام : « لم أردّ على الله ولاعلى رسوله ساعة قط » إلى امور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فان بعض الصحابة أنكر ذلك وقال : يا رسول الله ألسنا المسلمين ؟ قال : بلى قال : أوليسوا الكافرين ؟ قال : بلى قال : فكيف نعطى الدنيّة فى ديننا فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما

اعمل بما أومر به » فقام ـ بعض الصحابة ـ فقال لقوم من الصحابة : ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان أعطينا الدنية فى ديننا ـ إلى أن قال إبن أبى الحديد ـ فلما فتح النبى صلى الله عليه وآله مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه ـ أى البعض المعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله فى صلح الحديبة ـ فقال : هذا الذى وعدتم به .

ثم قال الحديد : واعلم أنّ هذا الخبر صحيح لاريب فيه والناس كلهم رووه .

أقول : إنّ بعض الصحابة الذى إعترض على النبى صلى الله عليه وآله فى الصلح هو عمر بن الخطاب على ما روى إبن هشام فى السيرة وغيره .

ثم قال الحديد : وقد كانت وقعت من هذا القائل امور دون هذه القصة . . ـ إلى قال ـ : قوله عليه السلام : « ولقد واسيته بنفسى » وهذامما اختصّ عليه السلام بفضيلته غيرمدافع ثبت معه يوم احد وفرّ الناس وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله . . .

قوله عليه السلام : « نجدة » النجدة : الشجاعة ، و قوله عليه السلام : « فضجّت الدار والافنية » أى النازلون فى الدار من الملائكة أى ارتفع ضجيجهم ولجبهم يعنى أنى سمعت ذلك ولم يسمعه غيرى من أهل الدار .

والملأ : الجماعة يهبط قوم من الملائكة ويصعد قوم والهينمة : الصوت الخفى .

وقال الحديد : قوله عليه السلام : « فمن ذا أحق به منّى حيّاً وميتاً » إنتصابهما على الحال من الضمير المجرور فى (به) أى أىّ شخص أحق برسول الله صلى الله عليه وآله حال حياته وحال وفاته منى ومراده من هذا الكلام أنه أحق بالخلافة بعده وأحق الناس بالمنزلة منه حيث كان بتلك المنزلة منه فى الدنيا .

وقوله عليه السلام : « فانفذوا إلى بصائر كم » أى أسرعوا إلى الجهاد على عقائد كم التى أنتم عليها ولايدخلن الشك والريب فى قلوبكم .

وفى النهج ايضاً قال الامام علي عليه السلام فى خطبة له .

« و إنما أنا قطب الرحى تدور عليّ وأنا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها

و إضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأى السوء والله لولا رجائى الشهادة عند لقائى العدوّ ولو قد حمّ لى لقاؤه لقرّبت ركابى ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال طعّانين عيّابين حيّادين روّاغين ، انه لاغناء فى كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لايهلك عليها إلا هالك من إستقام فالى الجنة ومن زلّ فالى النار .

قوله عليه السلام : « استحار مدارها » أى اضطرب « ثفالها » الثفال بكسر الثاء : جلد يبسط ويوضع الرحا فوقه فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق « حمّ » اى قدّر و « ركابى » الركاب : الابل « شخصت عنكم » اى خرجت .

ثم وصفهم بعيب الناس والطعن فيهم وانهم يحيدون عن الحق عن الحرب أى ينحرفون ويروغون كما يروغ الثعاب .

قال الحديد : وهذا كلام قاله أميرالمؤمنين عليه السلام فى بعض غارات أهل الشام على أطراف اعماله بالعراق بعد انقضاء أمر صفين والنهروان .

وفى النهج قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام فى خطبة له :

« أيّها الناس انّى قد بثثت لكم المواعظ التى وعظ بها الانبياء اممهم وادّيت اليكم ما ادّت الاوصياء إلى من بعدهم وادّبتكم بسوطى فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا ، لله أنتم أتتوقّعون إماماً غيرى يطأبكم الطريق ويرشدكم السبيل ألا انّه قدأدبر من الدنيا ما كان مقبلاً واقبل منها ما كان مدبراً وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لايبقى بكثير من الاخرة لايفنى ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم بصفّين إلاّ يكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرّنق قد والله لقوا الله فوفّاهم اجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم .

أين إخوانى الّذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق أين عمّار وأين ابن التيهان و أين ذوالشهادتين وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة وابرد برؤسهم إلى الفجرة .

قال: ثم ضرب عليه السلام بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ثم قال عليه السلام: أوّه على اخواني الذين قرؤا القرآن فاحكموه وتدبّروا الفرض فأقاموه احيوا السنّة وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه ثم نادى بأعلى صوته:

الجهاد الجهاد عباداللّه ألا وانّى معسكر فى يومى هذا! فمن أراد الرواح إلى اللّه فليخرج.

قوله عليه السلام: «بثثت لكم المواعظ» أى فرّقتها ونشرتها و«الاوصياء»: الّذين يأتمنهم الانبياء على الأسرار الالهيّة «وحدوتكم»: سقتكم كما تحدى الابل «فلم تستوسقوا» أى لم تجتمعوا «يطأبكم الطريق» أى يحملكم على المنهاج الشرعي ويسلك بكم مسلك الحق كأنه جعلهم ضالين عن الطريق الّتى يطلبونها وقال: أتريدون إماماً غيرى يوقفكم على الطريق الّتى تطلبونها حتى تطئوها وتسلكوها.

ثم ذكر انه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً وهو الهدى والرشاد فانه كان فى أيّام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ مقبلاً ثم أدبر عند إستيلاء معاوية واتباعه وأقبل منها ما كان مدبراً وهو الضلال والفساد.

قال الحديد: «ومعاوية عند أصحابنا مطعون فى دينه منسوب إلى الالحاد قد طعن فيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و روى فيه شيخنا أبوعبداللّه البصرى فى كتاب «نقض السفيانية» على الجاحظ وروى عنه أخباراً كثيرة تدل على ذلك وقد ذكرناها فى كتابنا فى «مناقضة السفيانية» وروى أحمد بن أبى طاهر فى كتاب «أخبار الملوك» انّ معاوية سمع المؤذّن يقول: «اشهد أن لا اله الاّ اللّه» فقالها ثلاثاً فقال: «اشهد انّ محمداً رسول اللّه» فقال ـ معاوية ـ: للّه أبوك يابن عبداللّه لقد كنت عالى الهمّة ما رضيت لنفسك إلاّ أن يقرن إسمك باسم رب العالمين.

وقوله عليه السلام: «وازمع الترحال» أى ثبت عزمهم عليه «الرنق»: الكدر ثم عدّد الاخوان منهم عماربن ياسر ومنهم أبوالهيثم بن التيهان.

ومنهم ذو الشهادتين وهو خـزيمة بن ثابت بن الفاكه جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهادته كشهادة رجلين ، وذلك على ما في اسد الغابة : « ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي فجحده سواء فشهد خزيمة بن ثابت للنبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما حملك على الشهادة ولم تكن حاضراً معنا ؟ قـال : صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لاتقول إلاّ حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه .

وفي النهج : قال الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام :

« ما كذبت ولا كذبت ولاضللت ولا ضلّ بي » .

قال الحديد :

هذه كلمة قد قالها مراراً إحداهنّ في وقعة النهروان .

وكذبت بـالضم : أخبرت بخبر كاذب أي لـم يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المخدج خبراً كاذباً ـ المخدج : ناقص اليد وهو ذوالثديـة ـ لانّ اخباره صلى الله عليه وآله وسلم كلها صادقة .

وضلّ بي بالضم نحوذلك أي لم يضللني مضلّل عن الصدق والحـق لانّه كان يستند في اخباره عن الغيوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهـو منزّه عن إضلالـه واضلال أحد من المكلفين ، فكأنّه قال : لما أخبرهم عن المخدج وأبطأ ظهوره لهم : أنا لـم اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكذب فيما أخبرني بوقوعه فاذاً لا بد من ظفركم بالمخدج فاطلبوه .

امام الهدى و امام الردى

في النهج قال الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام :

« فانه لاسواء امام الهدى وامام الردى و وليّ النبي وعدوّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله :

انّي لااخاف على امتي مؤمناً ولامشركاً أمّا المؤمن فيمنعه الله بايمانه وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون و يفعل ما تنكرون .

قال ابن ابي الحديد في الشرح :

الاشارة بامام الهدى اليه نفسه وبامام الردى إلى معاوية وسمّاه إماما كما سمى الله تعالى أهل الضلال أئمة فقال : « وجعلنا هم أئمة يدعون الى النار » ثم وصفه بصفة اخرى وهوانه عدوّ النبي صلى الله عليه وآله ليس يعني بذلك انه - معاوية بن أبيسفيان - كان عدوّاً أيام حرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقريش بل يريد انه الان عدو النبي صلى الله عليه وآله ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام : « وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوالله » وأوّل الخبر : وليّك وليي و وليّ وليّ الله » و تمامه مشهور ، ولأنّ دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه ومن أفعاله وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصاً من كتب شيخنا أبيعبدالله ومن كتب الشيخين أبي جعفر الاسكافي وأبي القاسم البلخي .

ثم قال عليه السلام : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اني لااخاف على امتي مؤمناً ولامشركاً » أي ولامشركاً يظهر الشرك قال : لأنّ المؤمن يمنعه الله بايمانه أن

يضل الناس والمشرك مظهر الشرك يقمعه الله باظهار شركه ويخذله ويصرف قلوب الناس عن إتباعه لأنهم ينفرون منه لاظهاره كلمة الكفر فلا تطمئن قلوبهم اليه ولاتسكن نفوسهم إلى مقالته ولكنّي أخاف على امتى المنافق الذى يسرّ الكفر و الضلال ويظهر الايمان والافعال الصالحة ، ويكون مع ذلك ذالسن وفصاحة يقول بلسانه ما تعرفون صوابه ويفعل سرّاً ما ينكرونه لو اطلعتم عليه وذاك انّ من هذه صفته تسكن نفوس الناس إليه لأنّ الانسان انّما يحكم بالظاهر فيقلّده الناس فيضلّهم ويوقعهم فى المفاسد .

ثم قال ابن ابى الحديد فى الشرح :

ومن الكتب المستحسنة الكتاب الذى كتبه المعتضد بالله أبوالعباس احمد بن الموفّق أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله فى سنة أربع وثمانين ومأتين ووزيره حينئذ عبيدالله بن سليمان .

وقال الحديد : وأنا أذكره مختصراً من تاريخ أبى جعفر محمّد بن جرير الطبرى قال أبوجعفر ـ فى تاريخه ـ : وفى هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر وأمر بانشاء كتاب يقرأ على الناس فخوّفه عبيدالله بن سليمان اضطراب العامّة وانه لايأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت اليه .

فكان أوّل شىء بدأ به المعتضد من ذلك التقدم إلى العامة بلزوم أعمالهم وترك الاجتماع والعصبية والشهادات عند السلطان إلاّ أن يسئلوا ومنع القصّاص عن القعود على الطرقات وانشاء هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت بالجانبين من مدينة السلام فى الأرباع والمحالّ والاسواق يوم الاربعاء لستّ بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه ومنع القصّاص من القعود فى الجانبين ومنع أهل الحلق من القعود فى المسجدين ونودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره وبمنع القصّاص وأهل الحلق من القعود ونودى :

انّ الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس فى مناظرة أوجدال وتقدّم إلى الشراب الذين يسقون الماء فى الجامعين ، ألاّ يترحّموا على معاوية ولايذكروه

بخير وكانت عادتهم جارية بالترحم عليه وتحدث الناس ان الكتاب الذى قد أمر المعتضد بانشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلّى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قرائة الكتاب فلم يقرأ :

وقيل : إنّ عبدالله بن سليمان صرفه عن قرائته وانّه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى وأمره أن يعمل الحيلة فى إبطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلّم المعتضد فى ذلك وقال له :

انّى أخاف أن تضطرب العامة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة فقال : ان تحرّكت العامة أو نطقت وضعت السيف فيها .

فقال : يا أميرالمؤمنين فما تصنع بالطالبين الذين يخرجون فى كل ناحية ويميل إليهم خلق كثير لقربتهم من رسول الله ﷺ وما فى هذا الكتاب من أطرائهم ـ أو كما قال ـ وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل وكانوا هم أبسط ألسنةً وأثبت حجةً منهم اليوم .

فأمسك المعتضد فلم يردّ إليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشىء و كان من جملة الكتاب بعد أن قدّم حمدالله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ :

أمّابعد فقد إنتهى إلى أميرالمؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قد دخلتهم فى أديانهم وفساد قد لحقهم فى معتقدهم وعصبيّة قد غلبت عليها أهوائهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولارويّة قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولابصيرة و خالفوا السنن المتبعة إلى الاهواء المبتدعة قال الله تعالى : « ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغيرهدى من الله انّ الله لايهدى القوم الظالمين » خروجاً عن الجماعة ومسارعةً الى الفتنة وايثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة واظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة و بتر منه العصمة وأخرجه من الملّة وأوجب عليه اللعنة وتعظيماً لمن صغرالله حقّه و أوهن أمره وأضعف ركنه من بنىامية الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة « والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم » فأعظم أميرالمؤمنين ما انتهى اليه

من ذلك ورأى ترك انكاره حرجاً عليه فى الدين وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين واهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين و اقامة الحجة على الشاكّين وبسط اليد على المعاندين وامير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين انّ الله جل ثنائه لما ابتعث محمداً صلى الله عليه وآله بدينه وأمره أن يصدع بامره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم الى ربه وأنذرهم وبشّرهم ونصح لهم وأرشدهم فكان من استجاب له وصدّق قوله واتبع أمره نفير يسير من بنى أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه وناصر لكلمته وان لم يتبع دينه اعزازاً له واشفاقاً عليه .

فمؤمنهم مجاهد ببصيرته وكافرهم مجاهد بنصرته وحميّته يدفعون من نابذه ويقهرون من عازّه وعانده و يتوثّقون له ممن كانفه وعاضده ويبايعون من لمح بنصرته ويتجسّسون اخبار أعدائه ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين .

حتى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله والايمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة فجعلهم الله أهل بيت الرحمة و أهل بيت الدين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً معدن الحكمة وورثة النبوة و موضع الخلافة أوجب الله لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الاعظم يتلقّونه بالضرر و التثريب ـ التثريب : العتاب واللوم ـ ويقصدونه بالأذى و التخويف وينابذونه بالعداوة وينصبون له المحاربة ويصدّون من قصده وينالون بالتعذيب من أتبعه وكان أشدّهم فى ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة أوّلهم فى كل حرب ومناصبة ورأسهم فى كل اجلاب وفتنة لايرفع على الاسلام راية الاّ كان صاحبها قائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب احد والخندق وغيرهما ، وأشياعه من بنى أمية الملعونين فى كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مواطن عدّة لسابق علم الله فيهم وما فى حكمه فى أمرهم و كفرهم ونفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهدا ويدافع مكايداً ويجلب منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله

وهم كارهون فتعوّذ بالاسلام غير منطو عليه وأسرّ الكفر غير مقلع عنه فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم ثم أنزل الله تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم وهوقوله تعالى: « والشجرة الملعونة فيالقرآن » ولاخلاف بين أحد في أنّه تعالى وتبارك أراد بها بني امية.

ثم قال ابن أبيالحديد نقلاً عن الطبري:

ومما ورد من ذلك في السنة ورواه ثقات الامة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ـ في أبي سفيان ـ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه: « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ومنه ماروته الرواة عنه من قوله بيعة عثمان: تلقّفوها يا بني عبد شمس تلقّف الكرة فوالله ما من جنة ولانار.

قال ابن ابي الحديد نقلا: وهذا كفر صراح يلحقه اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

ومنه ما يروى من وقوفه على ثنيّة أحد من بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: ههنا رمينا محمداً وقتلنا أصحابه.

ومنها الكلمة الّتي قالها للعباس قبل الفتح وقد عرضت عليه الجنود: لقد أصبح ملك إبن أخيك عظيماً فقال له العباس: ويحك انه ليس بملك انها النبوة.

ومنها قوله يوم الفتح وقدرأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذن ويقول: اشهد أنّ محمداً رسول الله: لقد أسعد الله عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

ومنه الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجم لها قالوا: فما رئي بعدها ضاحكاً فأنزل الله: « وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنة للناس » رأى ـ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ نفراً من بني امية ينزون على منبره نزوة القردة.

ومنها طرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إياه في مشيته وألحقه الله بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آفة باقية حين إلتفت إليه فرآه يتخلّج يحكيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كن كما انت فبقي على ذلك سائر عمره.

هـذا إلى ما كان من مروان إبنه في إفتتاحـه أوّل فتنة كانت فى الاسلام واحتقابه كل دم حرام سفك فيها أو اريق بعدها .

ومنها ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ليلة القدر خيرمن ألف شهر قالوا : ملك بني امية .

ومنها انّ رسول الله ﷺ دعا معاويه ليكتب بين يديه فدافع بأمره واعتلّ بطعامه فقال ﷺ : « لا أشبع الله بطنه » فبقى لايشبع وهويقول : والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن أعياء .

ومنها انّ رسول الله ﷺ قال : « يطلع من هذا الفجّ رجل من امتي يحشر على غير ملتي » فطلع معاوية .

ومنها ان رسول الله ﷺ قال : « إذ رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه »

ومنها الحديث المشهور المرفوع انه ﷺ قال : « انّ معاويه فى تابوت من نار في أسفل درك من جهنم ينادى : يا حنّان يا منّان فيقال له : « الان وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين » يونس : ٩١ .

ومنها إفترائه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكانا وأقدمهم اليه سبقاً وأحسنهم فيه أثراًوذكراً علي بن أبيطالب ينازعه حقّه بباطله ويجاهد أنصاره بضلاله و أعوانه و يحاول ما لم يزل هو و أبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه .

« ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون » التوبة : ٣٢ .

ويستهوى أهل الجهالة ويموّه لأهل الغباوة بمكره وبغيه اللّذين قدّم رسول الله ﷺ الخبر عنهما فقال لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية » تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة خارجاً من ربقة الاسلام مستحلاً للدم الحرام حتى سفك فى فتنته وعلى سبيل غوايته وضلالته ما لا يحصى عدده من أخيار المسلمين ، الذابّين عن دين الله والناصرين لحقه مجاهداً فى عداوة الله مجتهداً فى أن يعصى الله فلا يطاع و تبطل أحكامه فلا تقام و يخالف دينه فلابد

وأن تعلو كلمة الضلال وترتفع دعوة الباطل وكلمة الله هي العليا ودينه المنصور وحكمه النافذ وأمره الغالب وكيد من عاداه وحادّه المغلوب الداحض حتى إحتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها.

وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها وأباح المحارم لمن إرتكبها ومنع الحقوق أهلها وغرّته الآمال واستدرجه الامهال وكان مما أوجب الله عليه به اللعنة قتله من قتل صبراً ـ أي حبساً ـ من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي الكندي فيمن قتل من أمثالهم على أن تكون له العزة والملك والغلبة.

ثم ادّعائه زياد ابن سميّة أخاً ونسبته إيّاه إلى أبيه والله تعالى يقول: «ادعوهم لابائهم هو أقسط عندالله» الاحزاب: ٥.

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ملعون من إدّعى إلى غير ابيه أو إنتمى إلى غير مواليه»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهاراً وجعل الولد لغير الفراش والحجر لغير العاهر فأحلّ بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله في ام حبيبة ام المؤمنين وفي غيرها من النساء من شعور ووجوه قد حرّمها الله وأثبت بها من قربى قد أبعدها الله مالم يدخل الدين خلل مثله ولم ينل الاسلام تبديل يشبهه.

قال ابن ابي الحديد نقلاً عن الطبري:

ومن ذلك ايثاره لخلافة الله على عباده ابنه يزيد السكّير الخمّير صاحب الدّيكة والفهود والقردة وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والاخافة والتهديد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطّلع على رهقه وخبثه ويعاين سكراته وفعلاته وفجوره وكفره.

فلما تمكّن ـ قاتله الله ـ فيما تمكّن منه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرّة الوقعة التي لم يكن في الاسلام

أشنع منها ولا أفحش فشفى عند نفسه غليله وظن انه قد انتقم من أولياء الله وبلغ الثار لاعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى رسوله ولا إلى كتابه ولا يؤمن بالله وبما جاء من عنده .

ثم أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم سفكه دم الحسين بن علي بن ابيطالب عليه السلام مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولاخيه بسيادة شباب أهل الجنة إجتراءً على الله وكفراً بدينه وعدواة لرسوله ومجاهرة لعترته واستهانة لحرمته كأنما يقتل منه ومن أهل بيته قوماً من كفرة الترك والديلم.

ولا يخاف من الله نقمة ولا يراقب منه سطوة فتبر الله عمره أخبث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكام الله واتخاذ مال الله بينهم دولا وهدم بيت الله وإستحلالهم حرمه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم بالنيران اياه لا يألون له إحراقاً وإخراباً ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكا .

ولمن لجأ إليه قتلا وتنكيلا ولمن أمنه الله به إخافة وتشريداً حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملئوا الارض بالجور والعدوان وعموا عباد بلاد الله بالظلم والاقتسار وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبيه أهل وراثته ومن استخلصه منهم لخلافته مثل ما أتاح من اسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لاوائلهم الكافرين فسفك الله به دمائهم ودماء آبائهم مرتدين كما سفك بآبائهم مشركين وقطع الله دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

قال ابن ابي الحديد ناقلا عن الطبري :

أيها الناس : ان الله انما أمر ليطاع ومثل ليتمثل وحكم ليفعل قال الله سبحانه وتعالى : « ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً » الاحزاب : ٦٤ . وقال :

«اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» البقرة : ١٥٩ .

فالعنوا أيّها الناس من لعنه‌الله ورسوله وفارقوا من لاتنالونه القربة من الله إلا بمفارقته .

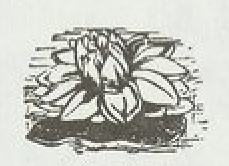
ألّلهمّ العن أباسفيان بن حرب بن أميّة ومعاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده .

اللهم العن أئمة الكفر و قادة الضلال وأعداء الدين ومجاهدى الرسول ومعطّلى الاحكام ومبدّل الكتاب ومنتهكى الدم الحرام .

ألّلهم انا نبرأ اليك من موالاة أعدائك و من الاغماض لاهل معصيتك كما قلت : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادّون من حادّالله و رسوله » المجادلة : ٢٢ .

أيّها الناس أعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عندما وقفكم‌الله عليه وانفذوا كما أمركم الله به وأمير المؤمنين يستعصم بالله لكم ويسئله توفيقكم ويرغب اليه فى هدايتكم والله حسبه وعليه توكّله ولا قوّة الاّ بالله العلىّ العظيم .

إنتهى كلام المعتضد بالله على ماروا‌ه إبن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ناقلا عن الطبرى .



الائمة أهل البيت عليهم السلام
وباب الهدى

انّ الروايات الواردة في ذلك عن طريق العامة كثيرة جدا لا يسعها المقام ونحن على جناح الاختصار ولكن الميسور لايترك بالمعسور فنشير إلى نبذة منها.

١ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٧٣ ط اسلامبول) ما لفظه :

روى جمال الدين الزرندى ـ وهو من أعلام العامة ـ فى كتابه (درر السمطين) عن إبراهيم بن شيبة الانصارى قال : جلست عند اصبغ بن نباتة قال : ألا اقرئك ما أملاه علي بن ابيطالب رضى الله عنه فاخرج صحيفة فيها مكتوب : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته و امّته وأوصى أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته و أوصى امته بلزوم أهل بيته وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم صلى الله عليه وآله وان شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة وانهم لن يدخلوكم باب ضلالة ولن يخرجوكم من باب هدى»

رواه بعينه أبو بكر الحضرمى و هو أحد أعلام العامة فى (رشفة الصادى ص ٧٣ ط مصر) .

٢ـ روى الطبرى فى (المعجم الكبير ص ١٣١)

باسناده عن سلمان قال أنزلوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العين من الرأس فانّ الجسد لايهتدى إلاّ بالرأس وإنّ الرأس لايهتدى الاّ بالعينين

رواه جماعة منهم :

١ـ أبو نعيم الاصبهانى فى (أخبار إصبهان ج ١ ص ٤٤ ط ليدن)

٢- الخطيب الخوارزمی فی (مقتل الحسین ص ١١٠ ط الغری).
٣- الهیتمی فی (مجمع الزوائد ج ٩ ص١٧٢ ط القدسی بالقاهرة).
٤- الفقیه إبن المغازلی فی (المناقب ص ٢٠)
٥- الحضرمی فی (رشفة الصادی ص٩١ ط القاهرة).
٣- روی النبهانی البیروتی فی (الشرف المؤبد ص ٢٩ ط مصر).

عن أبی ذر سمعته صلى الله عليه وآله يقول: إجعلوا أهل بيتی منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ولا تهتدی الرأس إلاّ بالعينين.

٤- روی الخطيب الخوارزمی فی (مقتل الحسين ص١٠٦ط الغری) باسناده عن علیّ بن ابيطالب رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأخذت ياعلی بحجزتی وأخذ ولدك بحجزتك وأخذ شيعة ولدك بحجزهم فتری اين يؤمر بنا.

قال أبو العباس: الحجزة: السبب.

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار، ونختم البحث بذكر بعض خطبة الطالوتية التی رواها الكلينی رضوان الله تعالی عليه.

فی الكافی: باسناده عن أبی الهيثم بن التيهان انّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة فقال: الحمد لله الذی لا اله الاّ هو - إلی أن قال -: وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لاشريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدی ودين الحق ليظهره علی الدين كله ولو كره المشركون، فبلّغ الرسالة وأنهج الدلالة صلى الله عليه وآله أيّتها الأمة التی خدعت فانخدعت وعرفت خديعة من خدعها فأصرّت علی ما عرفت واتبعت أهوائها وضربت فی عشواء غوايتها و قد استبان لها الحق فصدّت عنه والطريق الواضح فتنكّبته.

أما والذی فلق الحبّة وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه وشربتم الماء بعذوبته وادّخرتم الخير من موضعه وأخذتم الطريق من واضحه و سلكتم من الحق نهجه لنهجت بكم السبل وبدت لكم الأعلام وأضاء لكم الاسلام فأكلتم رغداً وما

عال فيكم عائل ولاظلم منكم مسلم ولامعاهد ولكن سلكتم سبيل الظلام فاظلمت عليكم دنياكم برحبها وسدّت عليكم أبواب العلم فقلتم بأهوائكم واختلفتم فى دينكم فافتيتم فى دين الله بغير علم واتبعتم الغواة فاغوتكم وتركتم الائمة فتركوكم.

فأصبحتم تحكمون بأهوائكم إذا ذكرالأمر سألتم أهل الذكر فاذا أفتوكم قلتم هو العلم بعينه فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه؟ رويدا عما قيل تحصدون جميع ما زرعتم وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد علمتم أنى صاحبكم والذى به أمرتم، وأنى عالمكم والذى بعلمه نجاتكم و وصىّ نبيّكم وخيرة ربكم ولسان نوركم والعالم بما يصلحكم فعن قليل رويدا ينزل بكم ما وعدتم وما نزل بالأمم قبلكم وسيسألكم الله عزوجل عن أئمتكم معهم تحشرون وإلى الله عزوجل غداً تصيرون أما والله لو كان لى عدّة أصحاب طالوت أو عدّة أصحاب بدر وهم أعدائكم لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق وتنيبوا للصدق، فكان ارتق للفتق وآخذ بالرفق اللّهم فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين.

قال: ثم خرج من المسجد فمرّ بصيرة فيها نحومن ثلاثين شاة فقال: والله لو انّ لى رجالاً ينصحون لله عزوجل ولرسوله بعدد هذه الشياة لأزلت ابن أكلة الذبّان عن ملكه.

قال: فلما أمسى ثلاثمأة وستون رجلاً على الموت فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام اغذوابنا إلى أحجار الزيت محلقين و حلق أمير المؤمنين عليه السلام فما وافى من القوم ملحقا إلاّ أبوذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر وجاء سلمان فى آخر القوم فرفع يده إلى السماء فقال:

أللّهم أنّ القوم استضعفونى كما استضعفت بنو اسرائيل هارون.

أللّهم فانك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى عليك شىء فى الارض ولا فى السماء توفّنى مسلماً وألحقنى بالصالحين.

أما والبيت والمفضى إلى البيت (وفى نسخة والمزدلفة والخفاف إلى التجمير) لولا عهد عهده إلىّ النبى الامى صلى الله عليه وآله وسلم لأوردت المخالفين خليج المنيّة ولارسلت عليهم شآبيب صواعق الموت وعن قليل سيعلمون .

قوله عليه السلام : « اجترمتم » أى اكتسبتم الجرم و قوله : « فمرّ بصيرة » أى مرّ بحظيرة وقوله عليه السلام : « إلى أحجار الزيت » موضع داخل المدينة .

وقوله عليه السلام : « ابن أكلة الذبان » بالكسر و التشديد جمع ذباب و كنّى بابن آكلتها عن سلطان الوقت لأنّهم كانوا فى الجاهلية يأكلون من كل خبيث نالوه .

وقوله عليه السلام : « والمفضى الى البيت » : ماسه بيده ، والخفاف : سرعة الحركة والتجمير: رمى الجمار ، والخليج : النهر ، شأبيب : الدفعة من المطر .



هداية تكوينية خاصة و عوامل الاهتداء

انّ هناك هداية تكوينية خاصة لا توجد الاّ باسبابها نظير الشبع الحاصل عقيب اكل الطعام و الروىّ الحاصل عقيب شرب الماء وحقيقة هذه الهداية قائمة بالله تعالى ولكن الوصول إليها يمكن من غيره وليست هذه الهداية كهدايته تشريعية عامة والناس كلهم فيها سواء وهى الدلالة والارشاد سواء حصل الاهتداء أم لا .

بل هذه الهداية هى حصيلة عوامل متلازمات تستتبعها منها: الايمان والاعتصام بحبل الله واتباع الطريق السوى و التقوى و الانابة إلى الله جلّ وعلا و جهاد النفس .

قال الله تعالى : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا» البقرة : ١٣٧. فان الايمان ينير القلب الانسانى فيصير محلاً للفيوضات الربانية وبها يحصل الاهتداء الى سبيل الرشاد .

و منها الاعتصام قال : «و من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا »آل عمران : ١٠١ و١٠٣ ولا يهتدى قوم إلاّ أن يعتصموا بحبل الله وان لا تفرّقوا ولا توجد فيهم آراء متشتّتة .

ومنها الاتباع قال : «يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٦ .

فالاتباع هو أساس الاهتداء وهو وسيلة مؤدّية إلى صراط مستقيم فمن لم يتبع رضوان الله تعالى فهو يتبع هواه فمن اتبع هواه فلا يهديه الله سبحانه إلى صراط

مستقيم قال الله تعالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين » القصص : ٥٠ .

ومنها التقوى قال : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » البقرة : ٢ .

ان التقوى هي أساس الاهتداء وهي وسيلة مؤدية إلى طريق سوى وهي طريق الهداية والنجاة وبها يحصل الاهتداء إلى مافيه الخلاص والنجاة .

ان القرآن الكريم وإن كان هدى للناس كافة ولكن لايحصل الاهتداء إلا لمن اتقى قال الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس » البقرة : ١٨٥ .

وان التقوى : أن لايرى الله تعالى العبد حيث نهاه ولايفقده حيث أمره ، فمن اجتنب المحرمات وأطاع الله جل وعلا فى السر والعلن وقام باداء الفرائض من صلاة وصوم وزكاة وخمس وحج وأعطى حقوق الفقراء والمساكين وكان دأبه الانصاف والترحم على الضعفاء والبؤساء فهو واصل لامحالة إلى صراط مستقيم ارتضاه الله تعالى لعباده .

قال الله تعالى فى صفات المتقين : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بماأنزل إليك وما أنزل من قبلك و بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » البقرة : ٣ ـ ٥ .

وقال : « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » الجاثية : ٢٠ .

قال امير المؤمنين على عليه السلام :

« وقد بُصّرتم إن أبصرتم وقد هُديتم إن اهتديتم » .

و قال الله تعالى : « و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم يهتدون » النمل : ٢٤ .

وقال : « قد جائكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه » يونس ١٠٨ .

ومنها الانابة: وهى الرجوع إلى الله تعالى بالقلب والانقياد و الاطاعة لله جل وعلا قال: « ويهدى إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مـاب » الرعد: ٢٧ ـ ٢٩.

وليس هناك إلاّ صراط واحد وهو الصراط الوحيد المستقيم وهو أقصر طريق بين العبد وخالقه لايصل إليه العبد إلا بهذه الهداية ولذلك أمرنا الله تعالى أن ندعوه فى كل يوم و ليلة عشر مرات ومن هنا يعلم تقديم قوله تعالى: « اياك نعبد و اياك نستعين » على « اهدنا الصراط المستقيم » فنقول: « اهدنا الصراط المستقيم ».

ولا يحصل الاهتداء إلاّ بتلك العوامل سواء كان بعثها الدعوة والارشاد أم كانت الفطرة البشرية وإن كان الاخير يحتاج إلى الارشاد لما قد يعتريها فتنحرف تارة ولعدم إستعدادها على بيان الجزئيات تماماً فتخطأ تارة اخرى.

فلابد إذن من الهداية التشريعية العامة لتعديلها حين الانحراف ولبيان ما تعجز عن بيانه.

ولايخفى انّ كلمّا زادت العوامل تزيد الهداية ويشتدّ الاهتداء.

قال الله تعالى: « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الهاً » الكهف: ١٣ و١٤.

وقال: « و يزيد الله الذين اهتدوا هدى » مريم: ٧٦.

وفى تجاه تلك العوامل عوامل تصدّ الناس عن الصراط المستقيم وما داموا عليها فلايهتدون الى سبيل الرشاد وهى الكفر واتخاذ الشياطين أولياء لهم و الضلالة والاعراض عن آيات الله تعالى وإتباع الاهواء وماتلد منها من النفاق والفسق والظلم والكذب وماليها من المعاصى.

قال الله تعالى: « والله لايهدى القوم الكافرين » البقرة: ٢٦٤.

وقال: «فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء

من دون الله ويحسبون انهم مهتدون » الاعراف : ٣٠ .

وقال : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » البقرة : ١٦ .

و قال : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى و من كان فى ضلال مبين » الزخرف ٤٠ . وقال : «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ـ و ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً أبداً » الكهف : ٥٧ .

وقال : « قل لا اتبع أهوائكم قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين » الانعام : ٥٦ .

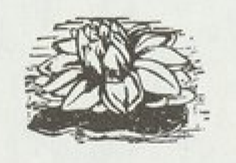
وقال : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوائهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٤ .

وقال : « ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً » النساء : ١٤٠ .

وقال : « والله لايهدى القوم الفاسقين » التوبة : ٢٤ .

وقال : « ان الله لايهدى القوم الظالمين » الانعام : ١٤٤ .

وقال : ان الله لايهدى من هو كاذب كفار » الزمر : ٣ .



﴿أقرب طريق الى المطلوب﴾

جدير لكل قاصد يقصد نحو مطلوبه فى امور الدنيا أن يتحرّى فى مقصده نحو مطلوبه أقرب الطرق و أسهلها مسلكاً ، إذ لولم يكن له طريق قريب لأبطأ فى وصوله إلى مطلوبه أو لم يكن الطريق سهل المسلك فربما يعوق البلوغ إليه أو تتعب نفسه فى سلوكه ، فله أن يستعلم قبل الحركة نحو المطلوب ويسعى فى وجدان أقرب الطرق وهو ما كان على خط مستقيم أو أسهلها مسلكاً وهو الذى لاعوائق فيه .

هذا :

فكيف للقاصدين إلى الله جل وعلا الراغبين فى نعيم الجنة فى دارالسلام والذين يريدون الصعود إلى ملكوت السماء والدخول فى زمرة الانبياء والمرسلين والشهداء و الصالحين وحسن اولئك رفيقاً ، فهل يمكن ذلك إلاّ أن يسلكوا ما سلكوه .

فينبغى لهم أن يتحرّوا فى مقاصدهم طريقهم الذين نالوا فى هذا الطريق بما نالوا .

قال الله تعالى حكاية عن الجن : « انا لمّا سمعنا الهدى آمنابه ـ فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً » الجن : ١٣ و ١٤ .

و من غير ريب انّ من تحرى يجد الطريق الذى لاعوائق فيه و لا طريق إلى الله تعالى سواه .

قال الله تعالى : « انّ هـذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥٣ .

فاذا سلكنا و اتبعنا هذا الصراط المستقيم وتركنا السبل التى ليس فيهما إلاّ التفرق والضلال والهلاك والنار نصل إلى ما وعدنا ربنا .

قال الله تعالى ـ حكاية عن الذين نالوا بما وعدهم الله تعالى من الجنة ونعيمها إذاتبعوا الصراط المستقيم وعن الذين دخلوا فيما أوعدهم الله سبحانه من اللعن و العذاب والنار ـ : « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذّن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالاخرة كافرون » الاعراف : ٤٤ و٤٥ .

ان الله جل وعلا اختار من فضل رحمته و كمال جوده وتمام احسانه طائفة من عباده واصطفاهم وقرّبهم وناجاهم و كشف لهم عن مكنون علمه واسرار غيبه ثم بعثهم الى عباده ليدعوهم الى جواره و يخبرهم عن مكنون أسرار لكيما ينتهوا عن نوم الجهالة ويستيقظوا من رقدة الغفلة فيحيوا حياة العلماء ويعيشوا عيش السعداء ويبلغوا الى كمال الوجود فى دارالخلود .

فقال : « انّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » آل عمران : ٣٣ .

ثم قال : « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب » البقرة : ٢١٣ .

وقال : « والله يدعوا الى دارالسلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » يونس : ٢٥ .

ان الانسان اذا هدى الى صراط مستقيم لاتتراكم على نفسه الجهالات ولا تتدنّس نفسه بالاعمال السيئة ولاتتصدأ بالاخلاق الرديئة ولاتتعوّج بالآراء الفاسدة ، فانّ النفس البشرية اذ اصفت بالايمان وصالح العمل ولم تنحرف عن فطرتها تتراى

فى ذاتها صور الاشياء الروحانية فى عالمها وتدركها بحقائقها وتشاهد الامور الغائبة بصفاء جوهرها ، كالمرآة مستوية الشكل مجلوّة الوجه مصقولة السطح تتراءى فيها صور الاشياء المادية على صورها .

وكالعين سليمة الانسان ترى الاشياء على ما عليها ، و إذا خرجت النفس عن الفطرة ومالت عن الصراط المستقيم واعوجت بالآراء الفاسدة ودخلت فى السبل المعوجة فاذاً كانت حالها حال المرآة معوّجة الشكل صدأة الوجه منكدرة السطح التى تتراءى فيها صور الاشياء على غيرما عليها وكالعين المحوّلة التى ترى الواحد اثنين أو اكثر .

فبقيت تلك النفس المنحرفة محجوبة عن إدراك حقائق الاشياء فيتنكر كلما تشتهيه وتثبت كلما تهويه ، فلا ترغب فيما لا تراه ولا تطلب ما لا تلمس ولا تشتاق إلى مالا تسمع فتبقى عمياء .

قال الله تعالى : « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » الحج : ٤٦ .

وإذا عميت النفس تتوهم انه لا وجود الاّ ما يرى بالعين و ما يسمع بالسمع ويذوق بالذوق وما يلمس باليدين وما يشمّ بالأنف أو أقل من ذلك فتحرص عندئذ على البقاء فى الدنيا وتتمنى الخلود فيها وترضى بها وتطمئن إليها و تيأس من الاخرة وتنسى أمر المعاد .

قال الله تعالى : « و رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها » يونس : ٧ .

وقال : « يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » الممتحنة : ١٣ .

ألهذه النفس المنحرفة المتدنسة الجواز على الصراط يوم القيامة والنجاة من النار والدخول فى الجنة ؟ و هى على غير الصراط المستقيم فى الحياة الدنيا وكانت هى فيها عمياء .

وقد قال الله تعالى : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الاخرة أعمى وأضل سبيلاً » الاسراء : ٧٢ .

و قال : « فامّا يأتينكم منى هدى فمن تبع هـداى فلا يضلّ ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قـال كـذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى » طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ . هذا : وأمّا الاخف من ذلك .

فروى **الطبرسى** فى الاحتجاج بالاسناد عن أبى محمّد العسكرى عن آبائه عن الصادق عليه السلام انه قال : قوله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم » .

يقول : أرشدنا الصراط المستقيم أرشدنا للزوم الطريق المؤدى إلى محبتك والمبلّغ إلى جنتك من ان نتّبع أهوائنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك فـان من اتبع هواه و أعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء الناس تعظّمه فاحببت لقائه من حيث لايعرفنى لانظر مقداره ومحلّه فرأيته فى موضع قد احدق به خلق من غثاء العامّة فوقفت منتبذاً عنهم مغشياً بلثام انظر إليه وإليهم .

فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقرّ فتفرّقت العوام عنه لحوائجهم وتبعته اقتفى اثره فلم يلبث ان مرّ بخبّاز فتغفّله فأخذ من دكّانه رغيفين مسارقة فتعجّبت منه ثم قلت فى نفسى : لعلّه معاملة ثم مرّ من بعده بصاحب رمّان فما زال به حتى تغفّله فأخذ من عنده رمّانتين مسارقة فتعجّبت منه ثـم قلت فى نفسى ، لعله معاملة .

ثم أقول : وما حاجته إذاً إلى المسارقة ؟ ثم لم أزل اتّبعه حتى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى وتبعته حتى استقرّ فى بقعة من صحراء فقلت لـه : يا عبدالله لقـد سمعت بك وأحببت لقائك فلقيتك لكنّى رايت منك ما شغل قلبى وانّى سائلك عنه ليزول به شغل قلبى .

قال : ما هـو ؟ قلت : رأيتك مررت بخبّاز وسرقت منه رغيفين ثـم بصاحب الرمان فسرقت منه رمانتين فقال لـى : قبل كل شيء : حـدّثنى من انت ؟ قلت : رجل من ولد آدم من امة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قـال : حدّثنى ممن أنت ؟ قلت : رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه قال : أين بلدك ؟ قلت : المدينة قال : لعلك جعفر بن محمّد

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبيطالب ؟ قلت بلى قال لى : فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرّفت به وتركك علم جدّك وأبيك لانّ لاتنكر ما يجب أن يحمد ويمدح فاعله .

قلت : وما هو ؟ قال : القرآن كتاب الله قلت : وما الذى جهلت ؟ قال : قول الله عزوجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها » .

وانّى لما سرقت الرغيفين كانت سيّئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيّئتين فهذه أربع سيّئات فلما تصدّقت بكل واحد منها كانت أربعين حسنة فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات بقى لى ستّ وثلاثون قلت : ثكلتك امك أنت الجاهل بكتاب الله .

أما سمعت الله عزوجل يقول : « انما يتقبّل الله من المتقين » انك لما سرقت الرغيفين كانت سيّئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيّئتين و لما دفعتهما الى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت انما اضفت اربع سيئات الى أربع سيئات ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيّئات فجعل يلاحينى فانصرفت وتركته .



﴿الصراط المستقيم واقسامه﴾

اهدنا الصراط المستقيم

الصراط : الجادة والمراد به طريق الحق .

والمستقيم : ضد المعوج المراد به كل ما ليس فيه إنحراف عن الغاية التى يجب أن ينتهى إليها سالكه .

قيل : انّ الفرق بين الطريق والصراط والسبيل ان الطريق : هو كل ما يطرقه طارق معتاداً كان أو غير معتاد ، و انّ السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك ، وانّ الصراط هو الذى ليس فيه التواء ولا إعوجاج ولا إنحراف ، ويطلق كل واحد من الثلاث على المحسوس وعلى غير المحسوس .

قال الله تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً » طه : ٧٧ .

وقال تعالى حكاية عن الجن : « قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم » الاحقاف : ٣٠ .

و قال : ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون » يس : ٦٦ .

وقال : « قل اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً » الانعام : ١٦١.

وقال : « الاّ عابرى سبيل » النساء : ٤٣ .

وقال : قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » يوسف ١٠٨.

انّ المستفاد من الايات الكريمة والروايات الشريفة ان الصراط على قسمين :
أحدهما ـ صراط دنيوى وهو طريق الحق فى دار التكليف .
ثانيهما ـ صراط اخروى يمتاز عليه من سلك طريق الحق ممن انحرف عنه فى دار الاخرة ، فلا يعبر عليه إلاّ من سلك صراط الدنيا وأمّا الذين انحرفوا عن صراط مستقيم فى الحياة الدنيا فهم لنا كبون فى النار .
فراجع إلى بحث روائى فى هذه المجلدة من التفسير، على أنّ صراط الاخرة طريق أدق من الشعرة واحد من السيف يطلب إلى المكلفين اجتيازه فمن اجتاز دخل الجنة والاّ فهو من أهل النار ، فهنا يظهر إجتيازه الصراط المستقيم بمقتضى التكليف فى الحياة الدنيا وعدمه .



﴿ صراط الآخرة ﴾

قال أبـو جعفر محمد بن علي بن الحسين بـن بابويـه القمي المعروف بالشيخ الصدوق رضوان الله تعالى .

في رسالة اعتقاداته : إعتقادنا في الصراط انه حق وانه جسر .

قال الشيخ المفيد أبـو عبدالله قـدس سره : الصراط في اللغة هـو الطريق فلذلك سمى الدين صراطاً لأنّه طريق إلى الصواب .

ولذلك سمى الـولاء لامير المـؤمنين والأئمة من ذريته صراطاً ومن معناه قال امير المؤمنين عليه السلام انا صراط المستقيم وعروته الوثقى التى لا انفصام لها يعني ان معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه .

وقد جاء الخبر بأنّ الطريق يوم القيامة إلى الجنـة كالجسر يمرّ به الناس وهو الصراط الذى يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن شماله أمير المؤمنين عليه السلام ويـأتيهما النداء من قبل الله تعالى : « القيا في جهنم كل كفار عنيد » ق : ٢٤ .

وجاء الخبر انه لايعبر الصراط يوم القيامة الاّ من كان معه بـرات من علي بن ابيطالب عليه السلام من النار .

وجاء الخبر بأنّ الصراط أدق من الشعرة واحدّ من السيف على الكافر .

والمراد بذلك انـه لايثبت لكافر قـدم على الصراط يـوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها فهم يمشون عليه كالذى يمشى على الشيء الذى هو ادق من الشعرة وأحدّ من السيف .

وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط وهـو

طريق إلى الجنة وطـريق الى النار يشرف العهد منه الى الجنة ويـرى من أهوال النار .

وقد يعبّر به عن الطريق المعوج فلهذا قال الله تعالى : « وان هذا صراطى مستقيما » الانعام : ١٥٣ .

فميّز بين طريقه الذى دعى الى سلوكه من الدين وبين طرق الضلال .

وقال الله تعالى فيما أمر به عباده من الدعاء وتلاوة القرآن : « اهدنا الصراط المستقيم » الحمد : ٦ .

فـدلّ على أنّ سواه صراط غير مستقيم وصراط الله تعالى دين الله وصراط الشيطان طريق العصيان والصراط فى الاصل على ما بيناه هو الطريق والصراط يوم القيامة هو الطريق المسلوك إلى الجنة أو النار على ما قدمناه . إنتهى كلامهما .

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى الامالى باسناده عن أبى بصير عن ابى عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال :

الناس يمرون على الصراط طبقات والصراط أدق من الشعر واحد من السيف فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل عـدو الفرس ومنهم من يمرّ حبواً ومنهم من يمرّ متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً .

و فى نهج البلاغة قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام :

و اعلمـوا انّ مجازكـم على الصراط و مزالـق دحضه و أهـاويل زللـه وتارات اهواله .

فاتقوا الله عبادالله تقية ذى لبٍ شغل التفكر قلبه وانصب الخوف بدنه واسهر التهجـد غـرار نومه و اظما الرجاء هـواجـر يومه و ظلف الزّهـد شهواتـه واوجف الذكر بلسانه وقدّم الخوف لأمـانه وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك إلى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولـم تعم عليه مشتبهات الامور ظافراً بفرحة البشرى وراحة النعمى فى أنعم نـومه وآمن يـومه وقد عبر معبر العاجلة حميداً وقدّم زاد الآجلة سعيداً وبادر عن وجلٍ و اكمش

في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه غده وربّما نظر قدماً أمامه فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً وكفى بالنار عقاباً ووبالاً وكفى بالله منتقماً ونصيراً وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً .

قوله عليه السلام « و أهاويل » : الامور المفزعة « تارات » : دفعات « انصب » : اتعب « التهجد » هنا : صلاة الليل « غرار » : قلّة النوم وأصله قلة ابن الناقة يقال : غارت الناقة تغار غراراً قلّ لبنها « هواجر » : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند إشتداد الحر « ظلف » : منع « أوجف » : أسرع .

وقوله عليه السلام : « وقدم الخوف لامانه » أي قدّم خوفه ليأمن و « المخالج » : الامور الجاذبة « اقصد المسالك » : اقومها وطريق قاصد أي مستقيم . « ولم تفتله فاتلات الغرور » أي لم تردّه ولم تصرفه صرفات الغرور . « اكمش » : أسرع « ونظر قدوما امامه » أي نظر ما بين يديه مقدما فلم يعوّج طريقه .

و روى الصدوق قدس سره في الامالي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما نزلت هذه الاية : « وجيئي يومئذ بجهنم » سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أخبرني الروح الامين ان الله لا اله غيره إذا جمع الاولين و الاخرين أتى بجهنم تقاد بالف زمام أخذ بكل زمام مأة ألف ملك من الغلاظ الشداد لها و هدة تغيظ و زفير وانها لتزفر الزفرة فلو لا ان الله عزوجل اخرهم إلى الحساب لاهلكت الجمع ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر .

فما خلق الله عزوجل عبداً من عباده ملكاً ولا نبيّاً إلاّ نادى رب نفسي نفسي وأنت يا نبي الله تنادى : امتي امتي ثم يوضع عليها صراط أدق من حدّ السيف عليه ثلاث قناطر أمّا واحدة فعليها الامانة والرحم وأمّا الاخرى فعليها الصلاة و أمّا الاخرى فعليها عدل رب العالمين لا اله غيره فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والامانة فان نجوا منها حبستهم الصلاة فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل وعزوهو قوله تبارك وتعالى : « ان ربك لبالمرصاد » .

والناس على الصراط فمتعلق و قدم تزل وقدم تستمسك والملائكة حولهم

ينادون يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم سلم والناس يتهافتون فيها كالفراش فاذا نجى ناج برحمةالله عزوجل نظر اليها فقال: الحمد لله الذى نجانى منك بعد اياس بمنّه وفضله ان ربنا لغفور شكور.

و فى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين علي عليه‌السلام :

« من استقام فالى الجنة ومن زلّ فالى النار » .

فمن استقام فى هذه الحياة الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة فتفكر الآن فيما يحل من فزع يوم القارعة بفؤداك إذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار و تغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلاً عن حدّة الصراط .

فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون و تتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤسهم وتعلوا أرجلهم ، فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما اضيقه .

فانظر الى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار ورسول الله الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : « يارب سلم سلم » .

والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم كثرة من زلّ عن الصراط من الخلائق .

فكيف بك لوزلت قدمك ولم ينفعك ندمك ؟ فناديت بالويل والثبور .

وقلت : كما يقولون : « فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربنا » الانعام : ٢٧ .

و « يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » الاحزاب : ٦٦ .

و « ويقولون ياليتنى لم اشرك بربى أحداً » الكهف : ٤٢ .

و « يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً » الفرقان : ٢٧ .

و « يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً » الفرقان ٢٨ .

وعندئـذ تختطفك النيران وينادى المنادى : « اخسئوا فيها و لا تكلمون » المؤمنون : ١٠٨ .

فلا يبقى سبيل إلّا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة .

فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار بين يديك ؟ فان كنت غيرمؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمناً وعن حقيقة الايمان غافلاً وعن العبادة والعمل متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه .

فلو تنظر هول الصراط بين يديك وتحسّ إرتياع قلبك من خطر الجواز ، عليه و كنت مؤمناً حقاً فناهيك به هولا وفزعاً ورعباً .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أوّل من يجيز بأمته من الرسل ولايتكلم يومئذ إلّا الرسل .

فهذه هى أهوال الصراط وعظائمه .

فطوّل فيه فكرك فان أسلم الناس من أهوال القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا فان الله سبحانه لايجمع على عبد خوفين فمن خاف فى هذه الحياة الدنيا أهوال الصراط بما أخبره الله تعالى فى كتابه وبألسنة انبيائه أمن منها فى الاخرة .

ومن آثار الخوف الرغبة فى العبادة والطاعة وصالح العمل والاجتناب عن السيئات والمعاصى .

ومن الحمق أن يقول إنسان عند إستماع أهوال الصراط على ما جاء فى القرآن الكريم وفى الروايات الشريفة : أعوذ بالله من تلك الاهوال وهو ينهمك فى المعاصى .

ومن الذين يضحكون على هذا هو الشيطان وحاله كحال من يسقط نفسه من الشواهق فيقول عندئذ : اعوذ بالله من الهلاك والموت ، و كحال من يقصده سبع ضار فى صحراء وورائه حصن فاذارای انیاب السبع وصولته من بعيد فيقول : أعوذ بالله من شر هذا السبع واستعين بشدّة بنيان هذا الحصن الحصين ورائى وإحكام أركانه وهو يقوم فى مكانه ولايدخل فى الحصن وبابه مفتوح له .

فأنّى يغنى عنه ذلك من السبع إلاّ الحركة والدخول فى الحصن ؟

وقد قال الله تبارك وتعالى : انه ليس لتلك الاهوال حصن الاّ الايمان بالله تعالى واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والدخول فى ولاية أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والائتمار بما أمره الله جل وعلا به والانتهاء عما نها عنه .

قال الله تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله انّ الله شديد العقاب» الحشر : ٧ .



الولاية
والجواز على صراط الاخرة

أورد فى ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة بأسانيد عديدة فى كتبهم المعتبرة عندهم لايسعها المقام فنشير إلى نبذة منها :

١ـ روى الشيخ سليمان القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١١٢ ط اسلامبول) عن عدة منهم عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله قال : إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبيطالب عليه السلام وذلك قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسئولون » عن ولاية علي عليه السلام .

٢ـ روى إبن حجر الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص ١٤٧ ط المحمدية بمصر) عن أبى سعيد الخدرى : ان النبى صلى الله عليه وآله قال : « وقفوهم انهم مسئولون » عن ولاية علي عليه السلام رواه الالوسى فى تفسيره (روح المعانى) عن أبى سعيد وابن جبير وابن عباس .

٣ـ روى محمد صالح الكشفى الترمذى فى (مناقب مرتضوى) عن طرق عديدة منها عن فردوس الاخبار عن إبن عباس وأبى سعيد الخدرى قال فى قوله تعالى الاية : يسئلون عن الاقرار بولاية علي بن ابيطالب عليه السلام .

٤ـ روى سبط إبن الجوزى فى (التذكرة ص ٢١ ط النجف) قال مجاهد فى قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسئولون » : عن حب علي عليه السلام .

٥ـ روى محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضوى ص ٤٩ ط بمبئى بمطبعة محمدى) ما لفظه :

نقل عن المحدث الحنبلي في قوله تعالى : « ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون » المؤمنون : ٧٤ .

« ان الصراط هو محمد وآل محمد » .

٦- روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٢٤) ما لفظه : اخرج الحمويني بسنده عن الاصبغ بن نباتة عن علي كرم الله وجهه في هذه الاية قال : « الصراط ولايتنا أهل البيت » .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار .

وينبغي ذكر بعض ما ورد في ذلك عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية .

١- روى البحراني رضوان الله تعالى عليه في تفسير البرهان عن الحسين بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ أبابكر مني لبمنزلة السمع و ان عمر مني لبمنزلة البصر وان عثمان لبمنزلة الفؤاد فقال : فلمّا كان من الغد دخلت عليه وعنده أمير المؤمنين عليه السلام وأبوبكر وعمر و عثمان فقلت له : يا أبت سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء : قولاً فما هو ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم ثم أشار إليهم فقال : هم السمع والبصر والفؤاد وسيسئلون عن ولاية وصيي هذا وأشار إلى علي بن أبيطالب عليه السلام ثم قال : ان الله عزوجل : « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » ثم قال : وعزة ربي انّ جميع امتي لموقوفون يوم القيامة ومسئولون عن ولايته عليه السلام وذلك قول الله عزوجل : « وقفوهم انهم مسئولون » .

٢- روى الصدوق قدس سره في الامالي باسناده عن عبدالله العلوي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّه أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب فليتولّ وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي على أهلي وامتي علي بن أبيطالب ومن سرّه أن يلج النار فليترك ولايته فوعزة ربي وجلاله انه لباب الله الذي لايؤتى الاّ منه وانه الصراط المستقيم وانه الذي يسئل الله عن ولايته يوم القيامة .

٣- وفيه باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال سلمان الفارسي : كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن ابيطالب عليه السلام فقال له :

ألا أبشرك يا علي قال : بلى يا رسول الله قال : هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جل جلاله انه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال : الرفق عند الموت والانس عند الوحشة والنور عند الظلمة والامن عند الفزع والقسط عند الميزان والجواز على الصراط ودخول الجنة قبل سائر الناس من الامم بثمانين عاما .

٤ - في تفسير البرهان عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله في قول الله عزوجل : « وقفوهم انهم مسئولون » .

قال : عن ولاية علي عليه السلام على[1] ما صنعوا في امره وقد أعلمهم الله عزوجل انه الخليفة من بعد رسوله .

٥ - وفيه عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى ملكين يقعدان على الصراط فلايجوز أحد إلا ببرات أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن لم يكن له برات أمير المؤمنين عليه السلام أكبه الله على منخريه في النار وذلك قوله تعالى : « « وقفوهم انهم مسؤلون » قات : فداك أبي وامي يا رسول الله ما معنى برات أمير المؤمنين !

قال : مكتوب : « لا اله الا الله محمد رسول الله وأمير المؤمنين علي بن ابيطالب وصي رسول الله » .

٦ - وفيه عن سعيدبن جبير عن إبن عباس قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعر النيران السبع ويأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمانية ويقول : يا ميكائيل مد الصراط على متن جهنم ويقول : يا جبرئيل انصب الميزان بالعدل (ميزان العدل خ) تحت العرش وينادى يا محمد قرب امتك للحساب ثم يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ ، وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك فيقام فيسئلون هذه الامة نسائهم ورجالهم على القنطرة

الاولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحب أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله .

فمن أتى به جاز على القنطرة الاولى كالبرق الخاطف ومن لم يحب أهل بيت نبيه سقط على ام رأسه فى قعر جهنم ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقاً وعلى القنطرة الثانية يسئلون عن الصلاة وعلى الثالثة يسئلون عن الزكاة .

وعلى الرابعة عن الصيام وعلى الخامسة عن الحج وعلى السادسة عن الجهاد و على السابعة عن العدل فمن أتى بشيء من ذلك جاز عن الصراط كالبرق الخاطف و من لم يأت عذب و ذلك قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسئولون » .

يعنى معاشر الملائكة قفوهم يعنى العباد على القنطرة الاولى عن ولاية علي عليه السلام وحب أهل البيت عليهم السلام .

٧ ـ وفيه عن عبدالله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعلي على الصراط بيد كل واحد منّا سيف فلا يمر أحد من خلق الله إلا سئلناه عن ولاية علي بن ابيطالب عليه السلام فمن معه شيء منها نجى وإلا ضربنا عنقه و ألقيناه فى النار ثم تلا : « وقفوهم انهم مسئولون مالكم تناصرون بل هم اليوم مستسلمون » .

٨ـ وفيه عن أبى برزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسئله تبارك وتعالى عن أربع :

عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله مما كسبه وفيما أنفقه وعن حبناه أهل البيت عليهم السلام فقال عمر بن الخطاب فما آية حبكم من بعدك فوضع صلى الله عليه وآله يده على رأس علي عليه السلام وهو إلى جانبه فقال : ان آية حبّى من بعدى حب هذا .

٩ ـ روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه في الامالى باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى قال : قال أبوجعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يا جابر أيكتفى من إنتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت فوالله ماشيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع و كثرة ذكر الله والصوم والصلاة

والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث و تلاوة القرآن و كف الالسن عن الناس إلا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء .

فقال جابر يابن رسول الله لست ما أعرف أحداً بهذه الصفة فقال عليه السلام : يا جابر لا يذهبن بك المذاهب أحسب الرجل أن يقول : أحب عليا واتولاه فلو قال : إني أحب رسول الله ورسول الله خير من علي ثم لا يعمل بعمله ولا يتبع سنته ما نفعه حبه إياه شيئاً .

فاتقوا الله واعلموا لما عندالله ليس بين الله وبين أحد قرابة أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه اتقاهم له وأعملهم بطاعته والله ما يتقرب إلى الله جل ثنائه إلا بالطاعة ما معنا براءة من النار ولاعلى الله لأحد من حجة من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ولا تنال ولايتنا إلا بالورع والعمل .



صراط الانبياء عليهم السلام
و الـولايـة لعلى بن ابيطالب عليه السلام

انّ الروايـات الواردة عن طريق العامة فى أنّ الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين بعثوا علىولاية الامام أميرالمؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام كثيرة جداً نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ روى الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٤ القاهرة) بالاسناد عن سلمان قلت : يا رسول‌الله انالله لم‌يبعث نبياً إلاّ بيّن له من يلى بعده فهل بيّن لك قال : نعم علي بن ابيطالب .

٢ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ٢٤٦ ط تبريز) باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عبـدالله أتانى ملك فقال : يا محمد سل من أرسلنا من قبلك من‌رسلنا على‘ ما بعثوا قال : قلت : ما بعثوا ؟ قال على‘ ولايتك وولاية على بن أبيطالب .

رواه السيوطى الشافعى فى (ذيل اللئالى ص ٦٠ ط لكنهو) .

٣ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٣٨ ط اسلامبول) عن‌أبى هـريرة قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أسرى بى فى ليلة المعراج فـاجتمع علىّ الانبياء فى السماء فأوحى الله تعـالى إلـىّ سلهم يـا محمد بماذا بعثتم ؟ فقالوا : بعثنـا على شهـادة أن‌لا إلـه إلاّ الله وحـده وعلى الاقـرار بنبوتك والولاية لعلى بن ابيطالب .

ثم قال : رواه الحافظ أبو نعيم .

٤ ـ روى أبو نعيم الاصبهاني في (حلية الاولياء) عن عبدالله بن مسعود وإبن عباس : سئل رسول‌الله صلى الله عليه وآله الانبياء علام بعثتم ؟ فقالوا كلهم : على شهادة أن لا إله إلاّ الله والاقرار بنبوتك والولاية لعلي عليه السلام رواه جماعة منهم :

١ـ الحمويني في (كفاية الخصام ص ٣٤٨ ط طهران) .

٢ـ الحمويني ايضاً في (فرائد السمطين) .

٣ـ النظام النيسابوري في تفسير (غرائب القرآن) .

٥ ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٥٨ ط اسلامبول) عن زيد بن حارثة قال : لما كانت الليلة التي أخذ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على الانصار بيعة الاولى قال : أنا آخذ عليكم بما أخذ الله على النبيين من قبلي أن تحفظوني وتمنعوني عما تمنعون أنفسكم عنه وتمنعوا علي بن أبيطالب عما تمنعون أنفسكم عنه وتحفظوه فانه الصديق الاكبر يزيدالله دينكم وانّ الله أعطى موسى العصا وإبراهيم برد النار وعيسى الكلمات يحيي بها الموتى وأعطاني هذا علياً ولكل نبي آية وهذا آية ربي والائمة الطاهرون من ولده آيات ربي لن تخلو الارض من أهل الايمان ما أبقى الله أحداً من ذريته واحداً .

٦ ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٨٢ الطبع) ما لفظه : روى موفق بن أحمد والحمويني وأبو نعيم الحافظ بأسانيدهم عن إبن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما عرج بي إلى السماء إلى أن قال : فقلت معاشر الرسل إلى ماذا بعثكم ربي قبلي ؟

فقالت الرسل : عن نبوتك و ولاية علي بن أبيطالب عليه السلام وهو قوله تعالى : « واسئل من أرسلنا » الاية . وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار .

أقول : إنّ الاية وإن كانت بصدد السؤال عن أمر التوحيد ولكنه لاينافي السؤال عن أمر النبوة والولاية للتلازم .

ونختم البحث برواية واردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

روى العياشي في تفسيره عن خطاب بن مسلمة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبرائة من عدوّنا وذلك قول الله في كتابه : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا منهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة » بتكذيبهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .



﴿ الضلالة و ترك الولاية ﴾

فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« أين الذين زعموا انهم الراسخون فى العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله و وضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ، ان الائمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لاتصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم » .

قال ابن ابى الحديد فى الشرح : قوله عليه السلام : « أين الذين زعموا » هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل فمنهم من كان يدّعى له انّه أفرض ومنهم من كان يدّعى له انه أقرأ ومنهم كان يدّعى له انه أعلم بالحلال والحرام .

هذا مع تسليم هؤلاء له انه عليه السلام أفضى الامة وانّ القضاء يحتاج إلى كل هذه الفضائل و كل واحدة منها لاتحتاج إلى غيرها فهو إذن أجمع للفقه وأكثرهم إحتواء عليه ، الاّ انّه عليه السلام لم يرض بذلك ولم يصدق الخبر الذى قيل : «أفرضكم فلان » إلى آخره فقال : انّه كذب وإفتراء حمل قوماً على وضعه الجسد والبغى والمنافسة لهذا الحيّ من بنى هاشم ان رفعهم الله على غيرهم ، واختصّهم دون من سواهم ـ إلى أن قال ابن أبي الحديد ـ : قلت : هذا الموضع مشكل ولى فيه نظر ـ لانه ثبت عندى ان النبى صلى الله عليه وآله قال : « انه مع الحق وانّ الحق يدور معه حيثمادار» .

وفى النهج قال الامام عليه السلام :

« آثروا عاجلاً واخّروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً كأنى أنظر إلى فاسقهم

وقد صحب المنكر فألفه وبسيء به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبداً كالتيّار لايبالي ما غرّق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرّق .

أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللاّمحة الى منازل التقوى أين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحّوا على الحرام ورفع لهم علم الجنّة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا إلى النار بأعمالهم ودعاهم ربهم فنفروا و ولّوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا » .

قوله عليه السلام : « آثروا » : اختاروا « اخّروا » : تركوا « آجنا » الآجن : الماء المتغير « بسيء » ألف ناقة بسوء : ألفت الحالب ولا تمنعه .

« شابت » : طال عهده به مذ زمن الصبا حتى صار شيخاً ، و « صبغت به خلائقه » : صارت طبعا لأنّ العادة طبيعة ثانية .

وقوله عليه السلام : « مزبداً » : أي ذوزبد وهو ما يخرج من الفم كالرغوة يضرب مثلا للرجل الصائل المقتحم . « كالتيار » معظم اللجّة والمراد به ههنا : السيل « الهشيم » : دقاق الحطب . « لايحضل » : لايبالي . « الابصار الامحة » : الناظرة . « تشاحّوا » : تضايقوا كل منهم يريد الاّ يفوته ذلك وأصله الشحّ وهو البخل .

وفي النهج أيضا قال الامام عليه السلام :

« قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وأرز المؤمنون ونطق الضالّون المكذبون .

نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب ولاتؤتى البيوت الاّ من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا » .

قال الحديد في الشرح : هذا كلام متّصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ في ذمّهم ونعى عليهم عيوبهم « وأرز المؤمنون » أي انقبضوا . ثم قال : « نحن الشعار والاصحاب » يشير إلى نفسه وهو أبداً يأتي بلفظ الجمع ومراده الواحد ـ أقول : وقد اراد الامام عليه السلام بالجمع

جميع الائمة ـ و الشعار : ما يلي الجسد من الثياب فهو أقرب من سائرها إليه و مراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

« والخزنة والابواب » يمكن أن يعني به خزنة العلم وابواب العلم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب » وقوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام : « خازن علمي » وقال تارة اخرى : عيبة علمي » ويمكن أن يريد خزنة الجنة وأبواب الجنة أي لا يدخل الجنة الا من وافى بولايتنا فقد جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض : انه قسيم النار والجنة ، وهو قسيمها بنفسه في الحقيقة يدخل قوما إلى الجنة وقوماً إلى النار وهو ما يطابق الاخبار الواردة فيه يقول للنار : هذا لي فدعيه وهذا لك فخذيه ثم ذكر ان البيوت لا تؤتى الا من أبوابها قال الله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » ثم قال : من أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً وهذا حق ظاهراً وباطناً أما الظاهر فلأن من يتسور البيوت من غير أبوابها هو السارق .

وأما الباطن فلان من طلب العلم من غير استاذ محقق فلم يأته من بابه فهو أشبه شيء بالسارق .

ثم قال الحديد : واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله تعالى اياها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في امره ـ إلى أن قال ـ : بل الاخبار الخاصة التي رواها فيه عليه السلام ائمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره . .

﴿ النعم الالهية وأقسامها ﴾

(صراط الذين انعمت عليهم)

انّي لست بصدد إحصاء النعم الالهيّة التي يفيضها الله تعالى على عباده فانه خارج عن مقدور البشر ، إذ قال : « وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها » إبراهيم : ٣٤ .

وما كنت بصدده هو النعم التي أنعمها الله جل وعلا على هؤلاء الذين ندعو الله سبحانه أن يهدينا صراطهم المستقيم .

ومن غير مراء انّ الوجود وما ينمو به الجسم الانساني من الاسباب كلها نعمة الهية تفاض عليه مادام حيّاً .

انّ السماء والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وما إليها مما نعلم وما لانعلم والارض وما على ظهرها وما في بطنها من البحار والجبال والمعادن و الحيوان والنبات والانهار وما إليها كلها نعمة الهيّة ينتفع منها هذا الانسان ، وهكذا ما يتعلق بالانسان من الاموال والاولاد والعشيرة والاحباء والقوى والقدر والعدد والعدد وما يلي جسمه من قواه الظاهرية والباطنية وما إليها كل ذلك نعمة إلهيّة افيضت على هذا الانسان ، ولكنه ما خلق لذلك وليست هي غاية خلقه .

بل انما وراء تلك النعم الفانية نعم باقية اخرى وان الانسان خلق للنيل بها وهي غاية عالية أقصى الغايات ، وهي الفوز و الكرامة عندالله سبحانه والنيل برضوان الله تعالى وهو أكبر من ذلك ان الله جل وعلا جعل لوصول الانسان إلى تلك النعم الدائمة صراطاً مستقيماً وليس هو الاّ الايمان والطاعة والولاية لمن يليق

بها وصالح العمل وترك الكفر والمعصية والاجتناب عن تولى الشيطان واتباعه وفساد العمل وعما فيه غضب الله تعالى والضلالة .

فالامور كلها نفياً وإثباتاً هو صراط مستقيم سلكوه هؤلاء المنعم عليهم ، و انّ الصراط المستقيم نفسه نعمة باعتباراستتباعه طمأنينة القلوب والعيش الهنيىء و العزّ والشرف و كون سالكه فى كنف الله تعالى وما إليها لمن كان عليه فى هذه الحياة الدنيا ، ونعمة باعتبار كونه طريقاً إلى النعمة الدائمة ونيل سالكه بها فى دارالاخرة ورضوان الله اكبر من ذلك .

ومن دون خفاء أنّ إطلاق النعمة فى الايات القرآنية على النعمتين الاخيرتين أكثر من إطلاقها على النعمة الزائلة الدنيوية .

قال الله تعالى : « الم تر الى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار » ابراهيم : ٢٨ .

وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » آل‌عمران : ١٠٣ .

وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة : ٣ .

وقال : « ومايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتمّ نعمته عليكم » المائدة : ٦ .

وقال : « ولو لانعمة ربى لكنت من المحضرين » الصافات : ٥٧ .

وقال : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩ .

وقال : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله » آل عمران : ١٧٤ .

وقال : « فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون » الطور : ٢٩ .

وقال : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » المائدة : ١١ .

وقال حكاية عن موسى عليه السلام : « قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين » القصص : ١٧ .

وقال : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا آبائكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » التوبة : ٢٠ ـ ٢٣ .

وغيرها من الايات الكريمة . .

فنرجع إلى ما كنا بصدده فنذكر ما يعلم ذلك فى ضمنه .

وذلك ان النعمة هى كل منفعة حسنة واصلة إلى الغير إذا قصد فاعلها وجه الاحسان إليه .

والمنعم هو فاعل النعمة وهذا إمّا بمباشرته أو فعله ما يؤدى إليها أو بترك الفعل والله تعالى هو الذى يستحق وصف المنعم على جميع الوجوه . . .

وان النعم إمّا انها لايقدرعليها إلا الله تعالى كالاحياء والاقدار وخلق العقل و الشهوة والمشتهى وما إليها مما لايقدرغيره عليه والله سبحانه يفعلها بالعباد فهو منعم من هذه الناحية وإمّا أن يقدر عليها غير الله تعالى كما يقدر عليها والله منعم علينا بهذا النوع ولكنه يفعلها بنا لاعلى طريق المباشرة وهذه إمّا أن تكون من جهة الله حقيقة كالمنافع الواصلة إلينا بطريق الارث والغنيمة لانّها تصل الينا بواسطة شريعته وإمّا ان تكون حكماً كأنها من جهة الله تعالى ، على أن الله هو الذى خلق الواهب و الموهوب وجعل أحدهما بحيث يرغب فى الهبة والاخر بحيث يقبلها فتعلقها بالله هنا على وجه الاحداث لها وللمنعم وللمنعم عليه وإمّا ان الله تعالى هو منعم بعدم الفعل كعفوه وغفرانه إذا تاب العاصى واستغفر المجرم هذه :

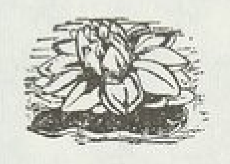
وهناك نعمة تستتبعها نعم دائمة وهى نعمة التكليف لانه يعرضنا لانواع من المنافع فى الدنيا والثواب فى الاخرة لانصل إليها الاّ بواسطته .

انّ الله تعالى خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما لنفع الانسان و لكن ليس له كمال النفع منهما وانما كمال النفع حين استكمال الانسان وبعد كماله وهذا لا يمكن إلاّ بالتكليف فهل طمأنينة القلب والعزّة والشرف والعيش الهنيىء فى هذه الحياة الدنيا الاّ فى ظلّ التكليف ؟

وهل الجنة والكرامة عندالله تعالى والرضوان ونعيمها الابدى فى الآخرة الاّ فى ظل التكليف ؟

أوليس التكليف هو صراط المستقيم الذى سلكوه وتنعّموا بما استتبعه من النعمتين الاخيرتين هؤلاء الذين ندعوالله جل وعلا أن يهدينا صراطهم المستقيم وينعم علينا ما أنعم عليهم ؟

أيمكن أن يكون لاحد أولقوم أو لمجتمع بشرى طمأنينة القلب والعزة و الشرف والامن والعيش الهنيىء فى هذه الحياة الدنيا ؟ أو يكون لهم جنة و كرامة ورضوان فى دار الآخرة وهم طليق العنان فى الدين ؟



التكليف و النعم الالهية
في الدارين

قال الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و لايجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » المائدة : ٧و٨ .

روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن الفضيل بن يسار قال : قال أبوجعفر عليه السلام : في حديث يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله - : وان الروح والراحة والفلج والعون والنجاح والبركة والكرامة والمغفرة والمعافاة واليسر والبشرى والرضوان والقرب والنصر والتمكن والرجاء والمحبة من الله عزوجل لمن تولى علياً وائتم به وبرئ من عدوه وسلم لفضله وللاوصياء من بعده حقاً على أن ادخلهم في شفاعتي وحق على ربي تبارك و تعالى أن يستجيب لي فيهم فانهم أتباعي ومن تبعني فانه مني .

قوله صلى الله عليه وآله : « الفلج » : الظفر والغلبة « النجاح » الفوز بالمطلوب « المعافاة » : دفع الله تعالى عنه مكاره الدنيا والاخرة رواه العياشي في تفسيره والبحراني في تفسير البرهان مذيلاً بمالم يذكره الكليني .

و روى العياشي في تفسيره باسناده - في حديث طويل - قال : سئل أبوحنيفة أباعبدالله عليه السلام عن هذه الاية فقال : ما النعيم عندك يا نعمان ؟ قال : القوت من الطعام والماء البارد فقال عليه السلام : لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة

حتى يسئلك عن كل أكلة اكلتها أوشربة شربتها ليطول وقوفك بين يديه قال: فما النعيم جعلت فداك ؟ قال : نحن أهل البيت النعيم التي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم الله للاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام .

أقول: إن الروايات الواردة عن طريق العامة في أن النعيم هو رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً نوردها في سورة التكاثر انشاء الله تعالى .

قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » الاية آل عمران ١٠٣

و روى الحراني رضوان الله تعالى عليه في تحف العقول في وصية الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام لعبد الله بن جندب فقال : يا ابن جندب أحب في الله واستمسك بالعروة الوثقى واعتصم بالهدى يقبل عملك فان الله يقول : « إلا من آمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فلا يقبل إلا الايمان ولا ايمان إلا بعمل ولا عمل إلا بيقين ولا يقين إلا بالخشوع وملاكها كلها الهدى فمن اهتدى يقبل عمله وصعد إلى الملكوت متقبلاً « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

و روى ابن كثير الدمشقي في تفسيره عن إبن أبي حسين قال : قام علي بن أبيطالب عليه السلام فقال :

ألا أحد يسئلني عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني وإن كان من وراء البحار لأتيته فقام عبدالله بن الكواء فقال : من « الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار » ابراهيم : ٢٨ ؟

قال : مشركو قريش أتتهم نعمة الله الايمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار .

و روى الطبري في تفسيره (جامع البيان) :

عن عثمان بن عيسى عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله : ألم تر

إلى الذين بدلوا نعمةالله كفرا » قال: نزلت في الافجرين من قريش: بني امية وبني المغيرة فأمّا بني المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأمّا بني امية فمتعوا إلى حين ثم قال:

ونحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز ثم قال لهم: « تمتعوا فان مصيركم الى النار ».

أقول: ومن العجيب انهم اسقطوا هذه الرواية عن تفسير الطبرى أخيراً.

وانّ التلازم بين الايمان والعبادة والولاية لاهلها وصالح العمل مما لا يخفى على عاقل فضلا عن فاضل، قال الله تعالى: « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » الاية المائدة: ٣.

نشير إلى بعض ما ورد في ذلك عن طريق العامة عسى الله أن يهدينا و إياهم إلى صراط مستقيم.

١ـ روى الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٤٨) باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن لله عزوجل حرمات ثلاث من حفظهن حفظ الله له أمر دينه ودنياه و من لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الاسلام وحرمتي وحرمة رحمي.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١ـ الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ١ ص ٨٨ ط القدسي بالقاهرة).

٢ـ الخطيب الخوارزمي في (المقتل ج ٢ ص ٩٧ ط الغري).

٣ـ السيوطي الشافعي في (احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف ص ١١٨ الحلبي بمصر).

٤ ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٧٣ ط اسلامبول).

٥ ـ النقشبندي في (راموز الاحاديث ص ١٢٩ ط الاستانة).

٦ ـ النبهاني في (الشرف المؤبّد ص ٨٧ ط مصر).

٧ـ أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادى ص ١١ ط مصر).

٨ الحداد الحضرمى فى (القول الفصل ج ٢ ص ٢٥ ط جاوا) .

٢ـ روى ابوبكر بن مؤمن الشيرازى فى (رسالة الاعتقاد) عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من أراد منكم النجاة بعدى والسلامة من الفتن فليتمسك بولاية علي بن أبيطالب عليه السلام .

٣ـ روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ٥٩ ط الغرى) باسناده عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أراد التوكل على الله فليحب أهل بيتى و من أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحبّ أهل بيتى ومن أراد الحكمة فليحبّ أهل بيتى ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحبّ أهل بيتى ، فوالله ما أحبّهم احد إلاّ ربح الدنيا والاخرة .

رواه بادنى تفاوت أبوبكر الشيرازى فى (رسالة الاعتقاد ص ٢٩٦ ط القاهرة) و القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٦٣ ط اسلامبول) .

ونختم البحث بذكر جملة ما فى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« وانّى لعلى بيّنة من ربّى و منهاج من نبيّى وانّى لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردىً فان لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا » .

قال الحديد فى الشرح : قوله عليه السلام : « ألقطه لقطاً » يريد انّ الضلال غالب على الهدى فأنا التقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطاً من هاهنا وههنا كما يسلك الانسان طريقاً دقيقة قد اكتنفها الشوك والعوسج من جانبيها كليهما فهو يلتقط النهج التقاطاً .

وقوله عليه السلام : « سمتهم » السمت : الطريق « فان لبدوا » لبد الشيء بالارض يلبد بالضم لبودا : التصق بها .

﴿ تغيير النعمة وانحطاط الامة ﴾

قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » الرعد : ١١ .

في نهج البلاغة قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام :

« لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجّة الحق لخابطها وأسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسّمها ، مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح و أرواحاً بلا أشباح و نسّاكاً بلا صلاح و تجّاراً بلا أرباح وأيقاظاً نوّماً وشهوداً غيّباً وناظرةً عمياء وسامعة صمّاء وناطقة بكماء » .

قوله عليه السلام : « انجابت » : إنكشفت « محجّة الحق » : طريقه « لخابطها » الخابط : السائر على غير سبيل واضحة « وأسفرت الساعة » : أضائت وأشرقت أي كاشفة عن وجهها .

وقوله عليه السلام : « أشباحاً بلا أرواح » : أشخاصاً لا أرواح لها ولاعقول « و أرواحاً بلا أشباح » أراد بذلك الخفة والطيش لهم تشبيهاً لهم بروح بلا جسد أو أراد به نقصهم فانّ الروح غير ذات الجسد ناقصة عن الاعتمال والتحريك اللذين كانا من فعلها حيث كانت تدير الجسد .

وقوله : « و نسّاكاً بلاصلاح » نسبتهم إلى النفاق « وتجاراً بلا أرباح » نسبهم إلى الرياء وإيقاع الاعمال على غير وجهها ، ثم وصفهم بالامور المتضادة ظاهراً وهي مجتمعة في الحقيقة فقال : « إيقاظاً نوّماً » لانهم أولو يقظة وهم غفول عن الحق كالنيام و كذلك باقيها قال تعالى : « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى

القلوب التى فى الصدور » الحج : ٤٦ .

ثم قال الامام عليه السلام :

« راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرّقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملّة قائم على الضّلة فلايبقى يومئذ منكم الاّ ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم تعركُكم عرك الأديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّة البطينة من بين هزيل الحبّ » .

أقول : قال بعض الشارحين : هذا كلام منقطع عما قبله .

ولكن الصواب انّ السياق يؤيّد الاتصال على ما عليه نهج البلاغة من الترتيب .

و ان قول الامام عليه السلام : « راية ضلال قد قامت على قطبها » بصدد بيان ما جاء على هذه الأمة المسلمة من الانحطاط اذ تركت الاستضائة بأضواء الحكمة وتوسّلت بمن لاشأن له فى الولاية .

قوله عليه السلام : « تكيلكم بصاعها » تحملكم على ما تشتهيه نفسها وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها أويقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم ويتلاعبون بكم ويرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيال البرّ به إذا كاله بصاعه . « وتخبطكم بباعها» تظلمكم وتعسفكم و قائدها ليس على ملّة الاسلام بل مقيم على الضلالة .

وقوله عليه السلام : « ثفالة » الثفالة : ما ثفل فى القدر من الطبيخ « نفاضة » النفاضة ما سقط من الشيء المنفوض « العكم » : العدل والعكم أيضاً نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها « تعرككم » العرك : دلك الشيء بقوّة « الحصيد » : الزرع المحصود .

ثم قال الامام عليه السلام :

« أين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ؟ ومن أين تؤتون وأنّى تؤفكون فلكل أجل كتاب ولكل غيبة إياب فاستمعوا من ربانيّكم وأحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رائد أهله وليجمع

شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة » .

قوله عليه السلام : « الغياهب » : الظلمات « تتيه » : تجعلكم تائهين اى متحيرين .

قال الحديد فى الشرح :

قوله عليه السلام : « فاستمعوا من ربانيكم » الرباني : الذى أمرهم بالاستماع منه انما يعنى به نفسه عليه السلام ويقال : رجل ربانى أى متأله عارف بالرب سبحانه ، وفى وصف الحسن لاميرالمؤمنين عليه السلام : « كان والله ربانىّ هذه الامة وذا فضلها و ذا قرابتها وذا سابقتها » .

ثم قال عليه السلام : « واحضروه قلوبكم » أى اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده اى لا تقنعوا لانفسكم بحضور الاجساد وغيبة القلوب فانكم لاتنتفعون بذلك « إن هتف بكم » : صاح « رائد اهله » الرائد : الذى يتقدّم المنتجعين لينظر لهم الماء والكلاء « وليجمع شمله » : عزائمه وأفكاره لينظر « فلقد فلق لكم الامر » اى فقد فلق هذا الربانى لكم الامر أى شقّ ما كان مبهما وفتح ما كان مغلقاً كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها « وقرفه » أى قشره كما تقشر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع .

وروى أبوعثمان الجاحظ وهومن أعلام العامة فى (البيان والتبيين ج ٢ ص ٥٠ ط الاستقامة بمصر) .

عن جعفربن محمد عن آبائه عليهم السلام :

ألا ان أبرار عترتى وأطايب ارومتى أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً ألا وأنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بايدينا معنا راية الحق من تبع لحق ومن تأخر عنها غرق ، ألا وان بنا تدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذلّ عن اعناقكم وبنا غنم وبنا فتح الله لابكم وبنا يختم لابكم .

رواه ابن عبدربه فى (العقد الفريد ج ٢ ص ١١٤ ط الشرفية بمصر) .

ان هناك لى اسئلة وهى :

لماذا وقعت الامة المسلمة فى التيه والحيرة منذ وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

لماذا سلب عنها النهوض وضعف لها المجد ؟

لماذا اخذت عنها الوحدة التى بناها الاسلام والاخوة الدينية ؟

لماذا جائت الاغراض الشخصية والاهداف الفردية المشؤمة ؟

لماذا لاتقدر على اخذ لقيطة من اللقطات المعتدية على اهانة مسلم ولا على نظر الى المملكة المسلمة ؟

لماذا لاتمكن ان تصدوا الاعداء عن حركة البغى والعدوان وايقافهم فى وجهتهما ؟

لماذا تركت التعاليم الاسلاميّة القيّمة وحلوا محلها الاصول الخرافية الواهية التى وضعت لتهديم الاصول الالهية الاسلامية ؟

لما ذا تركت مبادى الاسلام و وضعت عليهم أيادى الاستعمار ؟

لما ذا ذهبت عزتهم وشوكتهم .

لماذا لماذا ؟؟

ولم اجد لها جواباً إلاّ ما قال الله تعالى : « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » الانفال : ٤٦ .

ثم انظروا كيف كان التنازع ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدفن .

فهل الانحطاط الاّ بالاختلات ولعمرى ان الانحطاط إطلاقاً فى طوال الاعصار ناشىء عن ذلك التنازع والفشل فاذا استمرت الامة المسلمة ذلك التنازع إستمر الانحطاط نعم ما قال شاعر :

اذا ما قصدت الامر من غير بابه ضللت وان تقصد من الباب ترشد

قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » آل عمران : ١٠٣ .

﴿ الغضب و حقيقته ﴾

(غير المغضوب عليهم)

ان الغضب هو ثوران يغلي به الدم فيرتفع في أعالي العروق كما ترتفع النار ويرتفع الماء عند غليانه في القدر ، فيحمرّ ظاهر البدن وخاصة الوجه والعين تحكي ماورائها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها .

هذا دفعاً للاذى قبل وقوعه وانتقاماً من المؤذي بعده فاذا ظنّ القدرة على الخصم فكانت حاله كما ذكرو أمّا إذا بدأ له الضعف فتبدّل الاحمرار إصفراراً و كرّ الدم راجعاً لاعماق الجسم هارباً من إيذاء الخصم ، وان تردد بين الظنين : القدرة على الخصم أو الضعف عنده يتعاقب عليه اللونان : يحمر الوجه تارة عند ظن القدرة ويصفر تارة اخرى عند ظن الضعف .

فالدم كالجيش المحارب يكون بأمر القلب وحكمه والقلب هو القائد فان كان القلب قوياً شجاعاً فيقدم الدم إقدام القادر فتظهر آثارها الحمرة من الوجه وإن كان القلب جباناً خائفاً يحجم القلب احجام الخائف فتظهر آثارها الصفرة من الوجه ، فاذا صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه إنقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون و إن كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد بين إنقباض وإنبساط فيحمرّ و يصفرّ ويضطرب .

في نهج البلاغة قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام :

« الحزن والغضب أميران تابعان لوقوع الامر بخلاف ما تحب الاّ ان المكروه

إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزنا وإن اتاك ممن دونك نتج عليك غضبا » .

وفي رواية : قال الصادق عليه السلام في حديث : « وأمّا الغضب فهومنا إذا غضبنا تغيّرت طبائعنا وترتعد أحيانا مفاصلنا وحالت ألواننا ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمّي غضباً فهذا كلام الناس المعروف والغضب شيئان : أحدهما ـ في القلب وأمّا المعنى الّذى هو في القلب فهو منفيّ عن الله تعالى وكذلك رضاه و سخطه ورحمته على هذه الصفة .

وقوة الغضب محلها القلب وتتوجه هذه القوة عند غليان الدم إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام فوت هذه القوة و شهوتها وفيه لذتها ولاتسكن الاّ به .

وانّ الغضب هو شعلة من نار إقتبست من نارالله الموقدة الاّ انها لاتطلع على الافئدة وانها لمستكنة في طيّ الفؤاد إستكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد و تستخرجها حميّة الدين من قلوب المؤمنين .

انّ الله تعالى أودع هذه القوة الغضبية في الانسان ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه ، ولولاها لما كان قادراً على دفع المهلكات فما كان العيش هنيئاً له في هذه الحياة الدنيا ، ولكن لما كان الانسان بهذه القوة أكثر مصيدة للشيطان للتوافق بينهما أكثر من سائر القوى هدّده الشرع في إستعماله ايّاها لئلا يستعملها في غير ما خلقت لاجله .

﴿ الغضب وأسبابه ﴾

لا يخفى انّ كلّ قوة مودعة فى الانسان لها طرفا الافراط والتفريط والوسط بينهما ولكل منها أسباب إذا وجدت فى ناحية ظهرت آثار القوة من تلك الناحية وبذلك صار الانسان مختاراً فى إستعمالها وأمر بتعديلها بين طرفيها ونهى عن طرفيها والناس فى هذه القوة على درجات ثلاث : التفريط والافراط والاعتدال.

اما التفريط : فسببه ضعف هذه القوة على مراتبه وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه : انه لاحميّة له ، ومن ثماره إحتمال الذّل وصغر النفس والخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وعدم الغيرة على الحرام وعدم الانتصار للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى وقد وصف الله تعالى خيار الصحابة بالشدة والحميّة فقال : « أشدّاء على الكفار » الفتح : ٢٩ وقال : « أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين » المائدة : ٥٤ .

وقال : « يا أيّها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليه » التوبة : ٧٣ .

وانّ الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب من دون ريب .

وقال : « يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » التوبة ١٢٣ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خير امتى احداؤها » يعنى فى الدين .

وقال الله تعالى : « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » النور : ٢ .

ومن ثمار ضعف قوة الغضب قلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة وانما الغيرة لحفظ الانساب فلو تسامح الناس فيها لاختلطت الأنساب ولذلك

قيل : كل امة وضعت الغيرة فى رجالها ووضعت الصيانة فى نسائها وغير ذلك من الفساد الناشى عن ضعف قوة الغضب وعدم إستعمالها و ورد على ذلك : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » .

و اما الافراط : فهو أن تغلب هذه القوة على الانسان حتى يخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلايبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر وأحياناً إختيار فيعمى ويصم عن كل موعظة ، وأسبابه المهيجة للغضب امور : وهى الكبر والعجب والمزاح والاستهزاء والهزل والذلّ والايذاء بالتغيير والمراء والحرص فى المال والجاه والمقام وهى باجمعها من ذميم الصفات ورديّ الاخلاق .

فى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام فى وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة :

« سع الناس بوجهك ومجلسك وحلمك وإياك والغضب فانه طيرة من الشيطان و اعلم انّ ما قرّبك من الله يباعدك من النار و ما باعدك من الله يقرّبك من النار » .

وفيه : قال عليه السلام : اوّل الغضب جنون و آخره ندمٌ » .

و روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى الخصال باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال الحواريّون لعيسى بن مريم : يا معلم الخير أعلمنا أىّ الاشياء أشدّ ؟ فقال : أشد الاشياء غضب الله عزوجل قالوا : فبم يتّقى غضب الله قال: بان لاتغضبوا قالوا : وما بدؤ الغضب ؟ قال : الكبر والتجبّر ومحقرة الناس .

وفى النهج : قال الامام عليه السلام : « الحدّة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم » و لا خلاص من الغضب مع بقاء تلك الاسباب فلابد من إزالتها باضدادها المعروفة فى الباب فعلاج الكبر : التواضع وعلاج العجب ، معرفة النفس إذا كان سبب العجب العلم والعمل ومعرفة انّ بنى آدم جنس واحد وانّ الشرف بالفضائل « انّ أكرمكم عندالله اتقاكم » إذا كان سبب العجب النسب و الحسب ، و علاج المزاح : الاشتغال بالمهمات الدينية و الامور

الاخروية وعلاج الاستهزاء : الاشتغال بعيوب نفسه وصيانة النفس ان تستهزى .

و ورد « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به » .

وعلاج الايذاء : التفكر فى الجزاء والمكافاة بانه لايؤذى أحداً إلاّ يؤذيه غيره وهو يجازى بذلك فى الاخرة ، وعلاج الحرص : التفكر فى عواقب الامور والقناعة بما أعطاه الله تعالى طلباً لعز الاستغناء وترفعا عن ذلّ الحاجة وهذه الامور تمنع النفس ان تظهر منها عند تلك الاسباب الغضب لا قلعه بالمرّة لانه غير مقدور للبشر ، وعلاج الهزل : هوالجد فى طلب الفضائل والاخلاق الحسنة و علاج الايذاء بالتعيير : هو الحذر عن قول قبيح وصيانة النفس عن مرّ الجواب .

و كل خلق من هذه الاخلاق يفتقر فى علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة وأصل الرياضة فى إزالة هذه الاخلاق يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفرها عن قبحها .

ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدّة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن تلك الرذائل وتخلصت عن الغضب الذى يتولد منها .

ولا يخفى انّ أصحاب الاخلاق السيئة والرذائل أسرع غضباً من أصحاب الاخلاق الحسنة والفاضلة وانّ المريض أسرع غضباً من الصحيح والمرأة أسرع غضباً من الرجل والصبى أسرع غضباً من الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل .

وان أكثر غضب الناس يكون على ما هو غيرضرورى لهم فيغضبون فى إزدياد الاموال والنيل بالجاه والصيت والتصدر فى المجالس والمباهاة بالحسب و النسب والعلم ، فمن غلب عليه هذا الحبّ فيغضب إذا زاحمه مزاحم وهذه العادات الرديئة هى أكثر محاب الناس ومكارههم فتكثر الغضب بينهم فى الجانبين ، فتدبر و اغتنم .

و اما الاعتدال : فهو إذا اعتدلت قـوة الغضب وضبطت تحت الشرع والعقل بأن لايكون فيها إفراط ولاتفريط فتستعمل حيث وجبت الحميّة الشرعية الدينية والعقلية من دفـع أعـداء الدين عن حوزته ودفـع أعـداء العرض والنفس والمال والمحرمات عن نفسه ودفع ايذاء المؤذى وظلم الظالم عن أخيه المؤمن ومن إجراء حدود الدين وإحقاق الحقوق .

وفى رواية : عن علي بن أبيطالب عليه السلام انه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له » فكان صلى الله عليه وآله يغضب للحق وهو إلتفات إلى الوسائط على الجملة .

فالغضب من اسباب الكمال الانسانى وحصن فيه العيش الهنيء للافراد والأسرات والمجتمع البشرى كل ذلك إذا كان بنظر الشرع والدين .



﴿الغضب و اقسامه﴾

انّ الغضب على قسمين : أحدهما ـ ممدوح وثانيهما ـ مذموم .

اما الاول : فاذا كانت قوة الغضب معتدلة ولم تدخل فى جانبيها : الافراط والتفريط وكان الغضب فى الله ولله تعالى وهو من شمائل الانبياء والمرسلين وأولياء الله والمجاهدين والشهداء والمؤمنين ، وبتلك القوة كانوا يحمون عن الدين ويدفعون اعدائه عن حوزته ويحفظون الاعراض عن الهتّا كين والنفوس عن السفّا كين ويصونون الانساب عن مسلوبى الغيرة والاموال عن الظالمين ويجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويحقّون الحق ويطفؤن نائرة الاباطيل والخرافات .

وفى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح : ٢٩ .

دلالة على ظهور صفتى الغضب والرأفة باعتبار متعلقيهما : الكافر والمؤمن من رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين وكون الصفتين مديحتين فى موردهما فتحسن الشدة والغضب على الكافر والرأفة والرحمة على المؤمن فلا يحسن أن يعامل المؤمن مع الكافر العدو معاملته مع أخيه المؤمن الحبيب ولان يعامل مع المؤمن الصديق معاملته مع الكافر الشريد .

فشدتهم لله تعالى ورحمتهم لله جل وعلا وهى الحمية للعقيدة والسماحة لها فليس لهم فى انفسهم شىء ولا لانفسهم فيهم شىء وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابهم على أساس عقيدتهم وحدها ، فيشتدّون على أعدائهم فيها ويلينون لاخوانهم فيها وهم مجردون من الانانية ومن الهوى ومن

الانفعال لغيرالله تعالى من أيّ أسباب .

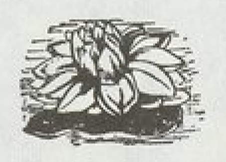
فالغضب بما هو هو صفة ممدوحة أودع الله تعالى القوة الغضبية فى الانسان كسائر القوى فاذا صرفت فيما يرضيه الله تعالى فهى ممدوحة والاّ كانت مذمومة باعتبار صرفها فيما لايرضيه الله جل وعلا .

فالذم يرجع إلى تصريف الانسان هذه القوة فى غيرما أودعها الله تعالىفيه لاجله كما انّ قد يذمّ الانسان إذا لم تصرفها فيما يرضيه الله تعالى كموارد هدم أساس الدين وهتك العرض ونهب الاموال وتجاوز الحرمات وإحقاق الحق نعم ما قال الشاعر :

حليم إذا ما الحلم زين لاهله على انّه عند العدوّ مهيب

فالحلم مديح في محله والغضب مديح فيمحله وهما ذميمان فى غير محلهما .

واما الثانى فاذا خرجت قوة الغضب عن حدّ الاعتدال ودخلت فى إحدى جانبى الافراط والتفريط ، وكان للشيطان وللاغراض الذميمة ، كما أنّ اكثر الناس عليهما وانّ التمييز بين المديح والذميم على جانبيه صعب جداً خفى عليهم الاّ القليل منهم حتى سمّوا جانب التفريط حلماً وجانب الافراط شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همّة فقمع أصل الغيظ منالانسان غير ممكن وانما التكليف هومتوجة إلى كسر سورته إذا اشتدّ وإلى تعديله وأن يكون الغضب باشارة العقل والشرع فيغضب فى محل الغضب ويحلم فىموضع الحلم .



بحث روائي
في قسمي الغضب

١- في نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« إذا غضب الكريم فألن له الكلام وإذا غضب اللئيم فخذله العصا » .

٢- وفيه قال عليه السلام :

« غضب العاقل في فعله وغضب الجاهل في قوله » .

٣- وفيه قال عليه السلام :

« واحذر الغضب ممن يحملك عليه فانه مميت للخواطر مانع من التثبّت و احذر من تبغضك فان بغضك له يدعوك إلى الضجر به وقليل الغضب كثير في أذى النفس والعقل » .

٤- وفيه قال عليه السلام : « المعتذر منتصر والمعاتب مغاضب » .

٥- في إحقاق الحق عن الصادق عليه السلام قال : المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حقّ وإذا رضى لم يدخله رضاه في باطل .

٦- روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الامالي باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عزوجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب : رجل لم يدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه ورجل مشى بين إثنين فلم يمل مع أحدهما على الاخر بشعيرة ورجل قال الحق فيما عليه وله .

٧- روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن أبي الربيع الشامي قال :

دخلت على أبي عبدالله عليه السلام والبيت غاصّ باهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعاً أقعد فيه ، فجلس أبوعبدالله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال : يا شيعة آل محمد اعلموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبته من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره و ممالحة من مالحه يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولاحول ولا قوة الاّ بالله .

٨- روى السيوطي في الدر المنثور عن عطاءبن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب الناس على المنبر وقرأ هذه الاية : « إعملوا آل داود شكراً » قال : ثلاث : من اوتيهنّ فقد اوتي ما اوتي آل داود قيل : وما هنّ يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وذكر الله في السر والعلانية .

٩- في أمالي الصدوق باسناده عن عبدالعظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عليه السلام قال دخل موسى بن جعفر عليه السلام على هارون الرشيد وقد استخفّه الغضب على رجل فقال له : انما تغضب لله عزوجل فلاتغضب له بأكثر مما غضب لنفسه .

١٠- في امالي الطوسي باسناده عن الكاظم عليه السلام قال : من لم يغضب في الجفوة لم يشكر في النعمة .

١١- في نهج البلاغة قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام :

« من أحدّ سنان الغضب لله قوي على قتل أشدّاء الباطل » .

هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والكلمة تتضمّن إستعارة تدلّ على الفصاحة .

والمعنى انّ من أرهف عزمه على إنكار المنكر وقوى غضبه في ذات الله و لم يخف ولم يراقب مخلوقا أعانه الله على إزالة المنكر وإن كان قويّاً صادراً من جهة عزيزة الجانب وعنها وقعت الكناية باشداء الباطل .

١٢- عن أدريس النبي عليه السلام انه قال : من أفضل البر ثلاثة : الصدق في الغضب والجود في العسرة والعفو عند المقدرة .

١٣- فى النهج قال عليه السلام : يباعدك من غضب الله إلاّ تغضب .

١٤- فى الكافى باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل .

رواه الحميرى فى قرب الاسناد باسناده عن الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وفى جامع الاخبار قال صلى الله عليه وآله وسلم : الغضب جمرة من الشيطان وقال صلى الله عليه وآله : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصّبر العسل و كما يفسد الخلّ العسل .

١٥ - روى الصدوق فى الخصال باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوّذ فى كل يوم من ستّ : من الشك والشرك والحميّة والغضب والبغى والحسد .

١٦ - فى الكافى باسناده عن داود بن فرقد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : الغضب مفتاح كل شر .

رواه الحرانى فى التحف عن موسى بن جعفر عليه السلام لهشام وعن الامام الحسن العسكرى عليه السلام وفى إحقاق الحق عن الصادق عليه السلام .

أقول : و ذلك لانّه يتولد من الغضب الحقد والحسد والشماتة والتحقير والاقوال الفاحشة وهتك الأستار والسخرية والطرد والضرب والقتل والنهب ومنع الحقوق وغير ذلك من الأفسدة .

١٧ - وفى الكافى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الغضب ممحقة لقلب الحكيم و قال : من لم يملك غضبه لم يملك عقله .

قوله عليه السلام : « ممحقة » المحق : النقص والمحو والابطال أى مظنة له وفى تخصيص قلب الحكيم بالذكر لانّ المحق الذى هو إزالة النور انما يتعلق بقلب له نور وأمّا قلب غير الحكيم فيعلم بالاولوية ، وإذا عرفت انّ الغضب يمحق قلب الحكيم ظهر لك حقيقة قوله عليه السلام : « من لم يملك غضبه لم يملك عقله » .

وعن بعض الحكماء : قيل له : أىّ الملوك أفضل ؟ ملك اليونانيين أم ملك الفرس ؟ قال : من ملك غضبه وشهوته .

﴿علائم الغضب و آثاره﴾

روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم وانّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك .

و في النهج : قال الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام : الغضب يثير كامن الحقد .

وعن بعض الحكماء : سئل : ما الذي يهرم ؟ قال : الغضب والحسد وأبلغ منهما الغمّ .

أقول: إنّ للغضب آثاراً كثيرة في النفس البشرية وفي صورة الانسان بحيث إذا اشتدّت ناره وقوى إضطرامها أعمى صاحبه وأصمّه عن كل نصح وموعظة فان وعظ فلا يسمع ولاتزيده الموعظة الاّ غيظاً كما أشار الامام عليه السلام إلى ذلك بقوله : « إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان » .

فان الجمرة : هي القطعة الملتهبة من النار فشبّه الامام عليه السلام بها الغضب في الاحراق والاهلاك ونسبها إلى الشيطان لأنّ بنفخ نزعاته و وساوسه تحدث وتشتدّ وتوقد في قلب ابن آدم وتلتهب إلتهاباً عظيماً وحينئذ يتسلط عليه الشيطان غاية التسلط ويدخل فيه ويحمله على ما يريد فيصدر منه أفعال على ما أراده الشيطان فكيف إذاً النصح والموعظة .

وقد أو قد الشيطان في قلبه ناراً يغلي بهادمه تظهر آثاره من صورته كتغير

لون الوجه والزبد على الاشداق وإحمرار الاحداق وانقلاب المناخر وبالجملة كأنه استحلت خلقته فكيف سيرته والظاهر عنوان الباطن وقبح الباطن مقدمعلى قبح الظاهر بل هو من آثاره في مثل المقام :

وتظهر آثاره من أعضائه وجوارحه كشدة الرعدة في الاطراف ومن أفعاله كخروجها من الترتيب والنظام وإضطراب الحركات ومن لسانه كالتكلم بمالاينبغي شرعاً وعقلاً ، ومن آثار الغضب على الاعضاء : الضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غيرمبالات فان هرب منه المغضوب عليه أوفاته بسبب أو عجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزّق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يضرب يده ورجليه على الارض حتى لو رأى الغضبان حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقد يعد وعد والواله السكران والمدهوش المتحير وقد يسقط صريعاً حيث لايطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وقد يضرب ولده وزوجته ومن يقدر عليه الضرب من الحيوان حتى قد يضرب القصعة وعصاه على الارض وقد تسود الدنيا بأسرها عليه عندئذ ، وقد تكسر وتراق المائدة إذا غضب عليها .

وأمّا اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام حتى قد يشتم البهيمة والجماد وأثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمسائة والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الاستار والاستهزاء وغير ذلك من المفاسد كلها الغضب و وليده .

قال بعض الحكماء : اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلّة الاعتذار .

قيل : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله : أن لاتعاقب أحداً عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه .

﴿الغضب و الانتحار﴾

روى الشيخ المفيد قدس سره في الاختصاص قال الصادق عليه السلام : كان أبي محمد الباقر عليه السلام يقول : أيّ شرّ أشرّ من الغضب ؟

انّ الرجل اذا غضب يقتل النفس ويقذف المحصنة .

وروى الكليني رحمة الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن معلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله : يا رسول الله علّمني قال : إذهب ولا تغضب فقال الرجل : قد اكتفيت بذلك فمضى إلى أهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتغضب .

فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدوّ قومه فقال : يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا اوفيمكوه فقال القوم : فماكان فهولكم نحن أولى بذلك منكم قال : فاصطلح القوم وذهب الغضب .

قوله عليه السلام حكاية عن الرجل : « ليس فيه اثر » أي علامة جراحة لتصحّ مقابلته للجراحة وقوله : « فعليّ في مالي » أي لاأبسطه على القبيلة ليكون فيه مضايقة أو تأخير أي عليّ دية ما ذكر .

وفيه : باسناده عن القاسم بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعت أبي يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدويّ فقال : انّي اسكن البادية فعلّمني جوامع الكلام فقال : آمرك أن لاتغضب فاعاد عليه الاعرابيّ المسئلة ثلاث مرّات

حتى رجع الرجل الى نفسه ، فقال : لاأسئل عن شيء بعد هذا ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بالخير قال : وكان أبي يقول : أيّ شيء أشدّ من الغضب ؟ ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة .

و روى المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار عن إبن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول‌الله علّمني شيئاً واحداً فاني رجل اسافر فاكون في البادية فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتغضب فاستيسرها الاعرابي فرجع إلى‌النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله علّمني‌شيئاً واحداً فاني أسافر فاكون في البادية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لاتغضب فاستيسرها الاعرابي فرجع فأعاد السئوال فأجابه رسول الله فرجع الرجل إلى نفسه وقال : لا أسئل عن شيء بعد هذا اني وجدته قد نصحني‌وحذّرني لئلا أفترى حين أغضب ولئلا أقتل حين أغضب .

ومن المشاهد انّ كثيراً ما وقع القتل من هذا الغلق النفسي المسيطر على صورة الغضبان وعلى سيرته وعلى أعضائه وأفعاله ، كما ان كثيراً من الانتحار يكون نتيجة غضب شديد وتهييج عصبي مرير ، وقد امرنا الله جل وعلابكظم الغيظ وقال : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » آل عمران : ١٢٨ .

فعلينا معالجة هذا الغلق النفسي والتهييج العصبي المرير مستعينين بالله و مستمدين منه جل وعلا لئلانسودّ معيشتنا وحياتنا الفردية والاسروية والاجتماعية .

كلام فى اطفاء نار الغضب و علاجه

ومن البديهى ان كل قوة مودعة فى الانسان لايمكن قمحها ولسنا مكلفين بذلك بل حرام عليه قمح قوة من قواه إطلاقاً إذ فى قمحها هدم الانسانية، و انما التكليف ليتوجه الينا فى تعديل القوى وعدم خروجها عن حد الاعتدال ولذلك أودعها الله تعالى فى الانسان.

ومن غير ريبة اننا لسنا مكلفين - مثلاً - أن نقمح قوة شهوتنا أو نعمى أعيننا أو نغمضها دائماً ولكنا مكلفون بعدم خروجها عن الاعتدال وعدم دخولها فى جانبى الافراط والتفريط.

واعلم أن الغضب يعالج وتطفأ ناره بامرين: أحدهما - بالعلم ثانيهما - بالعمل.

اما الاول فبوجوه:

الاول: أن يتفكر الغضبان - الذى يغضب فى غير محله - فى قدرة الله تعالى وحلمه عن عباده.

روى الحرانى فى تحف العقول من رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال فى وصيته لعلى بن أبيطالب عليه السلام: يا علي لا تغضب فاذا غضبت فاقعد و تفكّر فى قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم وإذا قيل لك: اتق الله فانبذ غضبك وراجع حلمك.

و روى المجلسى فى البحار باب مواعظ عيسى عليه السلام للحواريين انه قال: بحق أقول لكم: إن الماء يطفىء النار كذلك الحلم يطفىء الغضب.

والثاني : أن يتفكر في سبب الغضب وما يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ أهو ما يرضاه الله تعالى أم هو ما يريده منه الشيطان .

وفي البحار : في رواية ـ وقال ابليس عليه اللعنة : الغضب وهقي ومصيادي وبه أصدّ خيار الخلق عن الجنة وطريقها .

الوهق : حبل في طرفيه انشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ .

والثالث : أن يتفكر في عواقب وخيمة للغضب و مفاسده التي ترجع إلى الغضبان تارة وإلى المغضوب عليه تارة اخرى من ذهاب الاعراض ونهب الاموال و قتل النفوس وما إليها .

قال سقراط : داووا الغضب بالصمت .

والرابع : ان يتفكر في فضل العفو و كظم الغيظ على ما ورد في ذلك من الروايات والثواب له في الاخرة .

والخامس : أن يتفكر في عقاب الاخرة ، نعم ما قال بعض الظرفاء : إطفؤا نار الغضب بذكر نار جهنم .

واما الثاني فبالقول والعمل .

في البحار : عن الصادق عليه السلام قال : لوقال أحدكم إذا غضب : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ذهب عنه غضبه .

وفي رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله راى رجلاً يخاصم أخاه قد احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه من الغضب فقال صلى الله عليه وآله : انّي لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » لذهب عنه ما يجده .

وفي البحار : قال رجل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني فقال صلى الله عليه وآله : اوصيك أن لاتغضب وقال : إذا غضب أحدكم فليتوضأ .

وفيه : في رواية : ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفىء النار الماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ .

و فيه : عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : انّ الغضب جمرة

فى قلب ابن آدم ألاترون إلى حمرة عينيه وإنتفاخ أو داجه؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خدّه بالارض.

كأن هذا إشارة إلى السجود وهو تمكين أعزّ الاعضاء من أذلّ المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذّل وتزايل به العزّة والز هو الذى هو سبب الغضب.

وفى رواية: عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا غضبت فان كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع.

وفى تفسير العياشى: عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فأيّما رجل منكم غضب على ذى رحمه فليدن منه فان الرحم إذ مسّتها الرحم استقرّت وانها متعلّقة بالعرش ينتقضه إنتقاض الحديد فينادى اللّهمّ صل من وصلنى و اقطع من قطعنى وذلك قول الله فى كتابه: «واتقوا الله الذى تسائلون به والارحام انّ الله كان عليكم رقيباً».

وأيّما رجل غضب وهو قائم فليلزم الارض من فوره فانه يذهب رجز الشيطان.

وفى امالى الصدوق باسناده عن أبى بصير عن الصادق عن أبيه عليهما السلام انه ذكر عنده الغضب فقال: إنّ الرجل ليغضب حتى ما يرضى أبداً ويدخل بذلك النار فأيّما رجل غضب وهو قائم فليجلس فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وإن كان جالساً فليقم و أيّما رجل غضب على ذى رحمه فليقم إليه وليدن منه وليمسّه فان الرحم اذا مسّت الرحم سكنت.

أقول: قوله عليه السلام: «حتى ما يرضى أبداً» فيه تنبيه على أنّه ينبغى أن لا يغضب وإن غضب فى غير محله فلا يستمرّ عليه بل له أن يعالجه قريباً بالسعى فى الرضا عنه إذ لو استمرّ عليه إشتدّ الغضب آناً فآناً إلى أن يصدر عنه ما يوجب دخوله فى النار كالشتم والجرح والضرب والقتل وما إليها، أو يصير الغضب له خلقاً وعادة لايسهل تركها فيدخل بسببها فى النار.

وقوله عليه السلام: «فانه سيذهب عنه رجز الشيطان» وذهاب الغضب بالجلوس

مجرّب لاريب فيه كما انّ من جلس عند حملة الكلب وجده ساكناً لايحوم حوله وفيه سر لايعلمه إلاّ الله تعالى والراسخون في العلم .

و قيل : إنّ السرفيه هو الاشعار بانه من التراب وعبد ذليل لايليق به الغضب وقيل : فيه توسّل بسكون الارض وثبوتها .

و قيل كأنه لقلّة دواعيه إلى المشى للضرب والقتل ونحوهما .

و قيل للانتقال من حال إلى حال اخرى والاشتغال بامر آخر فانهما مما يذهل الغضب في الجملة .



ثمار علاج الغضب
و اطفائه

لامراء انّ علاج الغضب واطفاء ناره ليس بسهل جداً ولكن فيه فضل وحلاوة وثواب و كرامة عندالله في الدنيا والاخرة .

روى الصدوق رضوان الله تعالى[1] عليه في الخصال باسناده عن الهروى قال : سمعت علي بن موسى الرضا عليه‌السلام يقول : أوحى‌الله عزوجل إلى نبىّ من أنبيائه : إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله والثانى فاكتمه والثالث فاقبله والرابع فلا تؤيسه والخامس فاهرب منه .

قال : فلما أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف وقال : أمرنى ربى عزّوجلّ أن آكل هذا وبقى متحيراً ثم رجع إلى نفسه فقال ربى جلّ جلاله : لا يأمرنى الاّ بما اطيق فمشى إليه لياكله فلمّا دنى منه صغر حتى انتهى اليه فوجده لقمة فاكلها فوجدها أطيب شيء أكله ثم مضى فوجد طستاً من ذهب فقال : امرنى ربى أن أكتم هذا فحفر له حفرة وجعله فيه و ألقى عليه التراب .

ثم مضى فالتفت فاذاً الطسّت قد ظهر فقال : قد فعلت ما أمرنى ربى عزوجل فمضى فاذا هو بطير وخلفه بازىّ فطاف الطير حوله فقال : أمرنى ربى عزوجل ان اقبل هذا ففتح كمّه فدخل الطير فيه فقال له البازى : اخذت صيدى وانا خلفه منذ ايام .

فقال : إنّ ربى عزوجل أمرنى ان لا أويس هذا فقطع من فخذه قطعة فالقاها

اليه ثم مضى فلما مضى فاذا هو بلحم ميتة منتن مدوّد فقال : امرنى ربى عزوجل ان اهرب من هذا فهرب منه ورجع ورأى فى المنام كأنه قد قيل له : انك قد فعلت ما أمرت به فهل تدرى ماذا كان ؟ قال : لا ، قيل له :

أمّا الجبل فهو الغضب ان العبد اذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب فاذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيّبة التى اكلها .

وأمّا الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزوجل إلاّ أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدّخر له من ثواب الاخرة ، وأمّا الطير فهو الرجل الذى يأتيك بنصيحة فاقبله وأقبل نصيحته ، وأمّا البازى فهو الرجل الذى يأتيك فى حاجة فلا تؤيسه ؛ وأمّا اللحم المنتن فهى الغيبة فاهرب منها .

و روى الكلينى رحمة الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن حبيب السجستانى عن أبى جعفر عليه السلام قال : مكتوب فى التوراة فيما ناجى الله عزوجل به موسى عليه السلام : يا موسى أمسك غضبك عمّن ملّكتك عليه اكفّ عنك غضبى .

و فيه : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : أوحى الله عزوجل إلى بعض أنبيائه يا ابن آدم أذكرنى فى غضبك أذكرك فى غضبى لا أمحقك فيمن امحق و ارض بى منتصراً فان إنتصارى لك خير من انتصارك لنفسك .

و فيه باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كفّ نفسه عن اعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة ومن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة .

و روى الشيخ الطوسى قدس سره فى أماليه باسناده عن محمد بن الفضيل عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله علّمنى عملاً لايحال بينه وبين الجنة قال :

لاتغضب ولاتسئل الناس شيئاً وأرض للناس ما ترضى لنفسك الخبر .

و روى الصدوق عليه الرحمة فى جامع الاخبار عن جعفر بن محمد عليه السلام :

قال : من لم يغتب فله الجنة ومن لم يغضب فله الجنة ومن لم يحسد فله الجنة .

وقال الله تعالى فى وصف المؤمنين واجرهم : « وما عندالله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون » الشورى : ٣٦ و٣٧ .



﴿ كلام فى غضب الله تعالى ﴾

إختلفت كلمات الاعلام فى الغضب :

هل هو من صفات الذات ذهب إليه جماعة أم من صفات الفعل ذهب إليه الاكثر مستدلين بقوله تعالى : « ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبى » طه : ٨١ .

على أنّ الغضب هو إرادة الاضرار بالمغضوب عليه وهذه لاتمكن إلاّ بعد فعل المغضوب عليه ما يوجب ذلك من الكفر والطغيان .

وذهب الاخرون إلى أنّ الغضب من الله سبحانه إن اريد به الارادة فهوصفة ذات وإن اريد به العقوبة فهوصفة فعل .

روى الكلينى رضوان الله تعالى عليه فى الكافى باسناده عن بعض أصحابنا قال : كنت فى مجلس أبى جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمروبن عبيد فقال له : جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى : « ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى » ما ذلك الغضب ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : هو العقاب يا عمرو انه من زعم انّ الله قد زال من شئ إلى شئ فقد وصفه صفة مخلوق وان الله تعالى لايستفزّه شيء فيغيره .

قوله عليه السلام « هوالعقاب » أى ليس فى الله سبحانه قوة تغير عن حالة إلى حالة اخرى فتكون إحداهما رضاه والاخرى غضبه بل انما اطلق عليه الغضب باعتبار صدور العقاب عنه فليس التغير الاّ فى فعله .

قوله عليه السلام : « لايستفزّه » أى لايستخفّه ولايزعجه .

و فى الكافى : باسناده عن هشام بن الحكم فى حديث الزنديق الذى سئل

أبا عبدالله عليه السلام فكان من سؤاله ان قال له : فله رضاً و سخط ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين و ذلك ان الرضا حال تدخل عليه فتنقله من حال إلى حال لأنّ المخلوق أجوف معتمل مركّب للاشياء فيه مدخل وخالقنا لامدخل للاشياء فيه لانّه واحد واحدى الذات واحدى المعنى فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال لانّ ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين .

و فيه : باسناده عن صفوان بن يحيى قال : سئلني أبو قرّة المحدث ان ادخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي فدخله فسئله عن الحلال والحرام ثم قال له : أفتقرّ ان الله محمول ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول إسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة ـ إلى أن ـ قال أبو قرّة : فتكذّب بالرواية التي جائت انّ الله إذا غضب انما يعرف غضبه ان الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرّون سجّداً .

فاذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : اخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن ابليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضي ؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه كيف تجترىء ان تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال وانه يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟!

سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ولم يتغيّر مع المتغيّرين ولم يتبدّل مع المتبدلين و من دونه في يده و تدبيره و كلهم إليه محتاج و هو غني عمّن سواه .

قوله عليه السلام : « و المحمول إسم نقص في اللفظ » ليس المراد انّ كل ما ورد على صيغة المفعول إسم نقص والاّ لانتقض بالمعبود والمحمود بل المراد ان ما دلّ على وقوع تأثير من غيره عليه كالمحفوظ والمربوب والمحمول ونحوها .

وقوله عليه السلام : «وهو في صفتك » أي وصفك اياه انه لم يزل غضبان على الشيطان وعلى أحزابه وأوليائه .

وفى الكافى : باسناده عن حمزة بن بزيع عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » فقال : انّ الله عزوجل لايأسف كأسفنا و لكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه و سخطهم سخط نفسه لانّه جعلهم الدعاء إليه والادلاّء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس ان ذلك يصل إلى الله ما يصل إلى خاقه لكن هذا معنى ماقال من ذلك وقد قال : « من أهان لى وليّاً فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى إليها » وقال : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » وقال : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم » فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب و غيرهما من الاشياء مما يشاكل ذلك .

ولو كان يصل إلى الله الاسف والضجر وهو الذى خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول : ان الخالق يبيد يوماً ما لانه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغييروإذا دخله التغييرلم يؤمن عليه الإبادة ثم لم يعرف المكوّن من المكوّن ولا القادرمن المقدور عليه ولاالخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً ، بل هو الخالق للاشياء لالحاجة فاذا كان لالحاجة استحال الحدّ والكيف فيه فافهم ان شاء الله تعالى .

أقول : وللكلينى قدس سره فى المقام كلام ينبغى ذكره :

فقال : إنّ كل شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً فى الوجود فذلك صفة فعل وتفسير هذه الجملة : انك تثبت فى الوجود ما يريد وما لايريد وما يرضاه وما يسخطه وما يحبّ وما يبغض فلو كانت الارادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان ما لايريد ناقضاً لتلك الصفة ولو كان ما يحب من صفات الذات كان ما يبغض ناقضاً لتلك الصفة .

ألا ترى أنّا لانجد فى الوجود ما لايعلم وما لايقدرعليه و كذلك صفات ذاته الازلىّ لسنا نصفه بقدرة وعجز وجهل وسفه وحكمة وخطاء وعزّ وذلّة ، ويجوز أن يقال : يحبّ من أطاعه ويبغض من عصاه ويوالى من أطاعه ويعادى من عصاه و

انه يرضى ويسخط ويقال في الدعاء : اللّهم ارض عنّي ولاتسخط عليّ وتولّني ولا تعادني ولا يجوز أن يقال : يقدر أن يعلم ولايقدر أن لايعلم ويقدر أن يملك ولا يقدر أن لايملك و يقدر أن يكون عزيزاً حكيماً و لايقدر أن لايكون عزيزاً حكيماً ، ويقدر أن يكون جواداً ولايقدر أن لايكون جواداً ويقدر أن يكون غفوراً ولايقدر أن لايكون غفوراً .

ولايجوز أيضاً أن يقال : أراد أن يكون ربّاً وقديماً وعزيزاً وحكيماً و مالكاً وعالماً وقادراً لانّ هذه من صفات الذات والارادة من صفات الفعل ألا ترى انه يقال : أراد هذا ولم يرد هذا وصفات الذات تنفي عنه بكل صفة منها ضدّها ، يقال : حيّ وعالم وسميع وبصير وعزيز وحكيم غني ملك حليم عدل كريم ، فالعلم ضده الجهل والقدرة ضدّها العجز والحياة ضدها الموت والعزة ضدّها الذلّة و الحكمة ضدّها الخطاء وضدّ الحلم العجلة والجهل وضد العدل الجور والظلم .

لا يخفى عليك : انّ غرضه هو الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل فأبان ذلك بوجوه :

أحدها ـ انّ كل صفة وجودية لها مقابل وجوديّ فهي من صفات الافعال لامن صفات الذات لانّ صفاته الذاتية كلها عين ذاته وذاته مما لاضدّ له وبيّن ذلك في ضمن الامثلة وان اتصافه سبحانه بصفتين متقابلتين ذاتيتين محال .

ثانيها ـ انّه أشار بقوله : « ولايجوز أن يقال : يقدر ان يعلم » إلى ما حاصله ان القدرة صفة ذاتية تتعلق بالممكنات لاغيرفلا تتعلق بالواجب ولابالممتنع ، فكل ما هو صفة الذات فهو أزليّ غير مقدور و كل ما هو صفة الفعل فهو ممكن مقدور وبهذا يعرف الفرق بين الصفتين .

وقوله : « ولا يقدر أن لايعلم » الظاهر ان (لا) لتأكيد النفي السابق أي لايجوزأن يقال : يقدرأن‌لايعلم ويحتمل‌أن يكون من مقول القول الذي‌لايجوز .

وذلك لانّ القدرة لاتنسب إلاّ إلى الفعل نفياً أو إثباتاً فيقال : يقدر أن يفعل أو يقدر أن لايفعل ولاتنسب إلى ما لايعتبر فيه الفعل لانفياً ولاإثباتاً مما

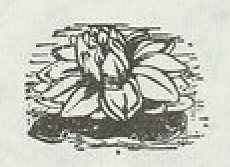
تكون من صفة الذات الّتى لاشائبة للفعل فيها كالعلم والقدرة ونحوهما فلا يجوز أن تنسب إليها القدرة فان القدرة انمايصح إستعمالها مع الفعل والترك، فلا يقال: يقدر أن يعلم ولايقال: ولايقدر أن لايعلم لانّ العلم لاشائبة فيه من الفصل.

ثالثها ـ ما أشار إليه بقوله: « ولا يجوز أن يقال أراد أن يكون رباً » و حاصله انّ الارادة لما كانت فرع القدرة فما لايكون مقدوراً لايكون مراداً وقد علمت أنّ الصفات الذاتية غير مقدورة فهى غير مرادة أيضاً ولكونها غير مرادة وجه آخر وهو قوله: « لان هذه من صفات الذات الخ ».

ومعناه: انّ الارادة لكونها من صفات الفعل فهى حادثة وهذه الصفات يعنى الربوبية والقدرة ونحوهما من صفات الذات فهى قديمة ولايؤثر الحادث فى القديم فلا تعلق للارادة لشىء منها.

و روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى الامالى باسناده عن محمّد بن عمارة عن أبيه قال: سئلت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخبرنى عن الله هل له رضى وسخط؟

فقال: نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه.



المغضوب عليهم
و علائم غضب الله تعالى

انّ الايات القرآنية والروايات الواردة تصرح علىٰ أنّ الله تعالىٰ غضب علىٰ طوائف ـ ويغضب على من سلك مسلكهم ـ :

١ـ طائفة الكفر إطلاقاً .

قال الله تعالى : « والذين يحاجّون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد » الشورى : ١٦ .

وقال : « من كفر بالله من بعد ايمانه الاّ من اكره و قلبه مطمئنّ بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبّوا الحياة الدنيا والاخرة وان الله لايهدى القوم الكافرين » النحل : ١٠٦و١٠٧ .

٢ـ اليهود .

قال الله تعالى : « قل هل انبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شرّ مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل » المائدة : ٦٠ .

وقال تعالى : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » البقرة : ٦١ .

وقال : « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب » البقرة : ٩٠ .

وقال : ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا » الاعراف : ١٥٢ .

وقال : « يا بني إسرائيل ـ لاتطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » طه : ٨٠ و ٨١ .

٣ـ طائفة النفاق والذبذبة .

قال الله تعالى : « ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً » الفتح : ٦ .

وقال : « ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولامنهم و يحلفون على الكذب وهم يعلمون أعدّ الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ماكانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين » المجادلة : ١٤ـ ١٦ .

وقال : « يا ايها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم » الممتحنة : ١٣ .

٤ ـ الذين يفرّون عن الجهاد وعن لقاء العدو في الحرب .

قال الله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقدباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » الانفال : ١٥ و ١٦ .

٥ ـ الذين يقتلون النفس بغيرحق .

قال الله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزائه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدّ له عذاباً عظيما » النساء : ٩٣ ، هذه هي الايات الكريمة القرآنية .

واما الروايات فمنها :

مارواه الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن الهيثم بن واقد الجزري قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : انّ الله عزوجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى اليه أن قل لقومك : انه ليس من أهل قرية ولا أناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سرّاء فتحوّلوا عما أحب إلى ما اكره إلاّ تحوّلت لهم عما

يحبون إلى ما يكرهون وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فاصابهم فيها ضراء فتحولوا عما اكره الى ما احب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون.

وقل لهم: ان رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي فانه لايتعاظم عندي ذنب اغفره وقل لهم: لا يتعرضوا معاندين لسخطي ولايستخفوا باوليائي فان لي سطوات عند غضبي لايقوم لها شيء من خلقي.

وفيه: باسناده عن سليمان الجعفري عن الرضا عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل الى نبي من الانبياء إذا اطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية و إذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الورى، الورى: ولد الولد.

و منها: ما رواه السيوطي في الدرالمنثور عن النبي صلى الله عليه وآله قال: اربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله قيل: منهم يا رسول الله؟

قال: المتشبهون من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال و الذى يأتي البهيمة والذى يأتي الرجل.

ومنها:

ما رواه العياشي قدس سره في تفسيره عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله واشتد غضب الله من أراق دمي وآذاني في عترتي.

ومنها:

ما رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الامالي باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا غضب الله تبارك وتعالى على امة ولم ينزل بها العذاب غلت اسعارها وقصرت اعمارها ولم يربح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغزر انهارها وحبس عنها امطارها وسلط عليها شرارها.

ومنها :

ما فى الرواية : قال الله تعالى فى مواعظه لعيسى بن مريم عليه السلام :

يـا عيسى انّى ان غضبت عليك لـم ينفعك رضا من رضى عنك وان رضيت عنك لم يضرّك غضب المغضبين .

وفى رواية : قال الله تعالى : اشتدّ غضبى على من ظلم من لا يجد ناصراً غيرى .



﴿الضلالة وحقيقتها﴾

(ولا الضالين)

انّ الايات الكريمة القرآنية تحكى قصة الهداية والضلالة عند الناس فهمها المسلمون الاوّلون على بساطتها فى انّها تتضمن إرادة الله تعالى للهدى ومعونة الناس عليه وكراهيته للفسوق والضلال وتحريضهم على تركه على أن لايخلّ ذلك بمبدأ مسؤلية الانسان الكاملة عن اختياره وعمله .

قال الله جل وعلا : « ولكن الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » الحجرات : ٧ .

وقال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » النساء : ٢٦ .

وقال : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد الله ليطهركم وليتم نعمته عليكم » المائدة : ٦ وقال : « وما الله يريد ظلماً للعباد » المؤمن ٣١ .

وانحرفت نظرية الأشاعرة عن واقع الامر اذ زعمت ان أىّ أمر فى العالم لايتم الاّ بارادة الله فوحدوا بين الهدى والايمان والكفر والضلال فقالوا : انّ كلا منهما يكون بارادة الله سبحانه وخلقه فى الانسان .

بينما أنكر الشيعة الامامية الاثنىعشرية هذه النتيجة لتنافيها مع أصلهم فى حرّية الانسان ومسؤليته .

وذهبوا فى تفسير الايات التى تنسب الضلالة إلى الله سبحانه مذهباً لا يخلّ بهذا المبدأ الرئيسى ولايؤثر على نظريتهم فى العدل الالهى القائم على أساس

التكليف .

وذلك لأنّ للضلال معان :

١ـ الضلال بمعنى الهلاك ويستعمل فيما يجرى مجرى الطرق إلى الهلاك أو يكون حقيقة مما يؤدّى إليه وبذلك فسّر قوله تعالى : « ان الله لايستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين » : ٢٦ .

فانّ ظاهر الضلال هنا ليس هو الكفر كما زعمت الأشاعرة بل انما هو الهلاك وانّما يسمّى الكفر به من حيث يؤدى إليه لانّه تعالى لما ضرب المثل ضلّ به قوم واهتدى به الاخرون فنسب الاضلال والهلاك إليه تعالى من حيث تسبب فى ضلالهم أوهداهم وإن كان هو باختيارهم كالشبع الحاصل عقيب أكل الطعام .

٢ـ الضلال بمعنى العقاب : ويبدو هذا واضحاً حين يضيفه الله تعالى فى الاية إلى نفسه إذ قال : « وما يضلّ به إلاّ الفاسقين » ويقول : « يضل الله الظالمين » ابراهيم : ٢٧ .

وفى تعليق الحكم على الوصف من اشعار عليّة الوصف للحكم ما لايخفى ، فتخصيصه الفاسقين والظالمين بالضلال ونفيه عن غيرهما يدل على أنّ المراد به العقاب الّذى يختصّ به الله دون سواه .

يدل على ذلك قوله تعالى : « وان المجرمين فى ضلال وسعر » القمر : ٤٧ .

وقوله : « بل الذين لايؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال العبيد » سباء : ٨ .

وقوله : « إن هم إلاّ فى ضلال كبير » الملك : ٩ .

٣ـ الضلال بمعنى إبطال العمل الّذى يؤدّى إلى النجاة والضلالة عن زيادة الهدى .

قال الله تعالى : الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا » .

وقال : « الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » .

فقد اضاف الله تعالى ذلك إلى نفسه بمعنى الضلال عن زيادة الهدى لأنّه إذا سلبهم ذلك على سبيل العقوبة جاز ان يقول : ومن يرد أن يضله يعنى عن الزيادات المؤدية إلى إنشراح الصدر ويجعل صدره ضيقاً حرجاً والحق ان ذكر هذا ليس بمعنى المنع من الايمان بل هو أحرى أن يكون باعثاً عليه فمن ضاق صدره بالشيء طلب الخلاص منه .

فاستدلال الاشاعرة بالايات على أنّه سبحانه يخلق الكفر فى العباد أو يدعو إليه لينافى مع العدل الالهى ومع أسس نظرية التكليف كيف وقد وصف الله تعالى بهذا الوصف فرعون والشيطان وذمهما على ذلك فقال عن فرعون : « وأضل فرعون قومه وما هدى » طه : ٧٩ .

وقال عن الشيطان : « ولقد أضلّ منكم جبلا كثيراً » يس : ٦٢ .

و أضاف إلى نفسه ما يريد به ابعاد الناس عن الضلال فقال : « يبين الله لكم أن تضلّوا » النساء : ١٧٦ أى لئلا تضلوا .

ولو انّه سبحانه أضلّ الناس بان خلق فيهم الكفر أو بان دعاهم إليه لما نسب ذلك إلى غيره وذمّ عليه ولكان الضال والكافر معذورين لانه سبحانه اضطرهما إلى ذلك وفعله بهما .

فالصواب هو انّ الهداية أو الضلال انّما هى نتائج لمقدمات ومسببات لاسباب فاذا تمت المقدمات حصلت النتيجة بمقتضى إرادة الله تعالى ، فالهداية هى ثمارعمل صالح ونتيجة تلبية نداء الله تعالى والضلال نتائج عمل قبيح وزيغ وفساد واعراض عن ذكر الله جل وعلا ، فاسناد الهداية والضلال إلى الله تعالى يجوز من حيث انّه وضع نظام الاسباب والمسببات لابمعنى انه اجبر الانسان على الضلال والهداية وهذا هو الّذى ينسجم مع العدل الالهى ونظرية التكليف .

وروى تحف العقول : قال الصادق عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ : ومعنى الضلال : الجهل بالمفروض وهوأن يترك كبيرة من كبائر الطاعة التى لايستحق

العبد الايمان إلاّ بها بعد ورود البيان فيها والاحتجاج بها فيكون التارك لها تاركاً بغير جهة الانكار والتدين بانكارها و جحودها ولكن يكون تاركاً على جهة التوانى والاغفال والاشتغال بغيرها فهوضال متنكب طريق الايمان .

جاهل به خارج منه مستوجب لاسم الضلالة و معناها مادام بصفة التى وصفناه بها فان كان هوالذى مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية بجهة الجحود والاستخفاف والتهاون كفر وإن هومال بهواه إلى التدين بجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الاباء والاسلاف فقد أشرك وقل ّما يلبث الانسان على ضلالة حتى يميل بهواه إلى بعض ما وصفناه من صفته .



الانسان

وقوتا الهداية والضلالة

قال الله تعالى: « انّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان : ٣ .
وقال: « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » فصلت : ١٧ .
وقال: « أفانت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين » الزخرف : ٤٠ .

من غير مراء انّ للانسان فيما يتحراه من الهدى والضلال حالتين : حالة يتمكن فيها من الارتداد على أدباره فيما يتعاطاه أن هدى وان ضلّ ضلالاً وذلك قبل ان يمعن فى سيره ويتناهى فى ممره .

وحالة يتعذر عليه الارتداد على ادباره بل لايكون له سبيل إلى الرجوع بسهل وذلك إذا أمعن فى سيره وتناهى فى ممره .

وذلك ان كل من كان متعاطياً للهدى فتكاسل عنه ومتعاطياً للضلال فلم يقلع عنه أورثه كسله ضيق صدر لتحرى الهدى كما قال الله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » الانعام : ١٢٥ .

وإنشراح صدره بفعل الضلال كما قال تعالى : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » فاطر : ٨ .

فان استمرّ على ذلك ولم يقلع أورثه ذلك رينا على قلبه إذ قال تعالى : « كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » المطففين : ١٤ .

فان تمادى فى ذلك و استمرّ أورثه ذلك غشاوة كما قال : « فأغشيناهم فهم

لايبصرون » يس : ٩ .

فان ازداد اورثه ذلك طبعاً و ختماً اذ قال تعالى : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم » البقرة : ٧ .

و قال : « أفرايت من اتخذ الهه هواه و أضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » الجاثية : ٢٣ .

فان ازداد صار ذلك قفلاً كما قال تعالى : « أفلا يتدبّرون القلوب أم على قلوب أقفالها » محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٤ .

ثم اذا تمادى صار قلبه موتاً قلما ترجى له حياة فلا تنفعه الايات والنذر كما قال تعالى : « انك لا تسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون » الانبياء : ٤٥ .

ومن حيث انّ الله تعالى علم من أحوال من بلغ هذا المبلغ انه لايتوب ولا يؤوب قال : « ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم و اولئك هم الضالون » آل عمران : ٩٠ .

فلم يرد تعالى انهم لو تابوا فلن تقبل توبتهم بل نبّه بذلك على انهم لايتوبون فتقبل توبتهم فدلّ منتهى الفعل على مبدأه .

كقوله تعالى : « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » النساء : ١٣٧ .

أى لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم .

وعلى هذا قال تعالى : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » النساء : ١٧ .

تنبيهاً على أنّ هؤلاء الذين يرجى لهم التوبة وعلى هذه الجملة المذكورة قال رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أذنب الرجل نكتت على قلبه نكتة سوداء فاذا أذنب ثانياً نكتت اخرى فلا يزال كذلك حتى يصير قلبه كلون الشاة الرمداء » وفى خبر اخر : « الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب فلا ترجى له الانابة » .

وكذا حال الانسان فيما يتعاطاه من فعل الخير فان من صبر فى اقتراف الحسنة أورثه صبره حسناً كما وصف الله به الصابرين فى مواضع من كتابه قال تعالى : « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً » الشورى : ٢٣ .

فان استمرّ فى ذلك بعض الاستمرار اهتزّ ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » الانعام : ١٢٥ فان دام على ذلك امتحن وتطهر قلبه إذ قال : « اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » الحجرات : ٣ .

ويكون كما وصفه فى هذه السورة : « ولكن الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون » الحجرات : ٧ .

فان تزايد فى فعله انضمّ إليه من الله تعالى باعث يهزّه وداع يبعثه عليه إذ قال : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم » الفتح : ٤ .

فحق الانسان أن لا يسامح نفسه فى الاجتهاد وأن لايخلّ بخير تعوده ولا يرخص لها فى شرّ إرتكبه فتعاطى صغير الذنب يفضى إلى إرتكاب الكبير والاخلال بقليل الخير يؤدى إلى الاخلال بكثيره .

وقدنبّه الله تعالى على ذلك بقوله : « انّ الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم فى بعض الامر » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٥ .

فتبين انّ قولهم للذين كرهوا ما نزل الله أدّى بهم إلى الارتداد على ادبارهم وقال تعالى : « ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » آل عمران : ١٥٥ .

فنبّه على أنّ بعض ما كسبوا أدّى بهم إلى الانهزام فالمتدرب فى فعل الخير المتقوى فيه بصير بحيث يكون له من الله تعالى واقية تحفظه عن الافعال القبيحة

وتحثّه على الافعال الحسنة وعلى هذا نبه تعالى من صفة أوليائه بقوله : « اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه » المجادلة : ٢٢ .

وقال تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ٢٢ .

والمتدرب بفعل الشر المتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له بما ارتكبه من القبائح باعث يبعثه على الافعال القبيحة ويحثه على الافعال السيئة ويسدّ عليه طرق الافعال الحسنة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله فى صفة أعدائه : « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون » يس : ٨ .

وقال : « ومن يعش عن ذكر رحمن نقيض له شيطاناً فهوله قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون » الزخرف : ٣٦ .

وقال : « انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون » الاعراف : ٢٧ .

وقد نسب الله تعالى هداية العبد وضلاله جميعا إلى نفسه من حيث انه جعل خلقه وطبعه بحيث اذا تعاطى فعلا إن خيراً وان شراً فاستمرّ عليه يصير ذلك طبعا له ملازماً لايرجع عنه ولم ينسب المنع من الايمان الى نفسه إلاّ بعد ذكر ما كان من إسائة العبد إذ قال : « انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » الاعراف : ٢٧ .

فخصّ الذين لايؤمنون بان جعل الشيطان اوليائهم .

وقال : «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير » الحج : ٣و٤ .

وقال تعالى : « ان الذين لايؤمنون بالاخرة زينالهم اعمالهم فهم يعمهون » النمل : ٤ .

«الضلالة وأقسامها»

روى المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار عن تفسير النعماني بالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

الضلالة على وجوه : فمنه محمود ومنه مذموم ومنه ماليس بمحمود ولا مذموم ومنه ضلال النسيان .

فأمّا الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله : « يضلّ الله من يشاء » .

هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم .

والمذموم هو قوله تعالى : « وأضلّهم السامري » « وأضلّ فرعون قومه وما هدى » ومثل ذلك كثير .

وأمّا الضلال المنسوب إلى الاصنام فقوله في قصّة إبراهيم : « واجنبني وبنيّ أن نعبد الاصنام ربّ انهن أضللن كثيراً من الناس » الاية والاصنام لايضللن أحداً على الحقيقة إنّما ضلّ الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزوجل .

وأما الضلال الّذي هو النسيان فهو قوله تعالى : « ان تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الاخرى » .

وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه فمنهم ما نسبه إلى نبيّه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه : « ووجدك ضالاً فهدى » معناه وجدناك في قوم لايعرفون نبوّتك فهديناهم بك .

وأمّا الضلال المنسوب إلى الله تعالى الّذي هو ضدّ الهدى والهدى هو البيان

وهومعنى قوله سبحانه : « أولم يهدلهم » معناه : أولم ابيّن لهم مثل قوله سبحانه : « فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » أى بيّنّا لهم وقوله تعالى : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون » .

وأمّا معنى الهدى فقوله عزّوجل : « إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد » ومعنى الهادى المبيّن لما جاء به المنذر من عندالله وقد احتجّ قوم من المنافقين على الله تعالى : « انّ الله لايستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » .

وذلك انّ الله تعالى لما أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم : « ولكل قوم هاد » قال طائفة من المنافقين : « ما ذا أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيراً » فأجابهم الله تعالى بقوله : « انّ الله لايستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » الى قوله : « يضلّ به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضلّ به الاّ الفاسقين » فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لانه أقام لهم الامام الهادى لما جاء به المنذر فخالفوه وصرفوا عنه بعد أن اقرّوا بفرض طاعته ولما بيّن لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلّوا .

هذا مع علمهم بما قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله : لا تصلّوا علىّ صلاة مبتورة إذا صلّيتم علىّ بل صلّوا على أهل بيتى ولا تقطعوهم منّى فان كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببى ونسبى ولمّا خالفوا الله تعالىٰ ضلّوا فاضلّوا فحذّر الله تعالىٰ الامّة من أتباعهم .

فقال سبحانه : « ولا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل » .

والسبيل ههنا الوصىّ وقال سبحانه : « ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به » الاية، فخالفوا ما وصّيهم الله تعالى به واتبعوا أهوائهم فحرّفوا دين الله جلّت عظمته وشرائعه وبدّلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما امروا به كما عدلوا عمن أمروا بطاعته وأخذ عليه العهد بموالاته واضطرّهم ذلك إلى استعمال الرأى والقياس فزادهم ذلك حيرة وإلتباساً ، ومنه قوله سبحانه : «وليقول الذين فى

قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء » .

فكان تركهم اتباع الدليل الّذى أقام لهم ضلالة لهم فصار ذلك كأنّه منسوب إليه تعالى لمّا خالفوا أمره فى اتباع الامام ثم افترقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً و استحل بعضهم دماء بعض فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تؤفكون » .



«الضلالة وعواملها»

ان الايات الكريمة القرآنية تصرح على أنّ أساس الضلال هو إتباع الشيطان إذ قال الله تعالى : « ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً » النساء : ٦٠ .

وقال تعالى حكاية عن هذا اللعين : « وقال لاتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلّنّهم ولامنينّهم ولامرنهم فليبتكنّ اذان الانعام ولامرنّهم فليغيّرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » النساء ١١٨و١١٩.

ولهذا الاتباع موجبات يجمعها أمران :

أحدهما ـ الكبر وهو من أهمّ الخصال الّتى تؤدّى إلى الضلال .

قال الله تعالى : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً » الاعراف : ١٤٦ .

انّ الكبر يؤدّى إلى الضلال والضلال يؤدّى إلى الكفر إطلاقاً .

قال الله تعالى حكاية عن موسى : « وقال موسى إنّى عذت بربى وربكم من كل متكبّر لايؤمن بيوم الحساب» المؤمن : ٢٧ .

وقال : « إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ـ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين » النحل : ٢٢-٢٤ .

وقال : « إنّ الذين يجادلون فى آيات الله بغيرسلطان آتاهم إن فى صدورهم إلاّ كبرٌ » المؤمن : ٥٦ .

ثانيهما ـ الحسد وهو ن أهم عوامل الضلال .

قال الله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً » النساء : ٥٤ و٥٥ .

وقال : « ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق » البقرة : ١٠٩ .

وهذان ـ وإن كانا هما مرتضعين من لبن واحد أو الاوّل وليد الثاني ـ : من اسس الاتباع كما انّ الشيطان هوالذى اختار الضلال بسبب هذين الامرين ومن المفاسد التى تستتبع على هذين الامرين و وليدهما من الاثام والاجرام ما لايخفى على المتدبر الخبير .

فالناس فريقان : مهتد وضالّ والضلال انما يأتى من اتباع اغوآآت الشيطان ولاسلطة له علينا إنما مهمته الدعوة والاغواء فلاجبر فى المقام .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : « وما كان لى عليكم من السلطان إلاّ دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم » ابراهيم : ٢٢ .

والمهتدى من لم يطع الشيطان فى إغوآآته وخشى الله تعالى فى خلواته وجميع حالاته .

قال الله تعالى : « فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون » الاعراف : ٣٠ .

فمن أراد أن ينجو من مكائد الشيطان ويتخذ سبيل الرشد فليستمسك بمن عصمه الله جل وعلا عن الضلالة .

ولعمرى ما وجدت أحدا أن يعصمه الله تعالى عنها إلاّ بالأئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين على ما ورد فى ذلك من الروايات أكثر من أن تحصى عن طريق العامة نشير إليها فى محالّها المناسب انشاء الله تعالى فانّهم طريق إلى الله تعالى « فان تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً » .

دعاة الى الهدى
و دعاة الى الضلالة

ان الايات الكريمة تصرح على أن في هذه الحياة الدنيا فريقين من الدعاة : فرقة يدعون الناس إلى الهدى وهم الذين جعلهم الله أئمة يهدون بأمره وفرقة يدعون الناس إلى الكفر والضلالة والفسوق والعصيان .

إذ قال الله جل وعلا : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » الانبياء : ٧٣ .

وقال : « وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لاأيمان لهم لعلهم ينتهون » التوبة : ١٢ .

و في تفسير القمي باسناده عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : الائمة في كتاب الله إمامان : إمام عدل وإمام جور قال الله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » لابأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم .

قال : « وجعلنا منهم أئمة يهدون إلى النار » يقدمون أمرهم قبل أمر الله و حكمهم قبل حكم الله ويأخذون باهوائهم خلافاً لما في كتاب الله .

قال الله تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » النساء : ٢٧ .

وفي الكافي : باسناده عن سليم بن قيس قال : سمعت علياً صلوات الله عليه يقول وأتاه رجل فقال له : ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً ؟ وأدنى ما يكون به

العبد كافراً ؟ وأدنى ما يكون به العبد ضالاً ؟

فقال له : سئلت فافهم الجواب : أمّا أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقرّ له بالطاعة ويعرّفه نبيّه صلى الله عليه وآله فيقرّ له بالطاعة و يعرّفه إمامه وحجّته في أرضه و شاهده على خلقه فيقرّ له بالطاعة قلت له : يا أمير المؤمنين وان جهل جميع الاشياء إلاّ ما وصفت ؟ قال : نعم اذا امر أطاع وإذا نهى إنتهى وأدنى ما يكون به العبد كافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه ان الله امر به ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم انه يعبد الذى امره به وانّما يعبد الشيطان وأدنى مايكون به العبد ضالاً أن لايعرف حجّة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذى أمر الله عزّ وجل بطاعته وفرض ولايته قلت : يا أمير المؤمنين صفهم لى فقال : الّذين قرنهم الله عزوجل بنفسه ونبيّه فقال : « يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم » قلت : يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك أوضح لى فقال : الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر خطبته يوم قبضه الله عزوجل إليه :

انّى قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدى ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي فان اللطيف الخبير قد عهد إليّ انهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

وجمع بين مسبّحتيه ولاأقول : كهاتين ـ وجمع بين المسبحة و الوسطى ـ فتسبق إحداهما الاخرى فتمسكوا بهما لاتزلّوا ولاتضلّوا وتقدّموهم فتضلّوا .

أقول : إنّ الروايات الواردة في هذا المعنى عن طريق العامة كثيرة جداً نشير إلى نبذة منها عن قريب انشاء الله تعالى .

وفي تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انما أخاف على امّتى ثلاثاً : شحّاً مطاعاً وهوى متّبعاً وإماماً ضلالاً .

وفي الكافي : باسناده عن أبي عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام قال : من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولاينقص اولئك من اجورهم شيئاً ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولاينقص اولئك من أوزارهم شيئاً .

وفى الدر المنثور : عن الربيع بن أنس فى قوله تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة » الاية قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أيّما داع دعا إلى ضلالة فاتبع كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وايّما داع دعا إلى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير أن ينقص من اجورهم شيء .

وفى الكافى : باسناده عن الفضل بن شاذان رفعه عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليهما السلام قالا : كل بدعة ضلالة و كل ضلالة سبيلها إلى النار .

و فيه : باسناده عن أبى بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من عبد يدعو إلى ضلالة إلاّ وجد من يتابعه .

وفى العلل: باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان رجل فى الزمن الاول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها و طلبها من حرام فلم يقدر عليها فأتاه الشيطان فقال له : يا هذا انك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلّك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك ؟

قال : بلى قال : تبتدع ديناً و تدعو إليه الناس .

ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه وأصاب من الدنيا ثم انه فكّر فقال : ما صنعت ؟

ابتدعت دينا ودعوت الناس ما أرى لى توبة إلاّ ان آتى من دعوته اليه فاردّه عنه فجعل يأتى أصحابه الذين أجابوه فيقول لهم : ان الذى دعوتكم إليه باطل و انما ابتدعته فجعلوا يقولون : كذبت وهو الحق ، ولكنك شككت فى دينك فرجعت عنه فلما رأى ذلك عمد الى سلسلة فوتّد لها وتداً ثم جعلها فى عنقه وقال : لااحلّها حتى يتوب الله عزوجل علىّ .

فأوحى الله عزوجل إلى نبىّ من الانبياء قل لفلان : وعزّتى لودعوتنى حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى تردّ من مات إلى ما دعوته إليه فيرجع عنه .

وفى تفسير الطبرى فى قوله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان

اكفر فلمّا كفر قال انى برىء منك انّى أخاف الله رب العالمين » الحشر : ١٦ .

عن أبى اسحق قال : سمعت عبدالله بن نهيك قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : إنّ راهباً تعبد ستين سنة وانّ الشيطان أراده فاعياه فعمد إلى إمرأة فأجنها ولها اخوة فقال لاخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها فجاؤا بها قال : فداواها وكانت عنده فبينما هو يوماً عنده إذأعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك انك اعييتنى أنا صنعت بك هذا فاطعنى انجك مما صنعت بك ، اسجد لى سجدة فسجدله فلما سجدله : « قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين » .

وفى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام :

« ان الشيطان اليوم قد استفلّهم وهو غداً متبرّئ منهم ومتخلّ عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم فى الضلال والعمى وصدّهم عن الحق وجماحهم فى التيه » .

قوله عليه السلام : « استفلّهم » أى وجدهم مفلولين فاستزلّهم ويحتمل أن يكون معناه ان الشيطان وجدهم فلاً والفلّ : الارض لانبات بها لانها لم تمطر ، و « ارتكاسهم » : الرجوع كأنّه جعلهم فى تردّدهم فى طبقات الضلال كالمرتكس الراجع إلى أمر قد كان تخلّص منه ، « وجماحهم فى التيه » الجماح : الغلو والافراط مستعار من جماح الفرس وهو أن يعتزّ صاحبه ويغلبه .

و فيه : قال عليه السلام :

« الشيطان المضلّ والنفس الامّارة بالسوء غرّتهم بالامانىّ وفسحت لهم فى المعاصى و وعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار » .

قوله : عليه السلام : « و وعدتهم الاظهار » أى الانتصار والظفر .

ومن غير خفاء أنّ الطرق للاغواء والابواب للشقاء اليوم مفتوحة أكثر من الامس .

فيدعو المضلّ والمغوى المسلمين إلى الذلّة والشقاء ثم يضحك منها الانسجة

المزخرفة والصناعات الجميلة والنساء البهيات الطلعة فيستغوون بها المسلمين تارة وبالماديات تارة اخرى وبالبدع ثالثة كما يعلّمونهم فى المدارس ويغشون على العقول وخاصّة شباننا المسلمين وفتياتنا المسلمات .

فيقولون لهم : نحن ننشر المدنية والحرية وتساوى الحقوق حتى إذا ما أناموا العقول وابتزوا الاموال كل ذلك لتمليك وتملك أرض المسلمين وديارهم وان المضل لايقول اليوم لمسلم : « انك اكفر » كما كان يقول ذلك فى مأة سنة سابقة وانما يقول اليوم : دع ايها المسلم الامور القديمه وان الديانات لاقيمة لها فيحقرون ذلك فى عينيه فيخلعه من وطنه ودينه وهو لايشعر كما صنع الاسبانيون فى بلاد الاندلس .

إذ كانوا يقولون : ان اولئك علماء اروبيون ورجال فى الدين جاؤا الترقية ابناء الشرق ففتحوا المدارس فصادوا واصطادوا الدين وأهله و وطنهم حتى قال بعض هؤلاء لاحد الخديويين بمصر : « قل للعسكر يتركوا العبادات والدعوات لان المتدين ضعيف الارادة أمّا حرّ العقيدة فانه شجاع » .

نعم انهم شياطين يتدخلون فى كل شيء بصفة الاصلاح والارتقاء حتى اذا حان وقت ابتلاع البلاد ونهب الاموال وسفك دماء المسلمين فاحاطوابها من كل جانب بسبب مالديهم من عيون وصياصيهم ومعرفة الاماكن والعورات فيسهل فتح البلاد وتصبح ملكاً لهم فيخلعون الفضائل ويستعبدون المسلمين ثم يقتلونهم بلارحمة ولا رأفة .

يا ويلنا ما كنا عن ولاية نور الهدى غافلين .

الائمة اهل البيت عليهم السلام
ونور الهدى

انّ الروايات الواردة فى هذا المعنى بأسانيد عديدة عن طريق العامة كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

١- روى الحاكم النيشابورى فى (المستدرك ج ٣ ص ١٤٩ ط حيدر آباد الدكن) .

باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : النجوم أمان لأهل الارض من الغرق وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب إختلفوا فصاروا حزب إبليس .

ثم قال : هذا حديث صحيح الاسناد .

أقول : رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعلام العامة :

١- السيوطى الشافعى فى (إحياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف ص ١١٤ ط الحلبى بمصر) .

٢- الذهبى فى (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٤٥ ط حيدر آباد) .

٣- المتقى الهندى فى (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٩٣ ط الميمنية بمصر) .

٤ - إبن حجر الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص ٢٣٣ ط عبداللطيف بمصر) .

٥ - البدخشى فى (مفتاح النجا ص ٨) .

٦ ـ الحمزاوى فى (مشارق الانوار ص ٩٠ ط الشرقية بمصر) وغيرهم تركنا للاختصار .

٢ـ روى الحموينى فى (فرائد السمطين) باسناده عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى .

أقول: رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعاظم العامة .

١ـ محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ١٧ ط القدسى بالقاهرة) .

٢ـ الزرندى فى (نظم درر السمطين ص ٢٣٤ ط القضاء بالقاهرة) .

٣ـ السيوطى الشافعى فى (الجامع الصغير ص ٥٨٧ ط مصر) .

٤ ـ السيوطى أيضاً فى (إحياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف ص ١١٢ ط الحلبى بمصر) .

٥ ـ إبن حجر الهيتمى فى (الصواعق ص ١٨٥ و٢٣٣ عبد اللطيف بمصر) .

٦ ـ القدوسى الحنفى فى (سنن الهدى ص ٥٦٤) .

٧ـ النبهانى فى (الفتح الكبير ج ٣ ص ٢٦٧ ط مصر) .

٨ـ الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٤ ط القدسى بالقاهرة) .

٣ـ قال الحضرمى فى (رشفة الصادى ص ٣٧ ط الاعلامية بمصر) ما لفظه : قال العلامة إبن حجر أشار صلى الله عليه وسلم إلى وجود ذلك المعنى فى أهل بيته « وأن أهل البيت أمان لاهل الارض كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم أماناً لهم » : وفى ذلك أحاديث كثيرة .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام فى خطبة له :

ألا بابى وامّى هم من عدّة اسماؤهم فى السماء معروفة وفى الارض مجهولة ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار اموركم وإنقطاع وصلكم وإستعمال صغاركم .

ذاك حيث تكون ضربة السيف على المومن أهون من الدرهم من حلّه !

ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجراً من المعطى، ذاك حيث يكون تسكرون

من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير إضطرار وتكذبون من غير إخراج ذاك اذا عضّكم البلاء كما يعضّ التقب غارب البعير ، ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء .

أيّها الناس ألقوا هذه الازمّة التى تحمل ظهورها الاثقال من أيديكم ولا تصدّعوا على سلطانكم فتذموا غبّ فعالكم ولاتقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة وأميطوا عن سننها وخلّوا قصد السبيل لها ؛ فقد لعمرى يهلك فى لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلى بينكم كمثل السراج فى الظلمة يستضيىء به من ولجها .

فاسمعوا أيّها الناس وعوا وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا .

قال ابن ابى الحديد فى الشرح :

الامامية تقول : هذه العدة هم الائمة لاحد عشر من ولده عليه السلام ثم قال الحديد :

قوله عليه السلام : « أسماؤهم فى السماء معروفة » أى تعرفها الملائكة المعصومون أعلمهم الله تعالى بأسمائهم « و فى الارض مجهولة » أى عند الاكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر .

قوله عليه السلام « ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجراً من المعطى » معناه انّ اكثر من يعطى ويتصدّق فى ذلك الزمان يكون ماله حراماً فلا أجر له فى التصدق به ثم اكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أولهوى نفسه أولخطرة من خطراته ولا يفعل الحسن لانّه حسن ولاالواجب لوجوبه فتكون اليد السفلى خيراً من اليد العليا عكس ما ورد فى الاثر .

وأمّا المعطى فان يكون فقيراً ذاعيال لايلزمه أن يبحث عن المال أحرام هوأم حلال فاذا أخذه ليسدّ به خلّته ويصرفه فى قوت عياله كان أعظم أجراً ممن أعطاه .

قوله عليه السلام : « ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة » بفتح النون

وهى غضارة العيش وقد قيل فى المثل : سكر الهوى أشد من سكر الخمر .

قال عليه السلام : « تحلفون من غير اضطرار » أى تتهاونون باليمين وبذكر الله عزّ وجلّ .

قال عليه السلام « وتكذبون من غير إخراج » أى يصير الكذب لكم عادة ، ودربة لاتفعلونه لأنّ آخر منكم قد أخرجكم واضطركم بالغيظ إلى الحلف وروى من غير « إحواج » بالواو أى من غير أن يحوجكم إليه أحد .

قال عليه السلام : « ذلك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ القتب غارب البعير » العض : وهو مستعار من عضّ الناب .

ثم قال : « أيّها الناس ألقوا هذه الازمة التى تحمل ظهورها الاثقال من أيديكم » هذه كناية عن النهى عن إرتكاب القبيح و ما يوجب الاثم والعقاب والظهور ههنا : هى الابل أنفسها ، والاثقال : المآثم ، وإلقاء الازمّة : ترك اعتماد القبيح فهذا عمومه وأمّا خصوصه فتعريض بما كان عليه أصحابه من الغدر ومخامرة العدو عليه وإضمار الغلّ والغش له وعصيانه والتلوّى عليه وقد فسره بما بعده فقال : « ولا تصدّعوا عن سلطانكم » أى لاتفرّقوا .

« فتذمّوا غبّ فعالكم » أى عاقبته .

ثم نهاهم عن اقتحام ما استقبلوه من فور نار الفتنة وفور النار : غليانها واحتدامها .

ثم قال : « وأميطوا عن سننها » أى تنحّوا عن طريقها و خلّوا قصد السبيل لها أى دعوها تسلك طريقها ولا تقفوا لها فيه فتكونوا حطباً لنارها ثم ذكر انه قد يهلك المؤمن فى لهبها ويسلم فيه الكافر .

ثم ذكر انّ مثله فيهم كالسرج يستضيىء بها من ولجها أى دخل فى ضوئها .

ترك الولاية
و الوقوع فى الضلالة

انّ الروايات الواردة فى هذا المعنى باسانيد عديدة عن طريق العامة كثيرة جداً وانّى لست بصدد نقل أحاديث الثقلين جموداً فى نقلها .

وانّما ما كنت أنا بصدده انّه متى وقعت الامة المسلمة فى الضلالة ؟ ومن أين جاء الانحطاط المتدرج عليهم فى طوال الاعصار إلى يومنا هذا ؟ وقد كان المسلمون فى زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله على الهدى والرقى ومن أين ومتى ؟؟؟ . . .

فلم أجد لى جواباً إلاّ ما قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذى رواه العامة فى أسفارهم ولعمرى ان الضلالة والانحطاط يشتدّان على هذه الامة حتى ترجع الى العمل بما قال الرسول صلى الله عليه وآله فنشير إلى نبذة منها لعل الله القادر المنان أن يهدينا وإياهم إلى صراط مستقيم .

١ـ روى أحمد بن حنبل فى (المناقب) باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّى قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلّوا بعدى الثقلين وأحدهما أكبر من الاخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم :

١ـ الزرندى فى (نظم درر السمطين ص ٢٣٢ ط مطبعة القضاء) .

٢ـ السيوطى الشافعى فى (الدر المنثور ج ٢ ص ٦٠ ط مصر) الاّ انه ذكر بدل (الثقلين) (أمرين) .

٣ـ البدخشي في (مفتاح النجا) وغيرهم تركنا للاختصار .

٢ـ روى الدارمي في (السنن الجزء الثاني ص٤٣١ ط دمشق) باسناده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله : كتاب فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله و خذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات ، رواه القدوسي الحنفي في (سنن الهدى ص ٥٦٥) .

٣ـ روى المسلم في (الصحيح ج ٧ ص ١٢٢ ط محمد علي صبيح بمصر) باسناده عن يزيد بن حيان قال : إنقلقت أنا وحصين بن سبرة (ميسرة خ) وعمر بن مسلم إلى زيد بن ارقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفونيه ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا يا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم :

١ـ البيهقي في (السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٨ ط حيدرآباد) .

٢ـ الاندلسي في (الجمع بين الصحيحين) .

٣ـ البغوي في (مصابيح السنة ص ٢٠٥ و٢٠٦ ط الخيرية بمصر) .

٤ـ الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح ص ٥٦٨ ط الدهلي) .

٥- إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٢٢٦ ط عبداللطيف بمصر) .

٦- منصور بن علي المصري في (التاج الجامع للاصول ج ٣ ص ٣٠٨ ط القاهرة) .

٧- عبدالغني النابلسي الدمشقي في (ذخائر المواريث ج ١ ص ٢١٥ ط القاهرة) .

٨- النبهاني البيروتي في (الشرف المؤبد ص ١٧ ط مصر) .

وغيرهم تركناهم للاختصار .

٤- روى الترمذي في (الصحيح ج ١٣ ص ٢٠٠ ط الصاوي بمصر) باسناده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي و لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

رواه بعينه جماعة منهم :

١- إبن الاثير في (جامع الاصول ج ١ ص ١٨٧ ط مصر) .

٢- إبن الاثير أيضاً في (اسد الغابة ج ٢ ص ١٢ ط مصر) .

٣- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٥ ط القدسي بالقاهرة) .

٤- إبن تيمية الحنبلي في (منهاج السنة ج ٤ ص ١٠٤ ط القاهرة) .

٥- المتقي الهندي في (كنز العمال ج ١ ص ١٥٣ ط حيدرآباد) .

٦- النبهاني البيروتي في (الفتح الكبير ج ١ ص ٤٥١ ط مصر) .

٥- ما قال الزبيدي الحنفي في (الاتحاف بحب الاشراف ص ٦ ط مصر) ما لفظه :

قال إبن حجر في الصواعق : سمّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن والعترة ثقلين لانّ الثقل كل نفيس خطير ممنون به وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والاسرار العقلية الشرعية ولهذا حثّ على الاقتداء والتمسك بهما .

وقيل سميّا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما ثم الذى وقع عليهم الحث منهم انما هم العارفون بكتاب الله والمستمسكون بسنة رسوله إذ هم الذين لايفارقون الكتاب إلى الحوض وما أحقّهم بقول من قال :

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا و إن اعطوا أطابوا و أجزلوا
هم يمنعون الجار كأنّما لجارهم فوق السماكين منزل

و قيل : أحدهما هو العلم كمال العلم ، ثانيهما هو العمل تمام العمل الاول هو القرآن الكريم إذ قال تعالى : « و لا رطب و لا يابس الا فى كتاب مبين » الانعام : ٥٩ .

وقال : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء » النحل : ٨٩ .

والثانى هو الائمة اهل البيت عليهم السلام لانهم كانوا كاملين فى العلم والعمل وفى التقارن بينهما ما لايخفى .



الفرقة
و الضلالة بعد الرسول صلى الله عليه وآله

إنّ أصدق شاهد على ذلك هو ما في نهج البلاغة لاتفاق الامة بل الامم على صحته بعد القرآن الكريم فقال الامام اميرالمؤمنين على عليه السلام :

حتّى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذى امروا بمودّته ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن. أو مفارق للدين مباين .

قال ابن ابى الحديد في الشرح ما لفظه :

« رجعوا على الاعقاب · تركوا ما كانوا عليه قال سبحانه : « ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً » وغالتهم السبل : أهلكم إختلاف الاراء والاهواء غاله كذا أى أهلكه والسبل : الطرق .

والولائج : جمع وليجة وهى البطانة يتخذها الانسان لنفسه قال سبحانه : « ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولا المؤمنين وليجة » ووصلوا غير الرحم أى غير رحم الرسول صلى الله عليه وآله فذكرها عليه السلام ذكراً مطلقاً غير مضاف للعلم بها كما يقول القائل : « أهل البيت » فيعلم السامع انه أراد أهل بيت الرسول .

وهجروا السبب يعنى أهل البيت أيضاً وهذه إشارة إلى قول النبى صلى الله عليه وآله :
« خلّفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى أهل بيتى حبلان ممدودان من

السماء الى الارض لايفترقان حتى يردا على الحوض » فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ « السبب » لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حبلان » والسبب في اللغة : الحبل ، عنى بقوله « امروا بمودته » قول الله تعالى : « قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى » قوله عليه السلام : « ونقلوا البناء عن رص أساسه » الرص مصدر رصصت الشيء أرصّه أى ألصقت بعضه ببعض ومنه قوله تعالى : « كانهم بنيان مرصوص » وتراصّ القوم في الصف أى تلاصقوا فبنوه في غير موضعه ونقلوا الامر عن أهله إلى غير أهله ، ثم ذمّهم عليه السلام وقال : « انهم معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة » الغمرة : الضلال والجهل والضارب فيها : الداخل المعتقد بها .

« قد ماروا في الحيرة » مار يمور إذا ذهب وجاء فكأنهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الانسان في الماء وذهل فلان بالفتح يذهل على سنة من آل فرعون أى على طريقة و آل فرعون : أتباعه قال تعالى : « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » « من منقطع إلى الدنيا » : لاهمّ له غيرها ، « راكن » : مخلد إليها قال الله تعالى : « ولاتركنوا إلى الذين ظلموا » « أو مفارق للدين مباين » : مزايل .

فان قلت : أىّ فرق بين الرجلين ؟ وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلاّ مفارقا للدين ؟

قلت : قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين و ليس براكن إلى الدنيا ولامنقطع إليها كما نرى كثيراً من أصحاب النصارى ورهبانهم .

أقول : هذا ولكن التقاليد العمياء إمتدت إلى اليوم من غير شعور ودقة و نظر بالصحة والفساد وبالحق والباطل وأمّا الآن فعسيت الله القادر المنان أن تنقطع تلك التقاليد الموروثة وتلك الفرقة المهلكة فتتبدّل بالوحدة المنجية إنشاءالله تعالى .

القرآن الكريم
و الفرق الضالة

انّ الايات الكريمة القرآنية لاتقصر الضلالة فى فرقة دون فرقة ، بل تصرح على أنّ كل من كان على غير طريق الهدى والايمان وصالح العمل فهو ضالّ وهو المستفاد من قوله تعالى : « والعصر إنّ الانسان لفى خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر : ١ـ٣ .

و تصرح على أنّ المشرك والكافر والمرتد والمنافق والعاصى والذين يتخذون الكافرين أولياء لهم والذين يقتلون اولادهم سفهاً و الذين يقنطون من رحمة الله تعالى ويتبعون أهوائهم و الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الاخرة فكلهم ضالّون .

قال الله تعالى : « فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فانى تصرفون » يونس : ٣٢ .

وقال : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ـ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » النساء : ١١٥ و١١٦ .

وقال : « ومن يكفر بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » النساء : ١٣٦ .

وقال : « ومن يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السبيل » البقرة : ١٠٨

وقال : « ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين ـ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » البقرة : ٨ ـ ١٦ .

وقال : « وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسولـه أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » الاحزاب : ٣٦.

وقال : « يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء تلقون اليهم بالمودّة وقد كفروا بما جائكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ـ ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل » الممتحنة : ١ .

وقال : قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغيرعلم وحرّموا ما رزقهم الله إفتراءً على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » الانعام : ١٤٠ .

وقال « ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالّون » الحجر : ٥٦ .

وقال : « ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٥٠ .

وقال : « الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد » ابراهيم : ٣ .



الضلالة
و آثارها الشؤمة فى المجتمع البشرى

انّ الذين ضلوا عن سواء السبيل فمن آثار ضلالتهم الشؤمة فى المجتمع البشرى انهم يسعون بكل القوى فى الارض فساداً من نشر الضلالة وإضلال الناس عن صراط مستقيم.

فكما يجب على كل مسلم ومسلمة قولاً ليلاً ونهاراً عشر مرات: «إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين».

كذلك يجب عليهم عملاً أن يسيروا سواء السبيل وأن يجتنبوا عن طريق الضلالة وعن أهلها.

فلا يكونوا ممن كانوا يأتمّون بعلىّ بن أبيطالب عليه السلام فى صلاته و يجلسون على مائدة معاوية عليه الهاوية فى طعامه.

قال الله تعالى: «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل» المائدة: ٧٧.

وقال: «يوم تقلّب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا و قالوا ربنا انا أطعنا سادتنا و كبرائنا فاضلّونا السبيلا» الاحزاب: ٦٦ و ٦٧.

وقال: «ومن الناس من يشترى لهوالحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً» لقمان: ٦.

وقال: «وما دعاء الكافرون إلاّ فى ضلال» الرعد: ١٤.

وقال : « ان الـذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والاخرة » النور : ١٩ .

وقال : « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل » النساء : ٤٤ .



الضلالة
وعذاب الاخرة

انّ الايات القرآنية تذكر ان أهل الضلالة هم الذين خفّت موازينهم يوم القيامة وهم الذين نسوا الله جل وعلا فى الحياة الدنيا فينسيهم الله يوم الجزاء وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم .

وتذكر انّ نتيجة الضلالة وإضلال الناس عن سواء السبيل هى عذاب النار والخلود فيها .

قال الله تعالى : « ومن خفّت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوهم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولاتكلّمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون » المؤمنون : ١٠٣-١١٠ .

وقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » التوبة : ٦٧ - ٦٨ .

وقال : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » البقرة : ١٦ .

عسى الله أن يهدينا وكافة الناس إلى صراط مستقيم ويعصمنا من الزلل والضلال بحق محمد رسوله الخاتم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

تمت سورة الفاتحة ولله الحمد في الاولى والاخرة

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

فهرس ما جاء في تفسير فاتحة الكتاب

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها إحدى وعشرون بصيرة :



الفصل الثانى :

فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة الفاتحة وفيها أربع عشرة بصيرة :

البصيرة الاولى : وفيها عشرة امور :

البصيرة الثانية : وفيها أربعة امور :

البصيرة الثالثة : وفيها خمسة امور :

البصيرة الرابعة : وفيها أمران :

البصيرة الخامسة : وفيها امور أربعة :

البصيرة السادسة : وفيها ثمانية امور :

البصيرة السابعة : وفيها امر واحد :

البصيرة الثامنة : وفيها سبعة عشر امراً :

البصيرة التاسعة : وفيها أمر واحد :

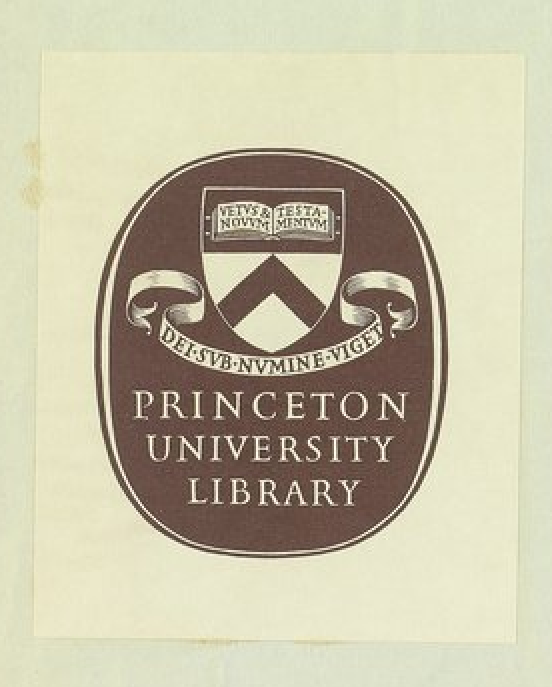
البصيرة العاشرة : وفيها امور سبعة :

البصيرة الحادية عشر : وفيها ستة امور :

البصيرة الثانية عشر : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة الثالثة عشر : وفيها عشرة امراً :

البصيرة الرابعة عشر : وفيها احد عشر امراً :



VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY